من خطب المسجد الحرام

توجيهات وذكرى

تأليف

صالح بن عبد الله بن حميد

"المجموعة الأولى"

دار التربية والتراث
مكة المكرمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضياء
جدة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

توجيهات وذكرى

حُقوق الطّبع محفُوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٩ هـ.

دار التربية والتُراث
مكّة المكرّمة
هاتف: ٥٥٦٥٩٨٠

مكتبة الضّياء
جدّة
هاتف: ٦٨٩٣٨٦٤

كلمات في اعداد خطبة الجمعة[1]

من المعلوم أن الخطيب له دور كبير، وأثر بالغ في بيئته، ومجتمعه، وسامعيه، وقومه، فهو قرين المربيِّ والمعلمِ، ورجلِ الحسبة والموجِّه، وبقدر إحسانه وإخلاصه يتبوأ من قلوب الناس مكاناً، ويضع الله له قبولاً، قد لا يزاحمه فيه أصحاب الوجاهات، ولا يدانيه فيه ذوو المقامات، ومردُّ ذلك إلى حسن الإجادة، وجودة الإفادة، والقدرة على التأثير المكسوِّ بلباس التقوى، والمُدَثَّرِ بدثار الإخلاص والورع.

وهذه كلمات في إعداد الخطبة وصفات الخطيب حرصت أن تكون شاملة لخصائص الخطيب، والخطبة، ووجوه التأثير في الخطبة، وإحسان إعدادها، مقدماً لذلك بمقدمة في مهمة الخطيب وتعريف الخطبة وأنواعها وبيان أثرها.

والله وحده الموفق والمعين وهو حسبنا ونعم الوكيل، وصلى الله على خير خلقه نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) أصل هذه المقدمة بحث قد للملتقى الأول للأئمة والخطباء في المملكة العربية السعودية في الرياض في الفترة: ١٤ ـ ١٨ من شهر شوال١٤١٤هـ تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد.

مقدمة

مهمة الخطيب مهمة شاقة ولا ريب، مشقة تحتم عليه أن يستعد الاستعداد الكافي في صواب الفكر، وحسن التعبير، وطلاقة اللسان، ووجودة الإلقاء.

مطلوب من الخطيب أن يُحدِّثَ الناس بما يمَسُّ حياتهم ولا ينقطِع عن ماضيهم، ويردُّهم إلى قواعد الدين ومبادئه، يبصِّرهم بِحِكَمِهِ وأحكامه برفق، ويُعرفُهم آثار التقوى والصلاحِ في الآخرة والأولىٰ. مهمته البعد عن المعاني المكرورة وجالباتِ الملل.

والدعوة إلى التجديد والتحديث والبعد عن المكرور لا تغير من الحقيقة الثابتة شيئاً، وهي أن حياة الناس وأحوالهم في كل زمان ومكان صورةٌ واحدة من تصارع الغرائز، واضطراب النفوس، وغليان الأحقاد، وفي مقابل ذلك تلقى أحوالاً من البرود، والانصراف، والغفلة وعدم المبالاة.

والخطيب عليه أن يُهدِّىءَ الثائر، ويبعثَ الفاتر، ويطفىءَ ثورة الغريزة، ويخفض حدة الأحقاد، ويشيع روح المودة، ويبث الإخلاص والتعاون.

نعم إن حياة الناس صورة معادة، وتغيُّراتٌ متناوبة؛ فأحداث اليوم هي أحداث الأمس، والبواعث والمثيرات في الماضي هي ذاتها في الحاضر.

فإنسان الغابة وإنسان المدنيَّة سواء، غير أن الأول يحارب

بحجر والثاني يرمي بقنبلة، والأول قد يقتل واحداً أو اثنين، والثاني يقتل عشرات ومئات، القوي في الغابة يستولي على مرعى أو بئر، أما قوي المدنية فيستولي على قطر بأكمله، ويأكل قوت شعب بجملته بل شعوب برمتها، ويستبدُّ بمصادر طاقة، وموارد حياة مصيرية.

إذا كان ذلك كذلك فكيف يكون الحال لو نجح الدعاة المصلحون في تهذيب الغرائز والتسامي بها.

إنَّ خطيبَ المسجد وواعظَ الجماعة قد يكون أشدَّ فاعلية في نفوس الجماهير من كثير من أجهزة التوجيه في المجتمع. إن الخطيب بلسانه ورقة جنانه وتجرده ـ بإذن الله ـ يقتلع جذور الشر في نفس المجرم ويبعث في نفسه خشية الله، وحب الحق، وقبول العدل، ومعاونة الناس، إن عمله إصلاح الضمائر، وجمع الكلمة، وإيقاظ العواطف النبيلة في نفوس الأمة، وبناء الضمائر الحية، وتربية النفوس العالية في عمل خالص وجهد متجرد، يرجو ثواب الله ويروم نفع الناس.

ومن هذا فإنك ترى أن أداء الخطيب عمله على وجهه يكسوه بهاءً وشرفاً، ويرفعه إلى مكان عَلِيٍّ عند الناس.

ولتعلم أن هذا ليس إطراءً ولا مديحاً، ولكنه تنبيه إلى شرف العمل ومشقته وعظم مسؤليته وثقل رسالته، وما تتطلبه من حسن استعداد وشعور صادق بالمسئولية.

وكيف لا يكون ذلك وهذه هي رسالة الأنبياء والصدِّيقين والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، ولا غرابة أن يواجه إيذاءً

وعداءً، وحسبه أن يكون مقبولاً عند الله والصفوةِ من عباد الله.

مدخـــل:

لا يقصد من الكتابة عن الخطابة وأسسها ومبادئها وآدابها، أن تكون مادة يَدْرُسُهَا الدارس لتجعل منه خطيباً مفوهاً ومتحدثاً مصقعاً، إن الكتابة والأبحاث والمناهج لا تجعل من العَيِيِّ فصيحاً، ولا اللسان المعقود طليقاً، ولكن هذه الكتابات والدراسات والبحوث نبراس ومنار يضيء لصاحب الموهبة والاستعداد، ومِشْعَلٌ يُنمي الموهبة، ومصباح ينير السبيل فلا يكون حاطب ليل.

هذه الكتابات والبحوث يتكون منها علم ينير الطريق، ولا يحمل[1] على السلوك، ويرشد إلى الدرب، ولا يقسر على السير.

وأنت خبير بأن السراج المنير لا يستفيد منه غير البصير، أما ذو الرمد فغير منتفع، ويكفيك إشارة بأن الكاتب في علم الاقتصاد والعَالِم في أسسه وقواعده قد يكون أقل الناس مالاً، وأضعفهم مورداً.

ومن حِكَمِ أفلاطون: «لكل أمر حقيقة، ولكل زمان طريقة، ولكل إنسان خليقة؛ فالتمس من الأمور حقائقها، وأجْرِ الأزمنة على طرائقها، وعامل الناس على خلائقها».

تعريـف:

الخُطبة - بضم الخاء - كلام منثور مسجوع ومرسل أو مزدوج بينهما، غايته التأثير والإقناع.

---

(١) أي لا يجبر.

ويقصد بها هنا الخُطَب التي تلقَىٰ على المنابر يوم الجمعة والعيدين، بقصد حمل الناس على الخير، وترغيبهم فيه، وصرفهم عن الشر ودواعيه، وتبصيرهم بأحوالهم وواقع أمرهم حسب ما يقتضيه أمر الشرع.

والخطبة ـ من جانب الخطيب ـ مقدرة على التصرف في فنون الكلم، مرماها التأثير في نفس السامع ومخاطبة وجدانه.

أغراضهـــا:

الدعوة إلى الصلاح والإصلاح، ونشر العقائد الصحيحة وتثبيتها، والاستمساك بأمور الشريعة، وإقامة الحق والعدل، ونشر الفضائل، وتسكين الفتن، وفضِّ المشكلات، وتهدئة النفوس الثائرة، وإحياء النفوس الفاترة، ترفع الحق، وتخفض الباطل، هي صوت المظلومين، وواعظ الظالمين، ولسان الهداية، ولقد نادى موسى عليه السلام ربه ﴿ قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِي ﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨] فجاءه الجواب الرباني: ﴿ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾ [طه: ٣٦].

والغرض هنا الإشارات إلى مجمل الأغراض، وسوف يزداد الأمر بياناً من خلال الحديث عن أنواع الخطب وخصائص الخطب المنبرية.

والفقرة التالية في أثر الخطبة تعطي مزيد بسط في المقصود.

أثرهـــا:

لا يكاد ينجح صاحب فكرة، أو ينتصر ذو حق، أو يفوز داعية إصلاح، إلا بالكلمة البليغة، والحجة الظاهرة، والخطبة الباهرة.

الخطيب المفوَّه يلحق بحجته، ويسبق إلى غايته، فيعلو سلطانه، ويتسع ميدانه.

ولهذا فإنَّ القائد المحنَّك في الجيش يتميز - فيما يتميز به - بذرابة لسانه، وحسن خطابه، فيكون خطيباً مصقعاً ولسِناً مفوَّهاً، ولا يُذْكَرُ حين يُذْكَرُ إلا منذرُ الجيش، نبيُّنا محمد ﷺ ومن بعده خطباء الصحابة: أبوبكر وعمر وعثمان وعلي، ثم من بعدهم من صالح سلف الأمة وأئمتها رضي الله عنهم جميعاً وأرضاهم قد اعتلوا المنابر فأصغت لهم الآذان، ودانت لهم الرقاب.

ولئن كانت الخطبة في بعض مساربها[1] ومساراتها طريقاً للمجد الشخصي، فإنها في نبل غايتها وعظيم أثرها طريق للنفع العام والإصلاح الشامل.

والخطابة مظهر حضاري للمجتمع الراقي المستنير، يعلو قدرها، ويروج سوقها برقي المجتمع وانتشار الثقافة فيه، كما أنها تخبو حين ضعفه وغلبة جهله.

وثَمَّةَ جانب آخر في التأثير ينبغي مراعاته، وهو أن تأثير الخطيب في سامعيه ليس بالإلزام أو بالإفحام، بل مردُّه إلى إثارة العاطفة، وحملهم على الإذعان والتسليم، ولا يكون ذلك بالدلائل المنطقية تُساق جافَّة، ولا بالبراهين العقلية تقدم عارية، لكن بإثارة العاطفة واستجاشة الوجدان.

ومن هنا فإنَّ الخطيب قد يستغني عن الدلائل العقلية ولكنه

---

(١) المسارب: جمع مسرب وهي الطريق والمسلك.

لا يمكن أن يستغني عن المثيرات العاطفية، ولعلَّك تدرك أن أكثر ما يعتمد عليه الخطيب في حمل السامعين على المراد مخاطبة وجدانهم والتأثير في عواطفهم.

إنَّ الخطيب المرموق ـ كما هو معلوم ـ يأخذ سامعيه باستدراجه اللبق، وكلماته الساحرة، وصوته العذب المتردد، انخفاضاً وارتفاعاً، وإثارة وهدوءاً، يُنشىء جوًّا عاطفياً مشحوناً، وهذا مَعين في التأثير لا ينضب ولا يُمَلُّ.

أما البراهين العقلية وحدها فجافة تجلب السآمة.

وحينما يذكر خطاب العاطفة وأثرها فلا يخطر بالبال أن ذلك يعني دغدغة العواطف بالكذب والتزييف، ومخالفة الأقوال للأفعال فهذا حَبْلُهُ قصير بل ضعيف واهٍ، وهذا ما سيبدو واضحاً في صفات الخطيب إن شاء الله.

أنـواع الخطبـة:

الناظر في أغراض الخطبة ومقاصدها ومتطلبات المجتمع من ذلك يستطيع إدراك أنواعها، وهذا سردٌ لأهم أنواعها:

١ـ الخطب النيابية:

وهي الخطب التي تكون في دور النيابة والشورى عاكسة ما يجري داخل هذه القاعات من مناقشات ومداولات وأسئلة واستجوابات مؤيدة ومعارضة.

٢ـ الخطب الانتخابية:

وهي خطب تعد وتلقى من أجل الترشيح والتزكية لشخص أو حزب أو مبادىء، مع ما يشتمل عليه ذلك من ردٍّ على المعارضين.

٣ـ الخطب الثقافية:

وهي ما يلقى في النوادي الثقافية والأنشطة العلمية والجامعية، وهي في العادة تتخذ مساراً ثقافياً وأدبياً وعلمياً واجتماعياً وتوجيهياً بما يبتعد عن الأغراض السياسية والقضائية والوعظية، وتعلو النبرة فيه بما يعرف بالمعارك الأدبية بين المنتدين حسب اتجاهاتهم الأدبية، شعراً ونثراً، وتليداً وجديداً، وهو في العادة خطاب لطبقة مثقفة متأدبة ذات تميز ثقافي خاص.

٤ـ الخطب القضائية:

ويظهر هذا النوع في دور القضاء وقاعات المحاكم حين ينبري المدَّعون بإلقاء حججهم والسعي في إثبات دعواهم، فيقابلهم المحامون بالدفاع عن موكليهم بأسلوب خطابي بليغ مؤثر، ذي ألفاظ منتقاة، وإلقاء متميز، وحركات مدروسة.

٥ـ الخطب العسكرية:

وهي ما يلقيه قائد العسكر في جنده وزملائه بغرض بث الروح المعنوية والقتالية فيهم، وبيان شرف موقعهم، وكرم موقفهم، وشرح خططه العسكرية والميدانية بأسلوب انفعالي مؤثر.

٦ـ خطب المنبر والمواعظ:

وهذا هو محل البحث والنظر والتفصيل هنا، وذلك النوع يتجلى في أبهى صورته وكامل هيئته وانتظام شكله في خطب الجمعة المنبرية، وهي خطب أسبوعية دورية تتخذ أغراضاً عدة، وترمي إلى مقاصد متنوعة. نشير في هذا التعريف إلى نماذج منها، ويشترك معها في طبيعتها وأغراضها خطب العيدين، إذ من

المعلوم أن هذه المقاصد والأغراض تتجدد وتتنوع حسب حاجات الناس، وتغير الأحوال وتقلُّب الظروف، ودواعي التذكير.

من هذه الأغـراض:

أ ـ تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان.

ب ـ الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وبيان مزاياه.

ج ـ خطب الإصلاح ومحاربة المنكرات.

د ـ خطب ذات موضوع خاص أو مسألة مفردة من مسائل الإسلام كالصلاة، والصوم، وحقوق الوالدين، والجوار، وحرمة الزنا، والخمر، والسرقة، ونحو ذلك مما مقصده التذكير والوعظ والتعليم ونحو ذلك.

هـ ـ معالجة القضايا المستجدة بنظرة شرعية، وأسلوب وعظي تذكيري.

٧ـ أنواع أخرى:

الأنواع السابقة ليست أنواعاً حاصرة ولكنها تشير إلى الأنواع البارزة السائدة المتميزة في موضوعاتها ومقاصدها، وثمة أنواع أخرى غير شهيرة ذات موضوعات ومقاصد أخرى، كخطب النكاح، والصلح، والمدائح، والمراثي، والمناسبات الاجتماعية، والمحافل الشعبية.

إعداد الخطبة وبناؤها:

بعد ما سبق من مقدمات وممهدات في تعريف الخطبة وغرضها وأنواعها وأثرها فإنه يتبع هذا دخول في جزء مهم من مقاصد هذا البحث، ذلكم هو جزء الإعداد والبناء، وسوف ينتظم ذلك الحديث عن: عناصر البناء وطريقة البناء.

توطئـــة:

لا يتوهم متوهم أن إعداد الخطبة وتحضيرها مما يعيب القدرة أو يشكك في الأهلية، فإنه بدون الإعداد يتفوه المتصدر للخطابة وحديث الناس بكلام مبتذلٍ لا قيمة له، هزيلٍ في معناه، متهدمٍ في مبناه.

فعلى الخطيب أن يعلم أنه كالخائض غمار معركة، عليه أن يتدرَّع بدروعها، ويتترَّس بتروسها، ويلبس لها لأْمتها[1]، ولا يكون ذلك إلا بالاستعداد والتهيؤ وأخذ العدة لكل موقف.

إن ذا الاطلاع الواسع والعلم الغزير إن لم يراجع نفسه حيناً بعد حين، ويُفكر طويلاً فيما يعتزم قوله، ويُزوِّق في نفسه أو قرطاسه من الألفاظ والعبارات المناسبة - سوف يهتز موقفه ويضعف أسلوبه ويتراخى أداؤه، ويتناقص عطاؤه، وينحدر في منجرف الابتذال السحيق، وتكون معالجاته سطحية تفقد تأثيرها، وتخسر جمهورها.

عناصـر البنـاء:

من المعلوم مما سبق ويتأكد فيما سيأتي أن الخطبة وسائر الأعمال العلمية والأدبية تعتمد على أسس ثلاثة:

قلب مفكر، وبيان مصور، ولسان معبر.

فالأول يكون به إيجاد الموضوع وابتكاره وتوليده، وبالثاني تنسيقه وترتيبه ورصُّه، وبالثالث عرضه والتعبير به.

وهذا بسط لهذه العناصر:

---

(١) اللأمة: هي درع الحرب.

١ـ الإيجاد والابتكار (القلب المفكر):

وقد يعبر عنه بالاختيار (اختيار الموضوع)

من المعلوم أن بواعث الاختيار متعددة، والخطيب كلما كان صادقاً في قصده، مهتمّاً بجمهوره وسامعيه، جادّاً في طرحه، محترماً لنفسه؛ فسوف يحسن الاختيار، ويقدح زناد فكره بجدية نحو الابتكار، يُضاف إلى ذلك الظروف المحيطة والأحوال المستجدَّة والأغراض الباعثة التي تستدعي الحديث عن بعض الوقائع والتعليق على بعض الأحداث، والتفسير لبعض المواقف، وتصحيح بعض المفاهيم، ونظر الخطيب الحصيف يدله على تقديم بعض، وتأخير بعض، وحسن التفسير، ونوع التعليق.

٢ـ التنسيق والترتيب (البيان المصور):

لا يخفى أن طريق البيان المصور هو الأسلوب.

للأسلوب سلطان لا يضعفه العقل، وأثر لا يمحوه الدليل، الأسلوب ألفاظ وجمل ينطق بها المتكلم، ويتحدث بها الخطيب، لا تكاد تخرج من فيه حتى تعلو الهيبة وجوه السامعين، وتَشْرَئِبُّ الأعناق له احتراماً، ألفاظٌ وجمل تثير في النفوس صوراً لا حدَّ لها ولا انحصار، محفوفةً بالتقدير والإكبار.

إذا كان هذا هو بعضَ أثر الأسلوب وتأثيره فكيف يكون الشأن في المعنى المحكَم وقد كسى بلفظ جميل، وأُلقي بلفظ منسجم، وعبارات تثير في النفس أخيلة وأمانيَّ.

وينبغي أن يلحظ أن ثمةَ فرقاً بين أسلوب الخطابة وغيرها من ألوان الكتابة والأدب، فالمستمع يتوجه نحو الخطيب بسمعه

وذوقه وفكره، فللكلمات أثر على السمع، وللجرس في النفس وقع، وللعقل فيه إدراك.

ومن أجل هذا فينبغي أن تكون ألفاظ الخطبة سهلة النطق لا يتعثر اللسان في إبرازها، ولا تتزاحم حروفها فلا تتقارب مخارجها ولا تتباعد، كما ينبغي أن تكون ذات جرس خاص يهز النفس ويثير الشعور، وتكون الجمل ذات مقاطع قصيرة؛ كل جملة كاملة في معناها.

إن من أهم خصائص الأسلوب الخطابي عنصر الشعور والوجدان والإثارة والتشويق، وإذا فقد ذلك فُقِد أكبر خصائصه.

وأسلوب التكرار والتفنن في التعبير عنصر هام في الخطابة، فالخطيب محتاج إلى تكرار فكرته، ومغايرة تصويره، فمرة بالتقرير، ومرة بالاستفهام، وأخرى بالاستنكار، ورابعة بالتهكُّم. أما فن الإيجاز والإطناب فيختلف من حال إلى حال، فيراعى حال السامعين في إقبالهم، ومللهم، ونوع الموضوع، وظروف الإلقاء، وردود الفعل عند السامعين.

أما ألفاظ الخطبة وعباراتها فينبغي أن تتَّسم بالوضوح والبيان لتكون سهلة الإدراك من السامعين سريعة الإيصال إلى المقصود بعيدة عن الوحشِيِّ والتكلف.

وفي ذات الوقت تبقى محترمة غير مبتذلة تحفظ للخطيب وخطبته الهيبة والوقار، وللموقف مكانته وجلالته.

فهي ألفاظ منتقاه في غير إغراب في أسلوب سهل ممتنع يفهمه الدهماء ولا يجفو عنه الأكْفَاء.

ومن الحذق في المعرفة أن يُدرك الخطيب أن خطاب الحماس غير خطاب التألم، وحديث الترغيب غير حديث الترهيب، وأسلوب تعداد المفاخر وزرع الثقة غير أسلوب التواضع وذم الكبر والمتكبرين، والخطيب المتمرِّس هو الذي يضع كل نوع في موضعه، ويختار لكل كلمة قالبها وميدانها.

أما السجع فيجمل منه ما ليس بمتكلف، قصير الفقرات، سهل المأخذ، يخف على السمع، ويحرك المشاعر بحسن جرسه، ويكون خفيفاً سهلاً إذا سلم من الغثاثة وجانب الركاكة، اللفظ فيه تابع للمعنى وليس المعنى تابعاً للفظ، ذلك أن السجع حلية، والحلية لا تحقق غرضها في الجمال إلا إذا كانت قليلة غير متكلفة، حسنة التوزيع؛ تبرز المحاسن ولا تغطيها.

ويرتبط بالسجع رعاية المقاطع والفواصل فتكون جملاً قصيرة مكتملة الفائدة عند الوقف في آخرها، والجملة إذا طالت وتأخرت إفادتها للسامع أدركه الثقل والملل، وضاعت عليه الفائدة وحسن المتابعة.

٣ـ اللسان المعبر:

ويقصد به الإلقاء وحسن الإجادة فيه. وقبل أن نبسط القول فيه يحسن التطرق لحديث مقارنة بين الارتجال والكتابة.

بين الارتجال والكتابة:

كثير من الكاتبين والناقدين يستحسنون في الخطيب أن يلقي خطبه ارتجالاً. فهذا عندهم أعظم أثراً، وأكثر انفعالاً، وأقدر على إعطاء الموقف متطلباته من خفض، ورفع، وتهدئة، وزجر،

وقد يدوِّن المرتجل عناصر مقولته في كلمات أو جمل يعاود النظر فيها بين فينة وفينة.

وقد يوجد في الخطباء من يعد الخطبة ويحسن تحبيرها ثم يحفظها حفظاً عن ظهر قلب.

والارتجال بأنواعه وطرقه لا يكون مؤثراً ما لم يسبقه إعداد محكم وحبك للعناصر في النفس على نحو ما سبق في الكلام على الإسلوب.

وثمة فئة من الناس تكتب الخطبة وتلقيها من القرطاس، وهو مسلك مقبول ولكن ذلك لا يؤتي ثمرته ولا يحقق غايته، ما لم يكن الخطيب قد أحسن الإعداد وتأمل فيما كتب وأعاد النظر فيه تأملاً وقراءة وإصلاحاً وتخيراً للألفاظ وانتقاءً للعبارات، بحيث يكون في إلقائه متفاعلاً مع ما يقول مستوعباً لما يلقي ليُحرك المشاعر ويثير العواطف، ويستحسن أن يكون في قراءته وإلقائه مشرفاً على السامعين بنظره بين فترة وأخرى ليعرف حالهم ويسبر مشاعرهم وانفعالاتهم.

الإلقـاء:

هو الغاية التي ينتهي إليها الإعداد والبناء، وهو الصورة التي يتلقى بها السامع حصيلة ما جاد به خطيبه؛ فلا يبقى للخطبة أثرها، ولا لحسن الأسلوب وقعه، ولا لجودة التحضير ثمرته ما لم يُصَبَّ في قالب من الإلقاء يحفظ الجهد، ويبقي المهابة، ويشنِّف الأسماع، ومن أجل تحقيق ذلك يحسن مراعاة ما يلي:

جـودة النطـق:

فيخرج الحروف من مخارجها من غير تشدُّق أو تكلف فيلقيها حسنة صحيحة واضحة في يسر وترفُّق وتدفُّق.

مجانبـة اللحـن:

ينبغي للخطيب أن يعتني عناية تامة باللغة العربية صرفاً ونحواً فينطق لغة عربية صحيحة فصيحة، فاللحن يفسد المعنى، ويقلب المقصود.

وإذا فسد المعنى أو التبس ذهب رونق الخطبة وبهاؤها وحُسْن وَقْعِها، إضافة إلى فساد المعنى من حيث يدري أو لا يدري.

التمهل في الإلقاء:

النطق السريع المتعجل يُفقِد المتابعة، كما أنه قد يشوه إخراج الحروف فيختلط بعضها ببعض، وتتداخل المعاني، وتلتبس العبارات، وقد يؤدي به التعجل إلى إهمال الوقوف عند المقاطع ورعاية الفواصل.

ومن جهة أخرى فإن التمهل والترسل في الأداء من أدل الدلائل على رباطة الجأش، فيجتمع للخطيب الهدوء في الكلام، والأناة في النطق، والجزالة في الصوت.

وهذا التمهل الذي ندعو إليه لا ينبغي أن يقود إلى هدوء بارد، وتثاقل مميت، ولكنه تمهل لا يعارض ما يُطلب من الخطيب من خفض ورفع وعلو نبرات مما يبعث على الحياة، وحسن المتابعة، ودفع السآمة.

الحركـات والإشـارات:

للإشارات والحركات أثرها أثناء الحديث والخطابة، ومن هذه الحركات ما هو غير إرادي فالغاضب يقطب جبينه ويعبس وجهه، وذو الحماس تنتفخ أوداجه وتحمرُّ عيناه، ومنهم من تنقبض أصابعه وتنبسط، ومنهم من يبكي خشوعاً ورقة، ويعلو صوته حماساً وتفاعلاً.

وبعضها إرادي من إشارات توجيهية يحتاج إليها في تنبيه لبعيد أو قريب، إشارات تعكس الانفعال والمشاعر، وتعين على مزيد من المتابعة والتوضيح.

وينبغي أن تكون إشارات منضبطة بقدر معقول، وانفعال غير متكلف، ومتساوية مع الشعور الحقيقي.

طريقـة البنـاء:

تبنىٰ الخطبة عادة من ثلاثة أجزاء: المقدمة، والموضوع، والخاتمة. وهي عناصر لا يصرح بها في أثناء الكتابة أو الإلقاء، كما أنها عناصر متداخلة متناسقة، يبلغ الترابط بينها جودته حسب مقدرة الخطيب، وغزارة علمه، وخبرته؛ فتنتظم أجزاء الخطبة ويحكم تركيبها.

وهذا الانتظام والإحكام يجعل المعاني واضحة، والمقاصد ظاهرة، ويضمن للمتحدث حسن الإصغاء من سامعيه وكمال الانتباه من جالسيه.

وقد لا يلزم مراعاة هذه الأجزاء في كل خطبة لكن خطبة الجمعة غالباً ما تحتاج إليها نظراً لأنها خطبة طويلة غير قصيرة.

المقدمـــة:

ينبغي أن يهتم الخطيب بمقدمته وافتتاحيته، فيأتي بعبارات الاستهلال التي توحي للسامع بمقصود الخطبة، مما يشدُّ الانتباه ويهيىء النفوس، وقد يكون ذلك بآيات قرآنية زاجرة أو مرغبة، أو بعضِ الحكم البليغة، والافتتاحية هي أول ما يلقيه الخطيب على جمهوره، فإذا ما فاجأهم بحسن التقديم استطاع متابعة بقية خطبته بانطلاق ونشوة، وعاش مع جمالها اللفظي، وسبكها الفني، ومعناها الدقيق.

وإن الناظر في افتتاحيات أوائل السور في القرآن الكريم، يدرك ما تثيره في النفس من الإجلال والشوق والرغبة في المتابعة، فترى الافتتاح حيناً بالثناء على الله عز وجل وتسبيحه وتنزيهه، وحيناً بالنداء أو الاستفهام أو القسم مما يُولِّد الرغبة في المتابعة ويُولِّد اللهفة في الاستكشاف لدى كل ذي ذوق رفيع وحس مرهف.

والمقصود أن يكون في صدر الكلام ما يدل على غاية المتحدث، على أن من المعلوم أن خطبة الجمعة تفتتح بحمد الله والثناء عليه والشهادتين والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، ويكون في هذه الألفاظ من حسن الانتقاء ما يدل على موضوع الخطبة ومقصودها.

ومعروف عند المتقدمين من السلف ـ رحمهم الله ـ أن ما لا يبتدأ بالحمد فهو الأجذم الأبتر، وما لم يزين بالصلاة على رسول الله ﷺ فهو المشوَّه.

الموضــوع:

وهو مقصود الخطبة الأعظم، وقد أشرنا في الكلام على أنواع الخطب إلى معظم مقاصد خطبة الجمعة.

وقد يكون من المناسب التصريح به في مبتدإِ الخطبة كأن يقول: أريد أن أحدثكم عن كذا.. إذا كان من قضايا الساعة التي يخوض فيها المجتمع ويتطلع إلى كلام شاف فيها.

وقد لا يحسن التصريح به، إما لأنه شائك أو يوجب انقسام الناس، وفي هذه الحالة ينبغي أن يدخل إليه الخطيب دخولاً متدرجاً، ويتناوله تناولاً غير مباشر، ليأخذ السامعين بتسلسل منطقي فيصل إلى مبتغاه باعتدال وتوازن متحاشياً الإثارة والانقسام، ومن ثَمَّ يبلغ الخطيب غايته من تهيئة النفوس إن كانت عنه معرضة، وإليه غير مقبلة، أو كان حديثاً في غير ما تألفه نفوسهم.

وموضوع الخطبة عادة ما يبتني على ركنين أساسيين هما: التعريف والإيضاح، والاستدلال.

أما التعريف والإيضاح:

فلا يقصد به ما يعتني به الباحثون المتخصصون من اللغة والإصطلاح، ولكنه يكون بذكر الصفات والخواص والمزايا لذات الموضوع، وقد يكون بذكر الاستعارات والتشبيهات وضرب الأمثال والإجمال ثم التفصيل والتضادّ والتقابل. وانظر إلى هذا التعريف من علي رضي الله عنه للمتَّقين من خلال أوصافهم ونعوتهم فهو يقول: «المتَّقون هم أهل الفضائل، منطقهم

الصواب، وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع، غضُّوا أبصارهم عن الحرام، ووقفوا أسماعهم على النافع من العلم، نزلت أنفسهم منهم في البلاء كالتي نزلت في الرخاء، ولولا الأجل الذي كُتب لهم لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب».

أما الاستدلال:

فغالبا ما يحتاج الموضوع إلى ما يدعمه بالأدلة والحجج والبراهين والشواهد، وهي عادة ما تكون من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وإيراد بعض الوقائع والأحداث من باب القياس والاعتبار، بل إن زيادة الإيضاح والبسط والبيان نوع من التدليل وكسب إقناع المستمعين بصدقها أو أهميتها أو خطورتها، ومما يدخل في هذا الباب دخولاً أولياً ربط الحاضر بالماضي وبخاصة تاريخ السلف الماضين، فإن النفوس تحفظ تقديراً وإكباراً لسلفها المجيد وأصحابه الأماجد ولأمر ما قال الكفار: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف: ٢٢] وقالوا: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾ [البقرة: ١٧٠].

ويُفيد في هذا الباب النقل عن مشاهير الأئمة وحكمائها ممن عرفوا بالصلاح والإمامة والمروءة والزهد والشجاعة والورع حسب ما يقتضي المقام ويناسب المقال.

الخاتمة:

بعد أن يفرغ الخطيب من عرض موضوعه، وسوق أدلته، وضرب أمثلته وبيان دروسه وعبره وترغيبه وترهيبه، يحسن أن يُنهي خطبته بخاتمة مناسبة تجمع أفكاره، وتلخص موضوعه،

بعبارات مغايرة، وطريقة مختصرة، لأن الإطالة في هذه الحالة تجلب الملل وتشتت الفكر.

ولا ينبغي أن تحتوي على أفكار جديدة وأدلة جديدة؛ لأنها حينئذ لا تكون خاتمة وإنما جزء من الخطبة وامتداد لها.

وتكون الخاتمة قوية في تعبيرها وتأثيرها؛ لأنها آخر ما يطرق سمع السامع ويبقى في ذهنه، وإذا كانت ضعيفة في تركيبها فاترة في إلقائها، ذهبت فائدة الخطبة، ذلك أنَّ من نجاح الخطيب أن يلقي خاتمته بثقة وطريقة مؤثرة ومقنعة، وكأنه يشعر جمهوره بأنه قد انتهى إلى رأي ومسألة لا تقبل الجدل ولا تحتمل النظر.

وقد تكون الخاتمة آيات قرآنية لم يسقها من قبل تجمع موضوعه في الترغيب أو الترهيب أو التدليل والإثبات، وقد تكون حديثاً نبوياً يفيد ما تفيده الآيات القرآنية.

وقد يكون إعادة لعناصر الخطبة بأسلوب مغاير ـ كما أسلفت ـ وبطريقة جامعة واضحة ذات تأثير قوي. هذا ما يتعلق في بناء الخطبة.

وثمَّة مسائل لا يسع الكاتب إغفالها من أجل استكمال التصور الشامل عن الخطبة وحسن إعدادها وهي مسائل ثلاث: وحدة الموضوع، الجدة والتغيير، طول الخطبة.

١ـ وحدة الموضوع:

ينبغي الاقتصار على موضوع واحد تستوفي عناصره وتُحبَّر كلماته وتعمق معالجته؛ لأنَّ تَشَعُّبَ الموضوعات وتعدُّد القضايا في المقام الواحد يُشتِّت الأذهان، ويُنسي بعضها بعضاً،

ويقود إلى الإطالة المملة والصورة الباهتة وسطحية المعالجة.

٢ـ الجـدة والتغييـر:

ويعني ذلك ألا يلتزم الخطيب طريقة واحدة أو وتيرة واحدة في أسلوبه وطريقة إلقائه، بل يكون استفهامياً تارة، وتقريرياً أخرى، وضرباً للأمثال، وتلمُّساً للحكم والأسرار، مع ما يطلب من معايشة الأحداث، ومتابعة المتغيرات، وتلمُّس حاجات الناس وتوجيههم وتبصيرهم تمشياً مع أثر هذه المتغيرات عليهم.

على أنَّ الخطب المنبرية بطبيعتها قد تستدعي تكراراً لبعض مواضيعها إن لم يكن كثيرٌ منها، لأن من أعظم أغراضها ومقاصدها الدعوة والتذكير. والتذكير في حقيقته يعني الحديث عن شيء سبق علم السامع به فهو تنبيه لغافل، وحثٌّ لمقصر، مما يستدعي التجديد في الطرق والأسلوب والمعالجة، كالتوحيد والعبادة والصلاة والصوم والزكاة وبرّ الوالدين والمحرمات من الربا والزنا والخمر والزور وأكل أموال الناس بالباطل وأمثالها، مما يجب مراعاة التجديد في طرقها والتغيير في عرضها.

طـول الخطبـة:

من المعلوم أن معالجة الموضوعات تختلف باختلاف محتواها وظروفها وسامعيها. ففي بعض الظروف يحسن البسط والإطناب، ويكون السامعون مستعدين للاستماع، كما هو مشاهد في ظروف الأزمات والأوضاع ذات النقاشات الحادة والأحوال المتوتِّرة، كما أن بعض الخطباء عنده من الجاذبية، وحسن العرض، والإلقاء، ولطف التودد، والأخذ بالألباب، ومجامع العقول؛ ما يجعلهم يطلبون المكوث حول خطيبهم ويقبلون منه الإطالة، إن هذه

ظروفٌ وأوضاعٌ لا تنكر، ولكنَّ الحال الأغلب والواقع الأعم أن النفوس لها حد تحسن فيه الاستماع وتدرك فيه المعاني، بعده تتشبع وتقف ويصبح الكلام عندها مملولاً، والكلام ثقيلاً، وينسي بعضه بعضاً، فالوصية العامة للخطباء أن يجتنبوا الإطالة ويجنحوا إلى الاعتدال وتغليب جانب الاختصار على الإطناب في أعم الأحوال، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه**».

ويحسن من الخطيب أن يعوِّد سامعيه على زمن معتدل ثابت يلتزمه، فإنهم إذا خبروه بانضباطه ودقة التزامه أحبوه ولازموا حضوره.

ومن الخير للخطيب وجمهوره أن ينفضوا وهم متعلقون بخطيبهم من غير ملل أو سآمة.

صفات الخطيب وآدابه:

لكل خطيب متميز خصوصيته مهما كانت الأفكار بديعة، والابتكارات متميزة، والاختيارات قوية، والأسلوب رصيناً، والإلقاء عالياً، فلن تتحقق المثالية والأنموذجية للخطبة بهذه العناصر وحدها؛ لأن هناك عاملاً مهماً لا يجوز إغفاله، إنه خصوصية الخطيب وانفراديته، وبعبارة أخرى انصهارية هذه العناصر وانسجامها، وهذا لا يتأتَّى إلا من خلال الخطيب وشخصيته وتكامل موهبته وخصائصه العلمية والفنية.

إن الخطبة كاللباس المفصَّل على القامة لا يظهر جماله ولا يتكامل بناؤه إلا بقدر انسجامه على بدن اللابس.

إنَّ جودة اللباس وحسن لونه ونوع خياطته ودقة تفصيله لا تكفي في إعطاء الملبس الحسن إلا بعد اتساق ذلك مع قامة اللابس وبدنه، ولهذا فإن الخطبة الجيدة مستوفية العناصر لو ألقاها غير صاحبها لما ظهرت بذات القوة والتأثير والجمال والتأثر.

إذا كان الأمر كذلك فينبغي للخطيب المتطلع للنبوغ والإبداع أن يعرف مواهبه الخاصة ويحسن صقلها وتنميتها، ويستقل بالابتكار والاختيار والأسلوب والإلقاء؛ لأن المداومة على التقليد والمحاكاة وإطالة الاقتباس لا تنتج خطيباً متميزاً ذا خطب مثالية، والله المستعان على الإحسان والإخلاص.

وهذا عرض لما ينبغي أن يكون عليه الخطيب من صفات وما يتحلى به من آداب.

صفات الخطيب:

تنقسم الصفات المبتغاة في الخطيب إلى نوعين: صفات فطرية وصفات مكتسبة.

الصفات الفطرية:

ويقصد بها الصفات الذاتية لدى الخطيب من الاستعداد الفطري، والسليقة الطبيعية، من طلاقة اللسان، وفصاحة المنطق، وثبات الجنان وصوت جهوري، وأداء متوثِّب، ولسان مبين سليم من عيوب الكلام كالفأفأة والتأتأة لتكون مخارج الحروف عنده صحيحة.

والخطيب كغيره من المربين والموجهين يحتاج إلى عقل راجح

يقوده إلى البحث المركَّز، والملاحظة الدقيقة، وحسن المقارنة، والمعرفة بطبائع الأشياء، وسلامة الاستنتاج، مع يقظة حية وبديهة نيِّرة، يُضمُّ إلى ذلك الجرأة والشجاعة والثقة بالنفس ورباطة الجأش، وهذه الصفات تتوثق مع قوة التكوين العلمي وجودة التحضير وطول الخبرة.

الصفات المكتسبة:

وهي صفات ينالها الخطيب بالدراسة والمران والدربة، ويمكن تفصيل ذلك فيما يلي:

١ ـ القراءة والاطلاع والتحصيل الكافي من العلم:

لابدَّ للخطيب صاحب الموهبة الفطرية من تهذيب فطرته هذه وصقلها بالعلم والدراسة، ويتركز ذلك في عدة مسارات:

أ ـ علوم القرآن والسنة:

وهذا هو لبُّ بضاعته، والسبيل إلى تحقيق غايته، ينضمُّ إلى ذلك إلمام بالسيرة وتاريخ الأمة وأئمتها ودراية بأحكام الشريعة، وقد تحسن العناية بأنواع من العلوم التي تفيد في معرفة أحوال الأمم وسنن الله في التغيير كالعلم بنشأة الأمم ومراحل التاريخ وعلم الأخلاق والنفس والاجتماع.

ب ـ الإكثار من الاطلاع على الكلام البليغ:

النظر في أقوال البلغاء متأملاً في مناحي التأثير وأسرار البلاغة، متذوقاً جمال الأسلوب وحسن التعبير، فهذا مما يشحذ القريحة ويذكي الفطنة.

ج ـ تحصيل ثروة كثيرة من الألفاظ والأساليب:

الخطيب يحتاج إلى عبارات وأساليب متنوعة للمعنى الواحد ليتمكن من إيصال المعنى لطبقات السامعين ودفع السآمة عن نفوسهم، ولا يخدمه في ذلك إلا ثروة لغوية، ثروة من أجل أن يأخذ بنواصي البيان، فيلقي جُملاً تُثير خيال النفس، وتهزُّ مشاعر الوجدان، فتنشِّط الأسماع وتشرئبُّ لها الأعناق وتتفتح القلوب للعبارات المحكمة والمعاني المتقنة، وبهذا ينطلق اللسان ويظهر البيان، وتتشنف الأسماع.

٢ـ الدربة والمران:

الخطابة ملكة لا تتكون دفعة واحدة بل إنها معاناة وممارسة ومران، وإذا كانت الخطابة فكرة وأسلوباً وإلقاءً محكماً فإن المران ينبغي أن ينتظمها كلها. ففي باب الفكرة عليه أن يتعود ضبط أفكاره ووزن آرائه وحسن الربط بينها ليأخذ بعضها برقاب بعض ويوصل بعضها إلى بعض بتسلسل منطقي مرتب.

وفي باب الأسلوب ـ كما سبق ـ الإحاطة بالقول البليغ وحفظ كثير من عيونه وحسن استخدامها.

أما الإلقاء ـ فكما سبق أيضاً ـ يجمل بالخطيب إجادة الدقة في مخارج الحروف وحسن أدائها بترسُّل وتخيُّر نبرات الصوت الملائمة انخفاضاً وارتفاعاً غير هيَّاب ولا وجِل.

وإذا ما تمَّ له ذلك اصبح واثق العلم رصين الأسلوب، رابط الجأش، مطمئن النفس، ثابت الجنان، ولو حصل عكس ذلك أو قلَّ مرانه لأحاط به الاضطراب والضعف وهان في أعين الحضور

واضمحل تأثيره وذهب كلامه هباءً وتصبب عرقاً وغرق في الحيرة والدهشة وعلاه الإرتاج والإفحام.

إضـافـات:

هذه أساسيات التحصيل العلمي والدربة، وهناك ملاحظات متعلقة بها يحسن بالخطيب رعايتها، منها:

٣ـ تجنب الخوض فيما لا يعلم:

على الخطيب الابتعاد عن الخوض فيما لا يعلم فإن هذا مُوقعٌ في الارتباك والحديث غير المفهوم، فتضيع الهيبة والوقار ويصبح محل التندر مما يمنع الاستفادة والقبول وينفر الجمهور.

٤ـ مخاطبة الناس بما يعرفون:

من الخطأ وقلة الفقه في خطاب الناس الخوض في دقائق العلوم والمعارف، وتفاصيل المباحث إثباتاً أو نفياً ونقاشاً علمياً والغوص في الخلافات العلمية والفقهية مما مجاله حلق العلم وقاعات الدراسة، ناهيك بمن يخوض في العلوم التجريبية والعلوم البحتة من طب وتشريح وفلك ودقائق خلق الإنسان والحيوان ومكونات الأرض والصخور مما لا تدركه فهوم عموم المستمعين فهذا يمنع الفائدة ويُجرِّىء على الاستهانة بالخطيب وموضوعه.

٥ـ مراعاة مقتضى الحال وأحوال السامعين:

لكل مقام مقال، ولكل جماعة لسان، فالحديث إلى العلماء غير الحديث إلى الأغنياء، والحديث إلى العامة غير الحديث إلى العِلْية، خطاب الأميين غير خطاب المثقفين، والكلام في حالات

الأمن يختلف عنه في حالات الخوف، وقل مثل ذلك في اختلاف الظروف وتقلبات الأحوال من غنى وفقر وصحة ومرض ورخاء وجدب، ومخاطبة الثائرين غير مخاطبة الفاترين، فالثائر يقمع والفاتر يوقظ.

والمتكلم الجيد يعرف أقدار المعاني ويُوازن بينها وبين أقدار السامعين وأقدار الأحوال، فيجعل لكل طبقة كلاماً ولكل حال مقاماً، فيقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني وأقدار المعاني على أقدار المقامات.

ناهيك بمراعاة الفروق بين خطاب أهل القرية النائية والمدينة المكتظة، فصخب المدينة وأحداثها غير عزلة القرية ومحدوديتها.

آداب يلتـزم بهـا:

يضاف إلى ما سبق من الصفات فطريها ومكتسبها بعض آداب تفيد في تحقيق النفع وبلوغ الأثر وحصول القول.

١ـ صدق اللهجـة:

لابد أن يظهر الخطيب مخلصاً صادقاً حريصاً على قول الحق والعمل به والدعوة إليه، فهذا ينبت الثقه فلا يُسرف في مدح ولا ذم ولا وعد ولا وعيد، يبتعد عن فاحش القول وبذيئه يستغني بالكناية عن التصريح فيما يستهجن فيه الإفصاح، فعفة اللسان ونزاهته دليل على نزاهة القلب وصفائه.

٢ـ التودد للسامعين:

ينبغي للخطيب أن ينحو منحى الرفق والتبشير والتيسير قدر المستطاع، ومن أظهر المحبة كان أجدر بأن يُستجاب له، ومن

أغضب واستثار كان أحرى بأن يُردَّ قوله.

ومما يدخل في هذا الباب البعد عن العُجْب والحديث عن النفس وتجنب الأغراض الشخصية، فظهور الغرض الشخصي يجعل للريبة مدخلاً، فحقُّه أن يسبقهم في المكارم، ويَقْدُمُهم في المغارم، ويُقَدِّمهم في المغانم.

٣ـ الورع والصلاح:

الورع والتدين والعفة والصلاح من أدلَّ الدلائل على الصدق والإخلاص وتجرد الإيمان والبعد عن الأغراض والأهواء، فعلى الخطيب أن يتسربل بسربال التقوى، ويتدثر بدثار الاستقامة.

٤ـ اليقين العميق والاقتناع الشخصي:

يجب أن يكون الخطيب شديد الثقة بما يقول، صادق اليقين بما تفيض به نفسه وينطق به لسانه، إذ لا يُؤَثِّر إلا المتأثر، وما كان من القلب فهو يصل إلى القلب.

إن قوة الاعتقاد وصحة اليقين تُكسب الكلام حرارة، والصوت تأثيراً، والألفاظ قوة، والمعاني روحاً، وكل ذلك يُولِّد جواً عاطفياً حول الخطيب يجعل كلامه متصلاً بوجدانه.

٥ـ صفات وآداب عامة:

ما سبق لم يكن حصراً للصفات والآداب، ولكنها إشارات بينها ترابط وفي ثناياها أمارات إلى غيرها مما قد تراه مبسوطاً في مراجع أخرى، فالحديث في مثل هذه الصفات والآداب يعمق ويتشعب، وبخاصة في مثل الخطيب والموجه والمربي والمعلم ورجل الدعوة، فهم أمثلة تحتذى ويوجهون بأعمالهم وصفاتهم

قبل أقوالهم وعلومهم، وهاك سرداً لبعض الصفات لتدلّك على ما قلنا، مما لا ينبغي أن يغفل عنه الخطيب وأمثاله ويتعاهد نفسه بفحصها وتجديد تقويتها في ذاته والالتزام بها من الحلم، وسعة الصدر، والتواضع، والصبر، والقوة، والحنو على الناس، وخدمتهم وإظهار الشفقة عليهم، وتجنيبهم الجدل والخصام، وأثر ذلك على عمله ومهمته وقومه لا يخفى إيجاباً في الالتزام وسلباً في الخلل والتقصير، والله المستعان.

مصادر الخطبة:

يتم إعداد الخطب المنبرية وجمع عناصرها من المصادر والمراجع الإسلامية، والكتابات الاجتماعية والتربوية والثقافية، وإليك استعراض إجمالي لبعض هذه المصادر وكيفية الاستفادة منها:

١ـ القرآن الكريم وتفسيره:

يمكن أن تكون الاستفادة في تقديري على طريقين:

أحدهما: باستعراض النصوص القرآنية وجمعها وحسن ترتيبها، ويكون هذا في موضوعات الخطب التي عرض لها القرآن بتفصيل واسع، كالإيمان والتوحيد والتقوى وأحوال القيامة واليوم الآخر والجنة والنار وقصص الأنبياء وأشباه ذلك، فجمع الآيات واستعراضها يعطي تكاملاً وشمولاً وبياناً لدى السامع، قد لا يدركه لو قرأ الآيات في مواضعها من المصحف.

ويتبع الجمعَ الاطلاعُ على تفسير هذه الآيات ألفاظاً وإجمالاً، ومن ثَمَّ الربط بين هذه الآيات، ومن المعلوم أن حسن الربط

يعطي مزيد إيضاح وبيان حتى كأنَّ السامع لم يقرأ الآيات من قبل.

ثانيها: إذا كان موضوع الخطبة مما لم يرد تفصيله في القرآن الكريم ولكن يستدل له بآيات من القرآن.

فهذه يفيد فيها استعراض المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ليكون الاستيعاب أتم وأوفى، فاللفظة ترد في القرآن الكريم على وجوه وتصريفات متعددة، ومن المفيد جداً استعراض هذه الوجوه وتدقيق النظر فيها وربطها بنظائرها، ومراجعة أقوال أهل العلم من المفسرين وغيرهم، ولسوف يجد الخطيب إشارات قرآنية بليغة وفهوماً للعلماء دقيقة وأسراراً من المعاني عميقة تجعل خطبته تحتلُّ مكاناً مرموقاً لدى سامعيه ومتابعيه.

وغني عن البيان أنَّ كتب التفسير تتنوَّع في تناولها وطرائق تفسيرها، فمنها ما يهتم بالمأثور ومنها ما يعتني بالرأي وفيها اللغوي والإجمالي وغير ذلك من اتجاهات التفسير في كتب التفسير قديمها وحديثها.

٢ـ الحديث الشريف وشروحه:

ما قيل في القرآن الكريم يُقال في الحديث الشريف، فهو المصدر الثاني من مصادر الإسلام، والحديث النبوي أكثر تفصيلاً وسعة من القرآن الكريم فهو شارح للقرآن ومبيِّنه، وقد حوى من التفصيل والبيان ما زخرت به مدونات السنة يضمُّ إلى ذلك شروح أهل العلم وفهومهم واستنباطاتهم، مما يوفر للخطيب معيناً

لا ينضب فيما يتوجه إليه من موضوعات.

٣ـ مصادر إسلامية قديمة:

وهي ما عدا التفسير وشروح السنة من كتب العقائد والأحكام والمواعظ والأخلاق والرقائق وغيرها، يختار منها الخطيب ما يُناسب موضوعه تأصيلاً واستدلالاً وأسلوباً، ويُذكر على سبيل المثال مدارج السالكين، وزاد المعاد لابن القيم ـ رحمه الله ـ، ومجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، وصيد الخاطر لابن الجوزي، وأدب الدنيا والدين للماوردي وروضة العقلاء للبستي، وجامع العلوم والحكم لابن رجب.

٤ـ كتب الأدب القديم والحديث:

وهذه يعتني بها الخطيب من أجل رقيِّ الأسلوب، وتخيُّر الألفاظ، وانتقاء الكلمات والعبارات الجزلة الأخاذة ذات الوقع المتميز على السامع، ومن هذه الكتب القديمة البيان والتبيين للجاحظ، وصبح الأعشى للقلقشندي، فأسلوبها متميز والصناعة اللفظية فيها عالية، على ما يتعين على الخطيب من ملاحظة المعاني الصحيحة التي لا تُخالف مقاصد الشرع وأصوله.

ومن الكتب الحديث مؤلفات الرافعي، والخضر حسين، ومحمد محمد حسين، والعقاد، وأحمد حسن الزيات، والسيد أحمد الهاشمي وأمثالها.

٥ـ الكتب المؤلفة في الإسلام والقضايا المعاصرة:

تزخر الساحة العلمية والأدبية بكتب إسلامية معاصرة جيدة، توفر للخطيب ثروة هائلة في إعداد مواضيعه وبخاصة الاجتماعية

منها والتربوية وقضايا العصر وأحداث الوقت، فهي تتحدث بلغة معاصرة جيدة وبمعالجات مناسبة، يحسن من الخطيب كثرة المطالعة فيها، مثل : محمد سالم البيحاني وكتابه إصلاح المجتمع، وسلسلة دعوة الحق التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي.

٦ـ المؤلفات في الخطب:

وهي مؤلفات خاصة تشتمل على خطب الجمعة والعيدين، ألقاها مؤلفوها في مواضيع متنوعة، والسوق المكتبية مليئة بهذا النوع من المؤلفات يجدر بالخطيب وبخاصة في بدايات عمله الخطابي أن يطَّلع عليها، وهذه المؤلفات غالباً ما تحتوي على مواضيع متشابهة في الطرح من الإيمانيات والمواعظ والقضايا الاجتماعية، مما يُتيح للخطيب المبتدىء فرصة المقارنة بين مناهج الخطباء وطرق عرضهم وأساليب طرحهم مما يعينه على رسم خط متميز لنفسه، ولهذا ينبغي الاطلاع على هذه المؤلفات في بدايات الممارسة الخطابية حتى إذا اشتد عوده واتسعت مداركه ومعارفه استقل بنفسه، وتوجَّه إلى المصادر الأصلية، فصار ينشىء الخطب ويرسم لنفسه خطاً خاصاً وطريقاً منفرداً، ومن المؤلفات في هذا الباب خطب المراغي والبيحاني والشيخ عبدالله خياط، والشيخ محمد بن عثيمين، والشيخ صالح الفوزان والشيخ محمد بن سبيِّل.

٧ـ الصحف والمجلات:

يجدر بالخطيب مواكبة الأحداث ومسايرة الوقائع، وقد يفيده في ذلك الإطلاع على الصحف والمجلات ليُتابع الأحداث

المستجدَّة، ويُمعن النظر في المقالات والتعليقات التي تواكب الحدث، ففيها ثراء وتوسيع لمدارك المتابع، وبصر بتفسير الأحداث، مما يهدي الخطيب إلى النظرة المتوازنه وبخاصة إذا كثر اطِّلاعه على الكتابات والتعليقات الصحفية للكُتَّابِ المرموقين.

وقد تكون المجلات أكثر إفادة لأنها تعالج بعمق أكبر، فإذا كانت الصحافة تهتم بالحدث اليومي السريع، فإن المجلة تدخل إلى الحدث بعمق أكبر.

وهناك مجلات إسلامية وعلمية متخصصة ينبغي مزيد الاعتناء بها لما تحتويه من مادة علمية مؤصلة مدللة تعين الخطيب على غايته، مثل مجلة البحوث الإسلامية، والدعوة، والبيان، والإصلاح، والمجتمع.

نهاية:

وبعد، فهذا ما تيسر تدوينه من النظر في تعريف الخطبة وإعدادها، سائلاً المولىٰ جلت قدرته وعز شأنه أن يهدي للتي هي أقوم من العمل والأحسن من القول، ويوفق للإخلاص في القول والعلم والعمل، وما كان من صواب فمن الله، وما كان من خطأ فمن نفسي ومن الشيطان، ورحم الله من أهدى إليَّ عيوبي، ولا عدمت أخاً يدمح زلة، وينبه إلى غلطة، وكفى بربك هادياً ونصيراً. وصلى الله وسلم على خير خلقه، نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله بين يدي الساعة بشيراً ونذيراً، وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى أصحابه أجمعين، ومن سار على نهجهم ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً. . . وبعد:

فإن المسجد قلب المجتمع الإسلامي، وملتقى المؤمنين بالغدو والآصال، تؤدى فيه حقوق لله، وترتفع فيه أيد تستمد العون منه سبحانه. وهو مصدر قوة في العبادة وزاد في العلم، في الجمع والأعياد، تنصت جماهير المسلمين في سكينة وخشوع للتذكير والتوجيه. يحضرون حلقات العلم التي تُعمرُ بها مساجدهم، كما يستمعون إلى كلمات واعظة من إمام الحي أو عالمه فيحصل الخير، ويعم النفع وتأتلف القلوب، وتزول الوحشة بين العلم والعلماء والناشئة وعامة الناس. ذلك أن المساجد لها دورها ولها وظيفتها ولها أثرها ولعل من المناسب في هذه التقدمة بين يدي هذه الخطب الإشارة إلى بعض وظائف المسجد وما ينبغي مراعاته في خطبة الجمعة إعداداً وآداباً.

١ـ المساجد مركز الدعوة لأعز مطلوب وأهم مرغوب ذلكم توحيد الله وإفراده بالعبادة ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَـٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨] ﴿وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

٢ـ أمر الله عز وجل برفعتها وتعظيم شأنها والاهتمام بها ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦] بل إن رفعتها الحقيقية تتأكد حينما يعمرها عبد الله الصالحون الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.

٣ـ حَثَّ المسلمين على بنائها وإنشائها ورتب على ذلك الأجر الجزيل قال ﷺ: «**من بنى مسجداً لله تعالىٰ بنى الله له بيتاً في الجنة**»(١).

ويكفي لبيان أهمية المسجد في المجتمع المسلم أن أول عمل قام به النبي ﷺ حين قدم المدينة بناء المسجد الذي يقول الله فيه ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]. فإعداد المسجد يكون من أول يوم.

٤ـ المساجد أشرف البقاع وأحبها إلى الله ففي الحديث الصحيح «**أحب البلاد إلى الله مساجدها**»(٢)، وفي رواية أحمد «**خير البقاع في الأرض المساجد**».

٥ـ الحث على التردد إليها والاعتياد على ارتيادها، ذلك أن التكاسل عن الصلاة والتقاصر عن الجماعة من علامات النفاق

---

(١) متفق عليه من حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه. أخرجه البخاري (١/ ٦٤٨ ـ ح٤٥٠)، ومسلم (١/ ٣٧٨ ـ ح٥٣٣) واللفظ له.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٤ ـ ح٦٧١).

البارزة ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤].

وفي الحديث «**بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**»(١). «**ومن غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له نزلاً في الجنة كلما غدا أو راح**»(٢). ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «**رجل قلبه معلق بالمساجد**»(٣). وفي ذلك كلِّه حث ظاهر لإحياء رسالة المسجد وبيان أهميته.

٦ـ يضاف إلى ذلك: الحث على الانتظار في المسجد والبقاء فيه وفي ذلك من الخير ما لا يحصى. لاسيما مع الذكر وقراءة القرآن والتعلم وتفقد أحوال أهل الحي من المسلمين قال ﷺ: «**ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات قالوا بلى يا رسول الله، قال: قال إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة فذلكم الرباط**»(٤).

٧ـ أمر النبي ﷺ بتعاهدها بالنظافة وصيانتها من الأقذار وجلب الروائح الطيبة لها وإبعاد الروائح الكريهة عنها سواء من المصلين

---

(١) رواه أبوداود (١/ ١٥٤ ـ ح٥٦١)، والترمذي (١/ ٤٣٥ ـ ح٢٢٣)، وقال: غريب من هذا الوجه مرفوع، هو صحيح مسند وموقوف إلى أصحاب النبي ﷺ، ولم يُسْنَد إلى النبي ﷺ،ورواه ابن ماجه (١/ ٢٥٦ ـ ح٧٨١) بإسناد ضعيف، وانظر مجمع الزوائد (٢/ ٣٠، ٣١)، وأخرجه الحاكم (١/ ٢١٢) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.وبهذا فالحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ١٧٣ ـ ح٦٦٢)، ومسلم (١/ ٤٦٣ ـ ح٦٦٩) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري (٢/ ١٦٨ ـ ح٦٦٠)، ومسلم (٢/ ٧١٥ ـ ح١٠٣١).

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٢١٩ ـ ح٢٥١)، ومالك في الموطأ (١/ ١٦١).

أو من غيرهم استعمالاً أو أكلاً أو غير ذلك.

٨ـ توعد الله عز وجل من يمنع المساجد من أداء رسالتها على الوجه المطلوب أو سعى في خرابها بالخزي في الدنيا والعذاب العظيم في الآخرة. ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ ﴾ [البقرة: ١١٤].

٩ـ العلم والتعلم في المساجد من أبرز وظائفه وهو معدود من ذكر الله وتسبيحه وفي ذلك يقول ﷺ: «**ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»[١]. وإذا كانت المساجد لها مثل تلك الأهمية البالغة فمما لا شك فيه أن الأهمية تزداد والمسئولية تتعاظم بالنسبة لبيت الله الحرام (مسجد الكعبة) الذي تهفو إليه نفوس المسلمين في كل مكان وترنو إليه أبصار المؤمنين وأفئدتهم شوقاً إليه وتطلعاً لما يصدر عنه ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ [البقرة: ١٢٥] ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ ﴾ [المائدة: ٩٧].

ويحسن في هذا المقام أن أنبه في عجالة إلى بعض الأمور التي يجدر مراعاتها في خطبة يوم الجمعة. فهو يوم يجتمع في المسلمون كل أسبوع ليشهدوا الخير ودعوة المسلمين والتذكير بما يرقق القلوب ويلقح الفهوم ويجمع على الهُدىٰ والحق

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ـ ح٢٦٩٩)، وأبوداود (٢/ ٧١ ـ ح١٤٥٥)، وابن ماجه (١/ ٨٢ ـ ح٢٢٥).

والطريق المستقيم.

١ـ يحسن الاقتصار في الخطبة على موضوع واحد غير متشعب الأطراف ولا متعدد القضايا إذ أن ذلك في الغالب يشتت الأذهان وينسي بعضه بعضا. فمهما كانت العبارة بليغة والأسلوب منمقاً والفكر متدفقاً فإنه لا يستطيع مع الإطالة إعطاء صورة متكاملة مجتمعة الأفكار واضحة المعالم.

٢ـ ينبغي عدم التعرض لذكر الخلاف في الفروع، والانطلاق من المسلمات في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وفي ذلك متسع ثرٌّ في الوعظ والإرشاد، وبهذا تؤدي الخطبة دورها في التوجيه وجمع الكلمة والتمسك بشعب الإيمان، وما أكثر الفضائل والعزائم التي تناسب ميادين التوجيهات والمواعظ.

٣ـ الحرص قدر الإمكان أن يلائم موضوع الخطبة الأحداث الجارية والملابسات الواقعة في دنيا الناس ومخاطبة جماهير السامعين. فإنه مما يزري أن تكون الخطبة في وادٍ والناس والزمان في وادٍ آخر، وإن في نزول كتاب الله منجما مما ينبه إلى ذلك.

٤ـ ما ذكر في الفقرة السابقة لا ينافي المطالبة بأن يتخول الناس بذكر سير السلف الصالح ابتداء بالقدوة الأولى والرحمة المهداة محمد بن عبدالله ﷺ ثم صحابته من بعده والتابعين لهم بإحسان وذكر أمجاد المسلمين في شتى المجالات، والتنبيه إلى ينابيع الحضارة الإسلامية اليانعة والمتجددة فإن في ذلك زرعاً للثقة في النفوس وربطاً للمستقبل المأمول بالماضي المجيد،

وتأكيداً للإيمان بالرسالة العالمية وتأصيلاً للهوية الإسلامية.

٥ـ لا شك أن مما سيعرض له الخطيب طَرْق مجالات تنبه المسلمين إلى الأخطار الإلحادية والفلسفات الأجنبية والنزعات المنحرفة والنحل الباطلة، وهذا أمر مطلوب وقد يكون ملحاً في بعض الأحيان غير أنه ينبغي في سبيل ذلك الحرص على بيان حقائق الإسلام بقوة من غير خوض في أسلوب جدلي أو تجريحي ففي نصاعة الإسلام وقوته بحمد الله ما يكفي لدحر الباطل وافتراءات أهله.

٦ـ الخطيب في كثير من المقامات هو طبيب فعليه قبل وصف العلاج أن يتعرف على العلل والأمراض الشائعة ويشخص الداء ويعرف الأعراض فإذا استبان له ذلك رجع إلى الكتاب والسنة فوضع الدواء في موضع المرض وكلما دق التشخيص سَهُل العلاج. ومعلوم أن الواعظ غير المتبصر سيأتي بما لا يناسب وإذا أخطأ في تحديد العلة فقد تكون الخطبة لغواً على الرغم من شمولها على نصوص صحيحة.

٧ـ وإن الاهتمام بالخطبة والتحضير الجيد دليل على احترام المرء لنفسه والسامعين.

٨ـ الحرص على الإيجاز قدر الإمكان. والقدرة على ذلك تنبع من عمق الثقافة وقوة التحصيل ووضوح الصورة والإدراك التام لما يريد الخطيب الحديث عنه. ذلك أن النفس البشرية لا تزكو فيها المعاني إلا إذا أمكن تحديدها وتقويمها. أما مع كثرة الكلام وبعثرة الحقائق فإن السامع يتحول إلى شبه إناء قد امتلأ وبدأت

تسيل منه الكلمات مهما بلغت نفاستها. ومن الخطأ أن يظن المتكلم أن عليه أن يقول ما عنده وعلى الناس أن ينصتوا طوعاً أو كرهاً، هذا ما أمكن التنبيه إليه في هذه المقدمة.

وبعد فبين يديك أخي القارىء الكريم بعض من خطب ألقيت في المسجد الحرام. أرجو أن تجد فيها زاداً لفكر وموعظة لقلب وعلاجاً لمشكلة، وما كان من حق وصواب فمن الله سبحانه وله الفضل والمنة، وما كان من سوى ذلك فغفر الله الخطأ والزلل، ولا عدمت أخاً فاضلاً وقارئاً كريماً يدمح الزلة وينبه للغلطة.

توحيد وعبادة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ، ولا نعبدُ إلا إياهُ مخلصينَ له الدينَ. أحمدُهُ سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، ربُّ السمواتِ وربُّ الأرضِ ربُّ العالمين. وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ إلهُ الأولينَ والآخرينَ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، حَمىٰ حِمىٰ التوحيدِ، وسدَّ كلَّ طريقٍ يوصلُ إلى الشركِ، وبلَّغَ البلاغَ المبينَ. صلَّى اللهُ وسلمَ وباركَ عليه، وعلى آلهِ الطيبينَ الطاهرينَ وأصحابهِ الغرِّ الميامينِ، آمنوا بربِّهم وأخلصوا له واستقاموا على أمرِه، فأنجزَ لهم ما وعدَهم عزاً في الدنيا وحُسْنَ ثوابٍ في الآخرةِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ: فيقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

لم يخلقْ اللهُ الخلقَ ليتقوَّىٰ بهم من ضعفٍ، ولا ليتعزَّزَ بهم من ذلةٍ، ولا ليستكثرَ بهم من قلةٍ. فهو المنعمُ المتفضلُ، وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ وهو الحكيمُ الخبيرُ. خلقهم لعبادتِهِ وطاعتِهِ، ليعبدوه ولا يشركوا به شيئاً.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن البشرَ عاجزون عن أن يجلِبوا لأنفسِهم نفعاً أو يدفعوا ضرّاً، وعقولُهم قاصرةٌ أن تدركَ طرقَ الصلاحِ وسبلَ الرشادِ إذا لم تكنْ عنايةُ اللهِ وهدايتُهُ وتوفيقُهُ.

إن الإنسانيةَ حين تَضِلُّ عن سبيلِ اللهِ تتخبطُ في فوضىٰ التدينِ وتَغْرَقُ في أوحالِ الجاهليةِ.

ألم يتخذوا لأنفسِهم معبوداتٍ مزيفةً وأصناماً خرساء؟ اتخذوها من عجينٍ وتمر، يتوجه إليها عابدُها حتى إذا جاعَ أكلها. جعلوا من دون اللهِ أصناماً وأوثاناً يقصدونها في الرخاءِ وينبِذُونها في الشدة:

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

اتخذوها فلم يروا إلاسراباً، ولم يزدادوا إلا تبارا.

كلُّ هذه الفوضى ـ أيها الإخوةُ ـ أبطلها محمدٌ ﷺ حين جدَّدَ الملةَ الحنيفيةَ. صدعَ بكلمةِ الحقِّ مدويةً في المشارقِ والمغاربِ، قائلاً عليه الصلاةُ والسلامُ: **«كلمةٌ واحدةٌ تملكون بها العربَ، وتدينُ لكم بها العجمُ لا إله إلا اللهُ محمدٌ رسولُ اللهِ»**[1].

إنها أصلُ الدينِ وقاعدتُه. لأجلها نُصبتْ الموازينُ، ونُشرت الدواوين، وقام سوقُ الجنةِ والنارِ، وانقسم الناسُ فيها إلى فريقين مؤمنين وكفارٍ، ومتقين وفجارٍ. إنها حقُّ اللهِ على العبادِ،

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٣٤١ ـ ح٣٢٣٢) وقال: حديث حسن، وأحمد (١/ ٢٢٧، ٣٦٢).

وفي سبيلها تُجرَّدُ سيوفُ الجهادِ.

إخوةَ العقيدةِ والتوحيدِ: إن توحيدَ الله والدعوةَ إليه وإثباتَهُ أفاضَ فيه كتابُ ربِّنا سوقاً في الأدلة، وضرباً للأمثال، ورداً على المبطلين الجاحدين. هو اللهُ الأحدُ الفردُ الصمدُ، الذي أبدعَ الأفلاكَ في ضخامتِها والآفاقَ في سعتِها، ووهبَ العقولَ إدراكَها وذكاءَها، وألهَمَ النفوسَ فجورَها وتقواها. في بديعِ خلقِ السمواتِ والأرضِ وما بينهما دلائلُ الوحدانيةِ، وبراهينُ التفردِ باستحقاقِ العبادةِ.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الأنبياء: ٢١ ـ ٢٢].

﴿ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ﴿١٦﴾ ﴾ [الرعد: ١٦].

لا يرتفعُ الشقاءُ والعناءُ عن البشريةِ إلا حينَ تستيقنُ البصائرُ ويصحُّ في العقولِ أنه سبحانه الواحدُ القهارُ، له الملكُ كلُّه وله الأمرُ كلُّه ﴿ أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ﴾ [يوسف: ٣٩].

هل يستوي من تتوزعُه الأهواءُ وتتنازعُه الشهواتُ، لا يدري أين يوجِّهُ ولا لمن يكونُ له الرضا والخضوعُ؟ هل يستوي مع من خضعَ للإلٰه الحقِّ فَنَعِمَ براحةِ اليقينِ، وبَرْدِ الاستقامةِ ووضوحِ الطريقِ؟؟.

استمعوا إلى المثلِ المضروبِ من كتابِ الله:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الزمر: ٢٩].

إله واحدٌ.. وعقيدةٌ صافيةٌ.. وتوحيدٌ نقيٌّ تخرجُ النفسُ به من ظلماتِ الجهلِ، وتترفعُ به من أوحالِ الشركِ، وتتطهرُ به من دنس الخرافاتِ والأوهام. بالتوحيدِ الخالصِ يرتفعُ ابنُ آدمَ بكرامتِهِ من أن يخضعَ لأيِّ مخلوقٍ علَتْ مرتبتُه أو دنتْ. فكلُّ الخلائقِ عبيدٌ للهِ طوعاً وكرهاً.. كلُّهم تحت قهره وأمره ﴿ إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾ ﴾ [مريم: ٩٣ ـ ٩٥].

ليس للقلوبِ سرورٌ وليس للصدورِ انشراحٌ إلا في صدقِ العبادةِ، وإخلاصِ المحبةِ، وتمامِ الذلِّ والخضوعِ، وصرفِ البصرِ والبصيرةِ عن الالتفاتِ إلى ما سوى اللهِ ذي الجلالِ والإكرامِ.

فيه يكونُ الولاءُ والبراءُ، والحبُّ والبغضُ، والمودةُ والعِداءُ. يضعفُ كلُّ رباطٍ إلا رباطَ العقيدة، وتَضْمحلُّ كلُّ وشيجةٍ إلا وشائجَ الحبِّ في اللهِ. رابطةُ الإيمانِ يتهاوىٰ دونَها كلُّ صلة بعرْقٍ أو ترابٍ أو لونٍ.

معاشرَ الأحبةِ: وتوحيدُ الاعتقادِ يتبعُه توحيدُ العملِ والاستقامةُ في الاتباعِ، لا تقومُ العقيدةُ بصفائها إلا حين يقارنُها العملُ الصالحُ، وإسلامُ الوجهِ للهِ والإحسانُ في العملِ.

﴿ ۞ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ﴾ [لقمان: ٢٢] ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ

﴿وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًاۗ﴾ [النساء: ١٢٥].

الموحدُ للهِ تكونُ مشاعرُ قلبِهِ وخلجاتُ ضميرِهِ مرتبطةً بربهِ مؤتمرةً بأوامرِه، منتهيةً عن نواهيه، يُحِلُّ ما أحلَّ اللهُ ويُحرِّمُ ما حرمَ اللهُ، يقفُ عند حدودِه منتصبَ القامةِ مرتفعَ الهامةِ، لا يركعُ ولا يسجدُ ولا ينحني إلا للهِ ربِّ العالمين.

من نازعَ اللهَ في الحكم فقد نازعَه حقاً من حقوقِ العبادةِ: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ﴾ [يوسف: ٤٠].

إن الدينَ القيِّمَ لا يتحققُ إلا حين يعترفُ المؤمنُ باختصاص اللهِ بالحكم كما هو مختصٌ بالعبادةِ في جميع أنواعِها: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

والغلوُّ في التعلقِ بالدنيا يُصيِّرُ صاحبَه عابداً لها مؤِّثراً ذلك في توحيدِه وصحةِ عبادتِه.. حينما لا يكون غضبُه إلا من أجلِها، ورضاهُ في سبيلِها.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٥٨ ـ ٥٩].

وفي الحديثِ الصحيح: «**تعسَ عبدُ الدينارِ تعسَ عبدُ الدرهمِ تعسَ عبدُ الخميصةِ تعسَ عبدُ القطيفةِ**»(١).

ويلتحقُ بذلك كلُّ أصحابِ الأهواءِ وعبيدِ الملذاتِ، إن حصلَ

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٩٥ ـ ح٢٨٨٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣٨٦ ـ ح٤١٣٥).

لصاحبه ما يشتهي رَضي، وان لم ينلْ مرادَه سخطَ. ما العبوديةُ إلا عبوديةُ القلبِ فعبدُ اللهِ على الحقيقةِ من كان رضاهُ في رضا ربِّهِ وسخطهُ في سخطِ ربِّهِ.

وهكذا أيُّها المسلمون يتجلىٰ التوحيدُ.. طهارةً في القلبِ، وصحةً في العقلِ، ورفعةً في السلوك، واستقامةً على الفطرةِ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الروم: ٣٠].

وما لم يتحققْ التوحيدُ وإخلاصُ العبادةِ وتمامُ الخضوع والانقيادِ والتسليم.. فلا تُقبَلُ صلاةٌ ولا زكاةٌ ولا يصحُّ صومٌ ولا حجٌ، ولا يزكو أيُّ عملٍ يتقربُ به إلى اللهِ ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنعام: ٨٨]. ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

إذا لم يتحققْ التوحيدُ ويصدُقُ الإخلاصُ فلا تنفعُ شفاعةُ الشافعين، ولا دعاءُ الصالحين حتى ولو كان الداعي سيدَ الأنبياءِ محمداً ﷺ. اقرءوا إن شئتم: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ [التوبة: ٨٠].

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ وحققوا إيمانكم وأخلصوا أعمالَكم يهدِكم ربُّكم ويُصلحْ بالَكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ

إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ
وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن
يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ
ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام: ١٤ ـ ١٨].

نفعني اللهُ وإياكم بهدي كتابِه.

توحيد وعبادة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الملكِ الحقِّ المبينِ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، تفردَّ بالربوبيةِ والألوهيةِ على خلقه أجمعين. وأشهد ألا إله إلا اللهَ وحدَه لا شريكَ له، هو اللهُ لا إله إلا هو فادعوه مخلصينَ له الدينَ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ بالحنيفيةِ ملةِ إبراهيمَ، فصدعَ بها، وأوضحَها وقوَّضَ خيامَ الملاحدةِ والمشركينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها الإخوةُ فإن مما يؤسفُ له أن بعضَ المسلمين وكأَنهم قد طالَ عليهم الأمدُ فاندثرتْ عندهم معالمُ الحنيفيةِ، وسرَتْ فيهم شوائبُ لوَّثتْ عقيدَةَ التوحيدِ وكدرتْ صفاءَها وزعزعتْ خُلوصَها ونقاءَها، فصُرفتْ أنواعٌ من العبادةِ لغيرِ اللهِ. في المسلمين من ضلَّ عن الحقِّ. فيهم من أظهرَ تمرداً على الشريعةِ، قصَّرَ في فرائضٍ، ولم يقفْ عند حدودٍ. فيهم من قَصَدَ أضرحةَ الموتىٰ في مناسبةٍ أو غيرِ مناسبةٍ، يعكُفون عندها، يتعبدونَ وينذُرون ويلهجونَ بالأدعيةِ باكينَ مستصرخينَ، يرجونَ عندها كشْفَ الضُّرِّ وجلبَ النفعِ وشفاءَ المرضىٰ وردَّ الغوائبِ، وإن مدخلَ الشيطانِ في هذا لعريضٌ، وإن مسالكَه فيه ملتويةٌ. يوضحُ ذلك العلامةُ

الحافظُ ابنُ القيِّم ـ رحمهُ اللهُ ـ حيثُ يقولُ: «مازالَ الشيطانُ يوحي إلى بعضِ الناس ويلقي إليهم: أنَّ البناءَ والعكوفَ على القبورِ من محبةِ أهلِ القبورِ من الأنبياءِ والصالحينَ. وأن الدعاءَ عندَها مستجابٌ، ثم ينقلُهم من مرتبةِ الدعاءِ عندَها إلى مرتبةِ الدعاءِ بها، ثم لا يزالُ بهم حتى ينقلَهم إلى مرتبةِ دعائِهم من دونِ اللهِ وسؤالِهم الشفاعةَ من دونِ اللهِ، واتخاذِ قبورِهم أوثاناً تُعلَّقُ عليها القناديلُ والستورُ ويطافُ بها ويقبَّلُ ويتمسحُ ويذبحُ عندها، ثم يتطورُ الأمرُ إلى أن يدعوَ الناسَ إلى عبادتِها واتخاذِها عيداً ومنسكاً. . .

قالَ رحمهُ الله: ولا يقفُ الأمرُ عند هذا الحدِّ بل يوحي إليهم إلى أنَّ من نهىٰ عن ذلك فقد تنقَّصَ أهلَ هذه الرتبِ العاليةِ وحطَّهم عن منزلتِهم وزعَم أنه لا حرمةَ لهم ولا قدرَ. . . اهـ.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وإن مسئوليةَ أهلِ العلم في هذا لعظيمةٌ. وقد أخذَ اللهُ عليهم الميثاقَ بالبيانِ. وفقنا اللهُ لما يحبُّه ويرضاه، وهدانا صراطَهُ المستقيمَ، ورزقنا الاستقامةَ على الحقِّ.

أثر العقيدة في مواجهة التحديات

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أعادَ وأبدىٰ، أحمدُه سبحانه وأشكرُه على ما أنعمَ وأسدىٰ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، من اتَّبعَ هداهُ فلا يضِلُّ ولا يشقىٰ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، كَرُمَ رسولاً وشَرُفَ عبداً، صلى الله وسلم وباركَ عليه، وعلى آله وصحبه، صدقوا ربَّهم فأنجزَ لهم ما وعدَهم، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وسارَ على نهجهم واهتدىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واستمسكوا بهدي نبيِّكم محمدٍ ﷺ، وتأملوا في أحوالِكم. اعتبروا بالماضي وتأملوا في الواقع.

ما أحوجَ المسلمين إلى التأملِ الصادقِ . . كيف المسيرُ؟ وإلى أين المصيرُ؟.

أيها الإخوةُ: مرتْ بديارِ الإسلامِ في تاريخِها الطويلِ أزماتٌ وأزماتٌ، وحلَّتْ بها بلايا ونكباتٌ، وزلزلت الأرضُ زلزالَها. سقطتْ دولٌ من أمويةٍ وعباسيةٍ وأمثالِها، وقامتْ دويلاتٌ ونشبتْ نزاعاتٌ. نعم لقد مرتْ أزماتٌ حادةٌ وفتنٌ مدلهمةٌ، غلبَ في بعضِها هوىٰ، وسادَ في أخرىٰ شهوةٌ.

وإن الناظرَ في تلك العهودِ الأولىٰ يدركُ يقيناً أنه على الرغمِ

من هذا الخللِ وذلك التضَعْضُعِ، لم يكن يخالجُ المسلمين شكٌّ في عقيدتِهم. لم يشكوا أبداً في صحةِ مبادىءِ الإسلام.. إيماناً بالله وتصديقاً برسالةِ محمدٍ ﷺ، ويقيناً بالحقِّ في هذا الدينِ.

لقد كُتِبُ لهم البقاءُ طيلةَ هذه القرونِ على الرغم مما حصلَ من ضعفٍ، وكان يكفي أن يأتيَ قائدٌ مخلصٌ وإمامٌ راسخٌ ناجحٌ كصلاحِ الدينِ والإمامِ ابن تيميةِ ليحركَ جذوةَ الإيمانِ فتتَقِدَ، فيتنزلُ نصرُ اللهِ بمقتضىٰ وعدِ اللهِ، فيصحَّ العزمُ وتصفوَ العقيدةُ، وتبقىٰ الانحرافاتُ وأهلُها إن بقيتْ في ركنٍ قصيٍّ.

إن مظاهرَ الضعف والهزائمِ لم تورثْ في نفوسِهم شكاً في عقيدتِهم، ولم تدفعْهم إلى التطلعِ إلى ما عند أعدائِهم، فيستجلبوا أفكاراً ومبادىءَ ونُظماً وأنماطَ سلوكٍ. إنهم لم يعتقدوا الحقَّ إلا في دينِ اللهِ عقيدةً وسلوكاً ونظامَ حياةٍ. لم يهنُوا ولم يستكينوا حتى في حالِ الهزائمِ العسكريةِ ﴿فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٤٦﴾ [آل عمران: ١٤٦].

﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩﴾ [آل عمران: ١٣٩].

﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

ما يحلُّ من هزائمَ وما يقعُ من نكباتٍ ما هو إلا من سننِ اللهِ في الابتلاءِ والتمحيصِ. ﴿ذَٰلِكَۖ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ﴾ [محمد: ٤].

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٤١﴾ [آل عمران: ١٤١].

هذه هي عقيدتُهم في النصرِ والهزيمةِ، وهذا هو حالُهم في السراءِ والضراءِ. إنهم يشعرون بازدراءٍ واستهجانٍ شديدين لأعدائِهم في ميادينِ العقائدِ والمبادىءِ والنظمِ، فمعتقداتُ الأعداءِ وتصوراتُهم مجافيةٌ للفطرِ السليمةِ والنظراتِ المستقيمةِ. يرون في التتارِ همجاً وفي الصليبيةِ كفراً وشركاً.

أمَّا في الوقعِ المعاصرِ ـ أيها الإخوة ـ فقد عرفَ العدوُّ سرَّ القوةِ ومصدرَ العزةِ، فعملَ عملَهَ في الغزوِ الفكريِّ، وكرَّسَ جهدَه في قلبِ المفاهيمِ وإفسادِ التصوراتِ، فاختلفَ الحالُ واختلَّ الميزانُ. فوُجد في المسلمين من يشكُّ في صلاحيةِ الإسلام عقيدةً وشريعةً، فيهم من يوالي أعداءَ اللهِ وأعداءَ رسولِه الموالاةَ الممنوعةَ، يعتقدُ الخيرَ والسعادةَ في غيرِ دينِ اللهِ وفي غيرِ حكم رسول اللهِ. . أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهواتِ ولا يعلمونَ الكتابَ إلا أمانيَّ.

يا أمةَ محمدٍ ﷺ: إن التخليَ عن هذا الدينِ أو التشكُّكَ فيه والانفصالَ عن دوحتِهِ المباركةِ والتخلفَ عن ركابِ محمدٍ ﷺ خسارةٌ ما بعدها خسارةٌ. إنها القاصمةُ والحالقةُ. لا يعوضُ عنها لباقةٌ او كياسةٌ، ولا يجديْ بعدَهاحِذْقٌ في رطانةٍ أو براعةٌ في تقليدٍ. إنه التلاشي والاضمحلالُ ثم الهلاكُ والفناءُ. لن يُنال الشرفُ بغيرِ هذا الدينِ ولن يُرتقىٰ إلى العزِّ بغيرِه سُلَّماً.

لقد خرجَ الدعاةُ الفاتحون مُرقَّعِي الأقمصةِ ومخصوفي النعالِ، حكموا العالمَ بحسِنِ سيرتِهم وصدقِ سريرتِهم: (رضي اللهُ عنهم ورضوا عنه).

إن الدينَ في حقيقتِه ـ أيها المؤمنون ـ سيطرةٌ على النفس وبواعثِها وغاياتِها، وتوجيهٌ للمجتمعِ في معاملاتِه ونظمِه، وهيمنةٌ على الحياةِ في شتى ميادِينها وأنشطِتِها.

إنه الحياةُ الحقيقيةُ. ليست الحياةُ صورةَ اللحم والدمِ وامتلاءَ العضلاتِ قوةً وفتوةً.. فتلك حياةٌ يشتركُ فيها البَشرُ مع السباعِ والدوابِّ والزواحفِ، بل لعلَّ حظوظَ الأنعامِ فيها أوفرُ.

إن الحياةَ والعزةَ والقوةَ في الصلةِ باللهِ والسيرِ على نورٍ من اللهِ، والانقيادِ لأوامرِه والاستجابةِ لندائه: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾ [آل عمران: ١٩٣].

إسلامُ الوجهِ للهِ وسعيٌ في مناكبِ الأرضِ ابتغاءً من فضلِ اللهِ.. محكومٌ بحدودِ الحلالِ والحرامِ والثوابِ والعقابِ.

﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

إن نورَ الإيمانِ المشعَّ في جنباتِ المؤمن يميزُ به الخيرَ من الشرِّ، والنفعَ من الضُّرِّ، والمعروفَ من المنكرِ ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ٤٠﴾ [النور: ٤٠].

المقطوعون عن اللهِ لا تتجاوزُ نظراتُهم الحياةَ الدنيئةَ بمتُعَها، ولا يرقىٰ تطلُّعهم حدودَ مآربِهم الشخصيةِ، بل لا يتورعونَ عن قتلٍ وختلٍ(١) وإفكٍ وغشٍ.

---

(١) الختل: الخداع عن غفلة.

وشاهدُكم على ذلكَ حضارةُ هذا العصرِ ببهارِجها وزينتِها.. تمسكٌ بالقشورِ والمادياتِ، واستغراقٌ في الشهواتِ والملذاتِ. لقد ملأها أصحابَها ظلماً وجوراً، وفساداً وخلاعة. أهانوا كلَّ من سواهم، ولعبوا في مقدَّراتِ الرجالِ والدولِ، وسلطوا بعضَهم على بعضٍ. وإن التقدمَ الملموسَ في مجالِ التقنياتِ والآلياتِ والعلوم التجريبيةِ لم يغْنِ شيئاً، فالعالمُ يموجُ بفلسفاتِ الشرقِ والغربِ إيماناً بالمادياتِ البحتةِ، وإنكاراً للقيم العاليةِ والحقائقِ الغيبيةِ والأخلاقِ النبيلةِ. تقاتلٌ على المصالح الخاصةِ والأنانياتِ المستحكمةِ، وصراعٌ على مقدَّراتِ الشعوبِ، وويلٌ للمستضعفين. حروبٌ تستشري وأمراضٌ تتنوعُ وتتجددُ لم تكن في الأسلافِ، والإنسانيةُ تزدادُ كآبةً وتحسراً.. شحَّتْ المواردُ ونُزعتْ البركاتُ، ويسعونَ في الأرضِ فساداً واللهُ لا يحبُّ المفسدين. فرحوا بما عندهم من العلمِ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون.

أمةَ الإسلام: إذا كان الأمرُ كذلكَ فإن المسلمينَ اليومَ أحوجُ ما يكونونَ إلى ما يردُّ عليهم اعتزازَهم بإيمانِهم، وثقتَهم بأنفسِهم، ورجاءَهم في مستقبلٍ مشرقٍ تكونُ فيه كلمةُ اللهِ هي العليا ودينُه هو الظاهرَ، وكلمةُ الذين كفروا هي السفلىٰ. يجبُ على المسلمين أن يستشعروا مسئوليتَهم وريادتَهم، إن عليهم هدايةَ هذه القطعانِ الضالةِ.. هدايتَها إلى الدينِ القويم والصراطِ المستقيمِ.. تقودُها إلى الفضيلةِ والتقوىٰ.. تحولُ بينها وبين جهنمَ.

وأولُ ما يجبُ أن يتوجهَ إليه الإصلاحُ: تصحيحُ العقائدِ

وتنقيتُها من المفاهيم المغلوطةِ والتصوراتِ الفاسدةِ. . تميزُ الخبيثَ من الطيبِ. وحينئذٍ تتّقدُ جذوةُ الإيمانِ، فتنبتُ العزةُ من غيرِ كبرٍ، وتتولدُ الثقةُ من غيرِ غرورٍ، وتحصلُ الطمأنينةُ من غير تواكلٍ، واللهُ غالبٌ على أمرِه ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٣٧﴾ هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٧ ـ ١٤١].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، وأقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أثر العقيدة في مواجهة التحديات

الخطبة الثانية

الحمدُ لله حمداً كثيراً طيباً كما أمرَ، وأشكرُه على إنعامِه وإفضالِه، وقد تأذَّنَ بالزيادةِ لمن شكَرَ، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له إرغاماً لمن جحدَ به وكفرَ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ البشرِ، والشافعُ المشفعُ في المحشرِ، صلى اللهُ عليه وسلم وباركَ عليه، وعلى آلهِ وأصحابهِ السادةِ الغررِ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون واعلموا أن ـ علةَ العللِ في عالمِ اليومِ ما رانَ على القلوبِ من الرضا بالحياةِ الدنيا والاطمئنانِ بها، والغفلةِ عن آياتِ اللهِ وسننِه.

إن حقاً على أهلِ الإسلامِ الرجوعُ السريعُ إلى كتابِ ربِّهم وسنةِ نبيِّهم محمدٍ ﷺ، فهي مصدرُ القوةِ، ومشعلُ الاستقامةِ، ثم الرجوعُ إلى معاقلِ التربيةِ وحصونِ التوجيه. من لم تطِبْ نفسُه بهذا الدينِ ولم ينشرحْ صدرُه للإسلامِ ولم يطمئنَّ إلى نبوةِ محمدٍ ﷺ وإمامتهِ وآمنَ بفلسفاتٍ دخليةٍ فليس له محلٌّ في هذه الميادين. لا يجوزُ أنْ يسندَ إليه توجيهٌ، أو يُمكَّنَ من مواقعِ التأثيرِ، ليُفْسِدَ الفطرَ ويبلبلَ العقائدَ.

إن حصونَ التوجيهِ ومحاضنِ التربيةِ.. يجبُ إحاطتَها بسياجاتٍ آمنةٍ، فهي مكمنُ حمايةِ الأمةِ وسلامتِها. وشرُّ البليةِ أن تُؤتىٰ الأمةُ من قِبَلِ من وُكلَ إليهم حمايتُها والمحافظةُ عليها. وتكونُ الخيانةُ العظمىٰ حين يفتحونَ الأبوابَ الخلفيةَ ليتسلَّلَ المتلصصون واللصوصُ في غفلةِ الحماةِ الساهرين.

فاتقوا اللهَ رحمكم، الله وقوموا بواجباتِكم، واستمسكوا بدينِكم ولا تتفرقوا فيه.

الدين كمال وتمسك

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ أكملَ لنا الدينَ، وأتمَّ علينا النعمةَ، ورضي لنا الإسلامَ ديناً، أحمدُه سبحانه وأشكره، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه.. جعلنا على المحجة البيضاءِ.. ليلِها كنهارِها.. لا يزيغُ عنها إلا هالكٌ.. صلى الله وسلم باركَ عليه، وعلى آله وصحبِه أعلامِ الهدىٰ، ومصابيحِ الدجىٰ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسار على نهجِهم واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون. واعلموا أنه لا حياةَ لأمةِ الإسلام إلا بالإسلام.. بقاؤُها مرهونٌ بالمحافظةِ عليه، وفَناؤُها راجعٌ إلى التفريطِ فيه.. تدومُ بدوامِه في قلوبِها، وتضمحلُّ باضمحلالِه من نفوسِها. إنه دستورُها ونظامُها، وهو مصدرُ فخرِها وعزِّها، وهو خلاصةُ الأديانِ وخاتمتُها: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

ونبيُّ الإسلامِ محمدٌ ﷺ خاتمُ النبيينَ، وأفضلُ المرسلين،

تمتْ به النعمةُ، وانجلتْ به الظلمةُ، وكُشفتْ به الغمةُ ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

لم يكنْ لأمةٍ من الأممِ مثلُه، ولا نزلَ على نبيٍّ من الأنبياءِ نظيرُه، أتباعُه خيرُ أمةٍ أخرجتْ للناس، لقد رضيه اللهُ فلن يسخطَ عليه أبداً، وأكملَه فلن ينقصَ أبداً، أتم به نعمةَ الدارين، وحققَّ به سعادةَ الحياتين: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

منْ حقِّ هذه الأمةِ أن تفاخر بدينِها، وتعتزَّ بشريعتِها، ألم تتوحدْ به الصفوفُ؟ ألم تأتلفْ به القلوبُ؟.. أنقذَ البشريةَ من مهاوي الردىٰ، وارتفعَ بها إلى مشارفِ الفضيلةِ، نقلَها من الذُّلِّ والاستعبادِ إلى مراقي العزةِ والكرامةِ.

أيها المؤمنون: حقيقةُ هذا الدين نورٌ في البصائرِ، وصلاحٌ في الباطنِ والظاهرِ، وصدقٌ مع اللهِ، وصدقٌ مع الناسِ، من ازدادَ به معرفةً ازدادَ له احتراماً وتوقيراً وتعظيماً. يمتدُّ الإسلامُ وتنتشرُ معه الفضائلُ حيث سارَ. فالكرمُ والعفافُ من آثاره، والشجاعةُ والعزةُ من ثمارِه، رفعةٌ في السجايا، وشرفٌ في الأخلاقِ.. طَبعتْ كلَّ ذلك في نفوسِ أتباعِه وصايا القرآن وأنوارُ النبوةِ.

عقيدةٌ صافيةٌ، وإيمانٌ عميقٌ، هُدمتْ به مناراتُ الإلحادِ، وتلاشتْ معه معالمُ الوثنيةِ. عبادةٌ قويمةٌ تنتفي معها البدعُ والخرافاتُ، وتضمحلُّ معها الكهاناتُ والشعوذاتُ. ينضمُّ إلى

ذلك معاملةٌ عادلةٌ في خُلقٍ كريم. لا خيرَ إلا احتواه ودلَّ عليه، ولا شرَّ إلا نفاه وحذَّرَ منه. أخبرَ بما كان وما يكونُ إلى يومِ القيامةِ.

يقولُ أبوذرٍ رضي الله عنه: لقد قامَ فينا رسولُ اللهِ ﷺ وما طائرٌ يقلِّبُ جناحيه في السماءِ إلا ذَكرَ لنا منه علماً. حُفظتْ به الحقوقُ، ورُسمتْ به الأحكامُ، مع نزاهةٍ في التنفيذِ، وقيام بروحِ العدلِ والمساواةِ، واحترام الحقوقِ العامةِ والخاصةِ، قائمٌ على جلبِ المصالحِ، ودرءِ المفاسدِ مع اعتبارٍ للأعرافِ والعوائدِ.

لقد شملَ جميعَ جوانبِ الحياةِ وعلاقتِها، في العقائدِ والعباداتِ وفي شئونِ الأسرةِ والمعاملاتِ. وفي الحدودِ والجناياتِ. أوضحَ حدودَ العلاقاتِ بين الحاكمِ والمحكوم، وبيَّن الحقوقَ نحوَ ولاةِ الأمورِ وأئمةِ المسلمين. رسَمَ قواعدَ الحربِ والسلم والعلاقاتِ مع غيرِ المسلمين. أوضحَ أمورَ الفطرةِ وسُنَنَها. ودلَّ على أسبابِ إنهيارِ الأمم وفنائِها. فتحَ للعقولِ طرقَ الاعتبارِ في القصصِ والأخبارِ. أبطلَ العصبياتِ والفوارقَ في الجنسِ واللونِ: **«كلُّكم لآدمَ وآدمُ من ترابٍ، لا فضلَ لعربيٍّ على عجميٍّ، ولا لأحمرٍ على أسودَ إلا بالتقوىٰ»**(١).

إنه ينبوعُ المللِ، وأساسُ الدياناتِ، فكُلُّه أحكامٌ عادلةٌ، وإدارةٌ رشيدةٌ، وسياسةٌ حكيمةٌ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٤١١)، والترمذي (٥/ ٣٦٣)، وقال الهيثمي: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٨٤).

﴿ وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

أمةَ الإسلام: لقد بلغَ المسلمونَ الغايةَ عندما كانتْ صلتُهم بهذا الدينِ وثيقةً، فانتظمَ أمرُهم، واجتمعَ شملُهم، وعزَّتْ دولتُهم. والتاريخُ على ذلك من خيرِ الشاهدين.

ولما ضعفتْ هذه الصلةُ، وبَعُدتْ على المسلمينَ الشقةُ، تقهقروا رُويدا رويداً، وظهرتْ فيهم المخالفاتُ الفاحشةُ، وانقلبتْ لديهم المفاهيمُ، وشُوِّهتْ حقائقُ الدينِ، بل لقد شاعتْ فيهم بدعٌ وخرافاتٌ، وتعبَّدتْ طوائفُ منهم بغيرِ شرعِ اللهِ، وتقرَّبوا بغيرِ ما أنزلَ اللهُ، جهلوا حِكَمَه وأحكامَه، وعَدلوا إلى غيره، وركنوا إلى الذين ظلموا ففشا فيهم فسادُ الأخلاقِ. وانتشرَ الخُلْفُ والنفاقُ، وظهرتْ الأحقادُ، فتفرقت الكلمةُ، وفرطوا في الحاضرِ والمستقبلِ، وقنعوا بحياةٍ يأكلونَ فيها وينامون، ولا ينافسونَ في فضائلَ، ولا يتطلعونَ إلى مكارمَ. يلهثونَ وراءَ أعداءِ الإسلام. مصادمةً للشريعةِ، وَتَنَكُّباً للطريقِ: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

أيها الإخوةُ في اللهِ: ليس الدِّينُ كلماتٍ تَجرى على الألسنةِ، أو صَغَاراً في الهمةِ، ولا هو تمسكٌ بالمظاهرِ مع تفريطٍ في الحقوقِ والواجباتِ ظاهرٍ.

إن كثيراً من المسلمين جهلوا من سننَ الدنيا بمقدارِ ما جهلوا من أحكامِ الدينِ.

ولئن أرادتْ الأمةُ أن تستفيقَ من غفلتِها، وتعودَ إلى ريادتِها وقيادتِها، فلترجعْ إلى ربِّها، فالمحجةُ البيضاءُ واضحةٌ محفوظةٌ،

والمصطفىٰ ﷺ ترك فيها ما إن تمسكتْ به لن تضلَّ أبداً، كتابَ ربِّها وسنةَ نبيِّها محمدٍ ﷺ. ويجبُ أن يُعلمَ أيها المؤمنون أن ما أصابَ أمةَ الإسلام من ضعفٍ، لم يكنْ وليدَ شهرٍ أوسنةٍ، فلسطينُ العزيزةُ وأفغانستانُ الكريمةُ لم ينتزعْها البغاةُ المنتزعون في يوم وليلةٍ، ولكنه استغرقَ عقوداً من السنين، رسماً وتخطيطاً، تربيةً لأجيالِهم وإفساداً لأجيالِنا.

إن ما يُهدُم خلالَ عقودٍ أو قرونٍ، لا يُبنىٰ في أعوامٍ قليلةٍ أو شهورٍ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فلابدَّ من عودةٍ صادقةٍ في نَفَس طويلٍ وجُهدٍ صادقٍ، وعملٍ دائبٍ وروحٍ جادةٍ، إن الشُّجيراتِ الصغيرةَ من أجلِ أن تنموَ وتثمرَ، تحتاجُ إلى وقتٍ وتَعاهد، فكيف بتربيةِ الأجيالِ وبعثِ الأممِ.

وإن العبءَ لشاقٌ على الدعاةِ الصادقين، والمسئوليةَ عظيمةٌ لدى البناةِ المخلصين: ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٨﴾﴾ [الأنفال: ٧ ـ ٨].

ولكن إذا صحتْ العزائمُ، وصدقتْ النوايا، ووضحَ الطريقُ، وسارتْ القافلة فلابدَّ بإذن اللهِ من بلوغِ القصدِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ

ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ [النور: ٥٥].

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الدين كمال وتمسك

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين والعاقبةُ للمتقين، ولا عدوانَ إلا على الظالمين، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، المبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه،وعلى آله الطيبينَ الطاهرين، وعلى أصحابهِ أجمعين، والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: الإسلامُ هو رباطُ هذه الأمةِ، وهو الحبلُ المتينُ بينها وبين ربِّها، فلابدَّ من الاعتصام به، فلن يَصْلُحَ آخرُ هذه الأمة إلا بما صَلَحَ به أولُها، وإن من مقتضياتِ الإيمانِ أن يعرفَ المرءُ لنفسِه حدوداً يقفُ عندها، ومعالمَ ينتهي إليها، أما الركضُ وراءَ النزواتِ من غيرِ ضابطٍ، فلا يبني مجداً ولا يعيدُ حقاً، والأمةَ التي تغلبُها أهواؤها فتنسى ما كُلِّفتْ به، وتمضي وفق هواها لا وفق هُداها، أمةٌ ليست جديرةً برعايةِ، وليست أهلاً لتحملِ المسئوليةِ والأمانةِ.

فاتقوا اللهَ ربَّكم، وعظموا أمرَ دينكم، واعبدُوه مخلصين له الدينَ، يصلحْ أمركُم وتستقمْ أمورُكم.

إن الحكم إلا لله

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتوحدِ بالعظمةِ والجلالِ، المتعالي عن الأشباهِ والأمثالِ، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، منَّ علينا بواسعِ الفضلِ وجزيلِ النوالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه ومصطفاه من خلقِه، كُتِبَ الفلاحُ لمن اتبعه واحتكم إلى شرعِه، ففازَ في الحالِ والمآلِ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقو اللهَ أيها المؤمنون. فبتقوىٰ اللهِ تزكوُ الأعمالُ، وتُنالُ الدرجاتُ، وارغبوا فيما عندَه. فبيدِه الخيرُ وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ. اتبعوا ما أنزلَ إليكم من ربِّكم ولا تتبعوا من دونه أولياء.

أيها المؤمنون: من حقِّ هذه الأمةِ أمةِ الإسلامِ ـ خيرِ أمةٍ أخرجتْ للناسِ ـ أن تفخرَ بدينِها، وتعتزَّ بتشريعِها، حيثُ توحدتْ به الصفوفُ، والتفتْ به القلوبُ. أنقذها من مهاوي الرذيلةِ إلى مشارفِ الفضيلةِ، ونقلَها من الذلِّ والاستعبادِ والتبعيةِ إلى العزةِ والكرامةِ وصحيحِ الحريةِ، دينُ الأمنِ والأمانِ، وشريعةُ العدلِ والرحمةِ. دينٌ أكملَه اللهُ فلن ينقصَ أبداً، ورضيَه فلن يسخطَ عليه

أبداً: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ ﴾ [المائدة: ٣].

عبادَ اللهِ: شريعةُ اللهِ هي المنهجُ الحقُّ الذي يصونُ الإنسانيةَ من الزيغ، ويجنبها مزالقَ الشرِ ونوازعَ الهوىٰ. شفاءُ الصدورِ، وحياةُ النفوس، ومعينُ العقول. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٧ ـ ٥٨].

منبعُ الشريعةِ ومصدرُها كتابُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ وسنةُ نبيِّه محمدٍ ﷺ.

كتابُ اللهِ أساسُ الدينِ ومصدرُ التشريعِ، رحمةُ اللهِ على العالمينَ، حوىٰ أصولَ الشريعةِ وقواعدِها في عقائدِها وأخلاقِها وحلالِها وحرامِها، يضيءُ للأئمةِ مسالكَ الاستنباطِ في معرفةِ أحكامِ الحوادثِ والمُستجَداتِ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ.

«فليستْ تنزلُ بأحدٍ من أهلِ دينِ اللهِ نازلةٌ إلا وفي كتابِ اللهِ الدليلَ على سبيلِ الهدىٰ فيها» كما قال الإمامُ الشافعيُّ رحمه الله.

ويقولُ الشاطبيُّ: «الكتابُ كلُّ الشريعةِ، وعمدةُ الملةِ، وينبوعُ الحكمةِ، وآيةُ الرسالةِ، ونورُ البصائرِ والأبصارِ. لا طريقَ إلى اللهِ سواه ولا نجاةَ إلا لمنْ استضاءَ بهُداه». اهـ.

يَفْتحُ مغاليقَ القلوبِ وتستنيرُ به الأفئدةُ.

كتابُ اللهِ الحكيمُ، فيه نبأُ من قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحُكْمُ ما بينكم، هو الفصلُ ليس بالهزلِ، من تركه من جبارٍ قصمَه اللهُ، ومن ابتغىٰ الهُدىٰ في غيرِه أضلَّهُ اللهُ، وهو حبلُ اللهِ المتينُ،

ونورُه المبينُ، والذكرُ الحكيمُ، وهو الصراطُ المستقيمُ، من قالَ به صدَقَ، ومن حكَمَ به عدَلَ، ومن عَمِلَ به أُجِرَ، ومن دعا إليه هُدي إلى صراطٍ مستقيمٍ.

أما سنةُ المصطفىٰ ﷺ في أقوالِه وأفعالِه وتقريراتِه فهي المفسرةُ للقرآنِ الدالةُ عليه، والمبينةُ لمجملِه والمفصلةُ لأحكامِه، فرضٌ اتباعُها، وحرامٌ مخالفتُها: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧] ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

أيها المؤمنون: الإسلامُ عقيدةٌ وشريعةٌ. إيمانٌ بالله وتوحيدٌ له في ربوبيتِه وألُوهيتِه وأسمائِه وصفاتِه - إيمانٌ باللهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشرِه - عبوديةٌ تامةٌ، وخضوعٌ مطلقٌ. رضىً بدينِ اللهِ، وتصديقٌ برسولِ اللهِ ﷺ من غيرِ شكٍ ولا ريبٍ ولا حرجٍ.

التزامُه في المنهجِ والعملِ. في التعاملِ والقضاءِ. في الحكمِ والإدارةِ. في الأفرادِ والجماعاتِ.

إن الإسلامَ حياةٌ تعبديةٌ. تجعلُ المسلمَ موصولَ القلبِ بربِّه، يبتغي رضوانَه في شئونِه كلِّها.

نظامٌ خُلُقيٌّ يقومُ على إشاعةِ الفضيلةِ وإستئصالِ الرذيلةِ، نظامٌ سياسيٌّ أَساسُه إقامةُ العدلِ، وتثبيتُ دعائمِ الحقِّ، نظامٌ اجتماعيٌّ نواتُه الأسرةُ الصالحةُ وعِمادُه التكافلُ بينَ أبناءِ المجتمعِ. دينُ عملٍ وإنتاجٍ. منهجٌ كاملٌ متكاملٌ لكافةِ أنماطِ النشاطِ البشري

على نورٍ من اللهِ. ابتغاءَ مرضاةِ اللهِ.

ومن هنا ـ أمةَ الإسلام ـ فإن هذا الدينَ بأصولِه ومبادئِه وفَّىٰ ويَفِي بحاجاتِ البشريةِ في كلِّ عَصرٍ ومِصرٍ. انتشرَ في أنحاءِ الدنيا، ودخلَ تحتَ سلطانه أجناسُ البشرِ، فوَسِعَ بمبادئِه وقواعدِه كلَّ ما امتدَّ إليه نفوذُه من أصقاعِ المعمورةِ. عالج كافةَ المشكلاتِ على اختلافِ البيئاتِ. وما عجز في يومٍ من الأيامِ عن أن يُقدِّمَ لكلِّ سؤالٍ جواباً، ولكلِّ واقعةٍ فتوىً، ولكلِّ قضيةٍ حُكماً. ومدوناتُ الفقهِ والفتاوىٰ برهانٌ للمتشككين.

وكيفَ يكونُ ذلك والشريعةُ ـ كما قالَ الحافظُ ابنُ القيمُ رحمه اللهُ: «مبناها على الحِكَم ومصالح العبادِ في المعاشِ والمعادِ، عدلٌ كلُّها، رحمةٌ كلُّها، ومصالحُ كلُّها، وحِكْمةٌ كلُّها. فكلُّ مسألةٍ خرجتْ عن العدلِ إلى الجورِ، وعن الرحمةِ إلى ضدِّها، وعن المصلحةِ إلى المفسدةِ، وعن الحكمةِ إلى العبثِ فليستْ من الشريعةِ» لقد كانتْ هذه الشريعةُ أساسَ الحكمِ والقضاءِ والفُتيا في العالمِ الإسلاميِّ كلِّه أكثرَ من ثلاثةَ عشرَ قرناً، انضوىٰ تحت لوائِها أعراقٌ شتىٰ، وامتزجتْ بها بيئاتٌ متعددةٌ، فما ضاقتْ ذرعاً بجديدٍ، ولا قعدتْ عن الوفاءِ بمطلوبٍ.

ولماذا نرجعُ إلى الماضيْ، وبين أيدينا ـ ولله الحمدُ والمنةُ حجةٌ قائمةٌ، وبرهانٌ ظاهرٌ، فهذه بلادُ الحرمينِ الشريفين المملكةُ العربيةُ السعوديةُ قائمةٌ على كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِ اللهِ ﷺ، مُحَكِّمَةٌ شرعَ اللهِ. قادَتُها وحكومتُها وأهلُها ومجتمعُها يعيشون في ظلالِ الشريعةِ، ونورِ الكتابِ والسنةِ في أمنٍ وطمأنينةٍ، وخيرٍ ونعمةٍ، ملءُ القلوبِ الرضىٰ، وما يُرجىٰ من الله خيرٌ وأبقىٰ،

أدامَ اللهُ علينا نعمَهُ، وزدانا إيماناً وتوفيقاً ورضىً وتسليماً.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن من مقتضياتِ الإيمانِ الإقرارَ بحقِّ التشريعِ للهِ وحدَه، فالحكمُ للهِ وحدَه ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [يوسف: ٤٠].

والتولي والإعراضُ عن تحكيم شرعِ اللهِ، من مسالكِ المنافقينِ والظالمين ﴿وَإِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓا۟ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرْتَابُوٓا۟ أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُۥ ۚ بَلْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [النور: ٤٨ ـ ٥٠].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾﴾ [النساء: ٦٠].

أمةَ الإسلامِ: على الرغم من هذا الوضوحِ والجلاءِ.. إلا أنَّ أعداءَ الإسلامِ أَبَوْا إلا وضعَ العراقيلِ، وتلفيقَ التهم، واختلاقَ الشُّبَهِ حولَ الشريعةِ وشمولِها وصلاحيتِها. بل لقد استطاعَ الغزوُ الفكريُّ أن يجعلَ من بعضِ المسلمين ـ حتى المثقفينَ يَستحيونَ أو يشمئزون من ذكرِ بعضِ شرائعِ الإسلامِ، كالحدودِ والقصاصِ والحجابِ، وكأنَّهم لا يرون مانعاً أن تكونَ ديارُ الإسلام ميداناً فسيحاً تنمو فيه الدنايا وسفاسفُ الأخلاقِ، وموطناً رحباً يَجدُ فيه المجرمونَ والمتوحشونَ فُرصاً للاعتداءِ والاغتيالِ. بل إنك ترى في بعضِ من يخوضُ فيها ويلوكُ.. أناساً لا يعرفونَ الطريقَ إلى المساجدِ، أو لا يتورعونَ عن الموبقاتِ والمزالقِ، فتراهم يُسرُّون أو يعلنون: أن تحريمَ الخمرِ والزنا وقطعَ دابرِ اللصوصِ

والمفسدين. . . تشددٌ وهمجيةٌ. أما سمعوا قولَ اللهِ في المنافقين ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾ محمد: ٩] وقوله سبحانه ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾ [محمد: ٢٨].

أيها الإخوةُ في اللهِ: ليسَ الإيمانُ بالتحلي ولا بالتمني، وليسَ الإسلامُ مجردَ الانتسابِ الاسمي، ولكنَّه ما استيقنَه القلبُ وصدقه العملُ.

ومن هنا فحينَ يصدقُ المسلمون ويُخلصون لدينِهم، فيجعلونَ كتابَ اللهِ وسنةَ نبيِّه محمدٍ ﷺ أساسَ الحكمِ، وتُبنىٰ عليهما مناهجُ التربيةِ والتوجيهِ. . حينئذٍ يتحققَ الوعدَ ويتأكدُ التمكينُ وينزلُ النصرُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [المائدة: ٤٩ ـ ٥٠].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ.

إن الحكم إلا لله

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ شرحَ صدورَ المؤمنين فانقادوا لطاعتِه، وحبَّبَ إليهم الإيمانَ وزينه في قلوبهم.. فلم يجدوا حرجاً في الاحتكام إلى شريعتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيهـا المـؤمنون: إن حقيقـةِ الإيمـانِ: هـي الـرضـا بـالله ربـاً، وبالإسلامِ ديناً، وبمحمدٍ ﷺ نبياً ورسولاً، ومن ثَمَّ الخضوعُ والطاعةُ والانقيادُ والتسليمُ.

أما الحرجُ في الصدورِ والريبُ في القلوبِ والاستسلامُ للهوىٰ ورغباتِ النفوس... فهو من مظاهرِ النفاقِ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥] ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١-٥٢].

فاتقوا اللهَ وأطيعوه واعملوا بشرعِه... يرتفعْ الشأنُ، ويَعِزَّ السلطانُ، ويندحرْ العدوُّ.

توجيهات لمسيرة الصحوة الإسلامية

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ باللهِ من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضلِلْ فلا هاديَ له، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمداً عبدُه ورسولُه، بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، ليظهرَه على الدين كلِّه ولو كره المشركون، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وصحبِه، ومن دعا بدعوتِه واهتدىٰ بهديِه واستنَّ بسنتِه إلى يومِ الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون. أكملَ اللهُ لنا الدينَ وأتمَّ النعمةَ ورضي لنا الإسلامَ دينا. تبدَّلتْ به الأرضُ غيرَ الأرضِ. أصبحتْ المغبرةُ مخضرةً، والعطشىٰ فاضتْ حياءً ونماءً، دينٌ كاملٌ ونعمةٌ تامةٌ. صبغةَ الله ومن أحسنُ من اللهِ صبغةً.

أمةٌ شرفها اللهُ بالإسلام. فكيف ترضىٰ بغيره بديلاً؟ تتخلفُ عن السيرِ تحت لوائِه، وترضىٰ أن تُقادَ ذليلةً تحت ألويةِ الجاهليةِ.

ليس إلا الإسلامُ جامعاً للقلوبِ المتنافرةِ، وليس غيرُ الدين مُؤلفاً بين هذه الشعوبِ المتناثرةِ، جامعةٌ تتضاءلُ أمامَها الشعاراتُ القبَليةُ، والدعواتُ العنصريةُ، والانتماءاتُ الحزبيةُ. به تتلاشىٰ

كلُّ دعاوي الجاهليةِ.

إخوتي في الله: عندما طرقتْ الشعاراتُ والنداءاتُ والنزَعاتُ أبوابَ البلادِ الإسلاميةِ، عقدتْ في مبدأ أمرها مصالحةً مشبوهةً مع الإسلام، مصالحةً مدخولةً تَزعزَع فيها الولاءُ للهِ ولرسولِه، وَهَنَتْ معهاَ أواصرُ الإخوةِ الإيمانيةِ، واهتزتْ فيها روابطُ العقيدةِ، طغتْ متطلباتُها على أوامرِ الإسلام ونواهيهِ، ولم تزلْ الأواصرُ تضعفُ، والخلافُ يستشري، حتى أَصبحَ واقعاً محسوساً. استُبيحَ الحِمىٰ، ونُهبتْ الديارُ، وسُلبتْ الخيراتُ، ووقعَ كثيرٌ من بلادِ المسلمين في أزماتٍ ماديةٍ ومعنويةٍ خانقةٍ، تداعتْ عليها الذئابُ المسعورةُ، وفرَّقتهم السياساتُ المشئومةُ، وأقبل بعضُهم على بعضٍ يتلاومون. ولعمرُ اللهِ إنهم لن يزالوا كذلك، حتى يُطهرَ الإيمانُ قلوبَهم، ويعيدَ بناءَهم وتماسكَهم، ويرصَّهم في ميادين الإصلاحِ والجهادِ أشرافاً كرماءَ.

أمةَ الحقِّ والدينِ: أمامَ هذا الواقعِ المريرِ والشعاراتِ الممزِّقةِ، لا محيصَ عن دعوةٍ صريحةٍ شاملةٍ إلى دينِ اللهِ، مصدرِ العزةِ والكرامةِ وحصنِ المَنَعةِ. لابد من تضامنٍ يجمعُ الشملَ المبعثرَ، ويقمعُ العصبياتِ، ويَنْبذُ سائرَ النداءاتِ. في هذه الظروفِ الحوالكِ، وفي خضمِّ تلك الاهتزازاتِ النفسيةِ، والتجاذبِ من تياراتِ الشرقِ والغربِ في فلسفاتِها وثقافاتِها ـ حيثُ لم تظفرْ أمةُ الإسلام بشيءٍ ـ في هذه الأجواءِ ظهرتْ بوادرُ صحوةٍ إسلاميةٍ، وتطلعاتٍ إيمانيةٍ، ترنو إلى الدينِ منقذاً وهادياً جامعاً. وقامَ على ذلك دعاةٌ مخلصون في اجتهاداتٍ جادةٍ، وتوجيهاتٍ محمودةٍ، للشبابِ منها حظٌ موفورٌ، ورصيدٌ مشكورٌ، استمساكاً بالدينِ،

ودفاعاً عن حياضِ المسلمين. قد يكون صاحبَ بعضَ المسيرةِ شيءٌ من تعجلٍ من الشبابِ يطغىٰ عليه حماسُه. مع مظاهرِ صدقٍ وعملٍ جدٍ. وقد أخطأ فيهم أناسٌ فظنوا بهم غيرَ الحقِّ، وصدرتْ مرئياتُهم فيهم من غيرِ تأنٍ أو رويةٍ.

إن من لم يعشْ للإسلامِ ودعوتِه، ولم يهتمَّ بقضايا أمتِه حقَّ الاهتمامِ، ولم تشغْله همومُها ومآسيها في الشرقِ والغربِ ـ وكأنه لم يعشْ إلا لنفسِه ومصالِحه الذاتيةِ ـ كيف يكون مؤهلاً لأن يقولَ لمن يعيشون بالإسلامِ وللإسلامِ أخطأتم أو أصبتم؟!.

أيها الإخوةُ في الله: إن الشبابَ المسلمَ تفتحتْ عيناه على واقعِ غيرِ سارٍّ في كثيرٍ من ديارِ أهلِ الإسلامِ، يشعرُ أنه ليس مسؤلًا عنه. الاستعمارُ عاثَ في الديارِ وتركَ آثاراً غليظةً فكريةً ونفسيةً، استُجلِبَتْ نظمٌ وثقافاتٌ لا تمتُّ إلى الإسلامِ بصلةٍ.. صورٌ كثيرةٌ من الضياعِ واللامبالاةِ تمتلىءُ بها الساحةُ.. مناهجُ في التربيةِ مضطربةٌ.. مظاهرُ للكاسياتِ العارياتِ المائلاتِ المميلاتِ.. وفوقَ ذلك دعواتٌ سافرةٌ للإلحادِ ـ علمانيةٌ وشيوعيةٌ وإباحيةٌ، ومظاهرُ زندقةٍ ونفاقٍ.

ومن هنا أيها الإخوةُ فكما يُنْكرُ الغلوُّ في الدين بحقٍّ يُنكرُ التسيبُ والتهتكُ فلا إفراطَ ولا تفريطَ. وكما يُطالبُ الدعاةُ بالاعتدالِ والحكمةِ، يطالبُ المدعوون بالبعدِ عن التذبذبِ والتناقضِ. يجب أن تكونَ القدوةُ حيةً مشهودةً، يقترنُ لديها القولُ بالعملِ، تأخذُ بالأحكامِ وتَتَّبعُ السننَ.

وإن من النَّصَفِ في القولِ ـ أيها الإخوةُ ـ أن ينظرُ الدعاةُ في

الأولوياتِ، وفي الأهمِّ فالمهم فالسنة غيرُ الواجبِ، والمكروهُ غيرُ المحرمِ، فلكلٍ وزنُه، ولكلٍ أثره. مَنْ كان ذا فكرٍ محصورٍ وإدراكٍ ضيقٍ وعلمٍ قليلٍ، تختلُّ عندُه الموازينُ وتختلطُ لديه الأولوياتُ. وقد ينحدرُ في التعصبِ المقيتِ والانحيازِ المذموم لرأيٍ أو عالمٍ أوفئةٍ. هناك من جعلَ التشددَ المذمومَ ميزانَ التقوىٰ فكانَ مُنْبتاً لاَ ظهراً أبقىٰ ولا أرضاً قطعَ. يوجدُ من يوغلُ في النقدِ والجدلِ حتى يدخلَ في الغيبةِ والتجريح، وتتبع الزلاتِ والعثراتِ من غيرِ فقهٍ في واجبِ النصحِ، وحسنِ الظنِّ وأقدارِ الرجالِ.

«**إن هذا الدينَ يُسْرٌ، ولن يشادَّ هذا الدينَ أحدٌ إلا غلَبه، فسدِّدوا وقاربوا، وبشِّروا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة**»[(١)].

وهكذا أيها الإخوةُ المؤمنون: فإن قافلةُ الدعوةُ وردَّ الأمة إلى الجادةِ مسئوليةٌ كبرىٰ، يتحملُها الجميعُ، كلٌّ من موقعِه. شبابٌ متدفقٌ، وشيوخٌ مجربون، وقادةٌ حاكمون، ومربون مخلصون. سددَّ اللهُ الخُطىٰ، وباركَ في الجهودِ، وحفِظَ على هذه البلادِ أمنَها واستقامتَها على الحق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

---

(١) أخرجه البخاري (١/١١٦ ـ ح٣٩)، والنسائي (٨/١٢١، ١٢٢ ـ ح٥٠٣٤)، والبيهقي (٣/١٨).

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المتفردِ بكلِّ كمالٍ، والشكرُ له فهو المتفضلُ بجزيلِ النوالِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله؛ صاحبُ الخلقِ العظيمِ وشريفِ الخلالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فـأوصيكـم عبـادَ اللهِ ونفسـي بتقـوىٰ اللهِ عـزَّ وجـل فـي السـرِّ والعلـنِ، وانتهـوا عـن معـاصيـه، والانقيـادِ لأمـانـي النفـوسِ، ووسـاوس الشيطـان، فـالكيِّسُ مـن دانَ نفسه، وعمِلَ لمـا بعـد الموتِ، والعاجزُ من اتْبَعَ نفسَه هواها، وتمنىٰ على اللهِ الأماني.

أيها المؤمنون: أفشوا التناصحَ بينكم.. مروا بالمعروفِ وانهوا عن المنكرِ، وخذوا على يدِ السفيهِ.

ولْتعلموا أن الأمرَ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ.. هو حصنُ الإسلامِ الحصينُ، والدرعُ الواقي من الشرورِ والفتنِ، والسياجُ من المعاصي والمحن، يحمي أهلَ الإسلامِ من نزواتِ الشياطين ودعواتِ المبطلين.

إنه الوثاقُ المتينُ الذي تتماسكُ به عُرىٰ الدينِ، وتُحفظُ به

حرماتُ المسلمين.

وهل تظهرُ أعلامُ الشريعةِ وتفشوا أحكامَ الإسلام إلا بالأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر. لا تُستوفىٰ أركانُ الخيريةِ لهذه الأمةِ المحمديةِ إلا به: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

إنه مجاهدةٌ دائبةٌ دائمةٌ من كلِّ مسلم حَسْبَ طاقتِه لإبقاءِ أعلامِ الإسلامِ ظاهرةً، والمنكراتِ قصيةً مطمورةً. هو فيصلُ التفرقةِ بين المنافقين والمؤمنين: ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ﴾ [التوبة: ٦٧].

﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

ولهذا يقولُ الغزاليُّ رحمه الله: فالذي هجرَ الأمرُ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ خارجٌ عن هؤلاءِ المومنين.

أيها الإخوةُ المؤمنون: بارتفاع رايةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ يعلو أهلُ الحقِّ والإيمانِ، ويندحرُ أهلُ الباطلِ والفجورِ. يورثُ القوةَ والعزةَ في المؤمنين المستمسكين، ويُذلُّ أهلَ المعاصي والأهواءِ.

يقولُ سفيانُ رحمه الله: إذا أمرتَ بالمعروفِ شددتَّ ظهرَ أخيك، وإذا نهيتَ عن المنكرِ أرغمتَ أنفَ المنافقِ.

ويقولُ الإمامُ أحمدُ: إن المنافقَ إذا خالطَ أهلَ الإيمانِ فأثمرتْ عدواهُ ثمرتَها، صار المؤمنُ بينَ الناس معزولاً، لأن المنافقَ يصمتُ عن المنكرِ وأهلِه فيصفُه الناسُ بالكياسةِ، والبعدِ عن

الفضولِ، ويسمون المؤمن فضولياً.

عباد الله: إذا فشا الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ تميَّزتْ السنةُ من البدعةِ، وعُرِفَ الحلالُ من الحرام، وأدركَ الناسُ الواجبَ والمسنونَ، والمباحَ والمكروهَ، ونشأَتْ الناشئةُ على المعروفِ وأَلِفَتْهُ، وابتعدتْ عن المنكرِ واشمأزتْ منه.

وصاحبُ البصيرةِ مدركٌ أن ما أصابَ كثيراً من بلادِ الإسلام من جهلٍ بالسننِ والواجباتِ، والوقوعِ في البدعِ المحرماتِ، ما هو إلا بسببِ تقصيرِ أهلِ العلمِ في هذا الجانبِ، والاستحكام السيءِ في مناهجِ التعليم والتربيةِ والتوجيهِ، حتى نشأتْ الأجيالُ لا تعرفُ معروفاً ولا تُنكِرُ منكراً، وإنك لناظرٌ في ذلك شيئاً كثيراً من الغلوِّ في الصالحين بشتى درجاتِهِ، وفشو منكراتِ كُبرىٰ.. من تركِ الصلواتِ، والوقوعِ في الربا والزنا وشربِ الخمورِ وما هو دون ذلك وأكثرُ منه.

حقاً أيها المؤمنون: إذا تعطلتْ هذه الشعيرةُ ودُكَّ هذا الحصنُ، وحُطِّمَ هذا السياجُ، فعلى معالم الإسلام السلامُ، وويلٌ يومئذٍ للفضيلةِ من الرذيلةِ، وويلٌ لأهلِ الحقِّ من المبطلين، وويلٌ لأهلِ الصلاحِ من سَفَهِ الجاهلين وتطاولِ الفاسقين.

لا تكون ضعةُ المجتمعِ، ولا ضياعُ الأمةِ، إلا حين يُتركُ للأفرادِ الحبلَ على الغاربِ، يعيشون كما يشتهون، يتجاوزون حدودَ اللهِ، ويعبثون بالأخلاقِ، ويقعون في الأعراضِ، وينتهكون الحرماتِ من غيرِ وازعٍ أو ضابطٍ، ومن غيرِ رادعٍ أو زاجرٍ.

إنَّ فشوَّ المنكراتِ يؤدي إلى سلبِ نورِ القلبِ، وانطفاءِ جذوةِ

الإيمانِ، وموتِ الغيرةِ على حرماتِ اللهِ، فتسودُ الفوضىٰ، وتستفحلُ الجريمة، ثم يحيقُ بالقومِ مكرُ اللهِ. حتى إنَّ كثرةَ رؤيةِ المنكراتِ يقومُ مقامَ ارتكابِها في سلبِ القلبِ نورَ التمييزِ وقوةَ الإنكارِ. لأن المنكراتِ إذا كَثُر على القلبِ ورودَها، وتكررَ في العين شهودُها، ذهبتْ من القلوبِ وحشتُها، فتعتادُها النفوسُ، فلا يخطرُ على البالِ أنها منكراتٌ، ولا يميزُ الفكرُ أنها معاصي.

يقولُ بعض الصالحين: إن الخوفَ كلَّ الخوفِ من تأنيس القلوبِ بالمنكراتِ، لأنها إذا توالتْ مباشرتُها ومشاهدتُها أَنِسَتْ بها النفوسُ، والنفوسُ إذا أَنِسَتْ شيئاً، قلَّ أن تتأثرَ به.

يقولُ نبيُّكم محمدٌ ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ: «**كلَّا واللهِ لتأمرُنَّ بالمعروفِ، ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخُذنَّ على يدِ الظالمِ، ولتأطِرُنَّه على الحقِّ أطْراً** (أي تلزمونَه به إلزاماً) **أو ليضربنَّ اللهُ بقلوبِ بعضِكم على بعضٍ، ثم ليلعَنكُم كما لعنَهم، يعني بني إسرائيل**»[(١)].

فواجبٌ على كلِّ مسلمٍ ومسلمةٍ: الأمرُ بالمعروفِ والنهيُ عن المنكرِ على حسبِ الاستطاعةِ، وبخاصةٍ فيما تحتَ قدرتِهم ومُكْنَتِهم من منكراتِ البيوتِ وما في حكمِها، وعلى كلِّ صاحبِ علمٍ وقلمٍ وقدرةٍ على البيانِ، وكلِّ ذي أثرٍ في المجتمعِ ـ مع العلمِ والحكمةِ ـ أن يقومَ بالإرشادِ والتوجيهِ، والنصحِ في الأمرِ والنهي، والسعي في إفشاءِ المعروفِ وزوالِ المنكرِ.

---

(١) رواه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٦، ح٤٣٣٧) واللفظ له، والترمذي (٥/ ٢٣٥، ٢٣٦ ـ ح٣٠٤٧، ح٣٠٤٨) وقال: حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٧ ـ ح٤٠٠٦) وقال الهيثمي: رواه الطبراني رجاله رجال الصحيحين انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٩).

ولا يضعفُ المسلمُ أو يتوانىٰ بدعوىٰ أنه غيرُ كاملٍ في نفسِه، فقد قرَّرَ أهلُ العلم أنه لا يشترطُ في مُنْكرِ المنكَرِ أن يكونَ كاملَ الحالِ، ممتثلاً لكلِّ أمرٍ، مجتنباً لكلِّ نهيٍ، بل عليه أن يسعىٰ في إكمالِ حالِه مع أمرِه ونهيِه لغيرِه. ومما استدلَّ به أهلُ العلم على ذلك قولُه سبحانه في بني إسرائيلَ: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]. مما يدلُّ على اشتراكِهم في المنكرِ ومع هذا حصلَ عليهم اللومُ على تركِ التناهي فيه. ومن ذلك أيضاً قولُه ﷺ: **«إن اللهُ ليؤيدُ هذا الدينَ بالرجلِ الفاجرِ»**(١).

ولابدَّ لمن قامَ بهذا من التحلي بالرفقِ وسعةِ الصدرِ، وإن سمعَ مايكرَه، فلا يغضبْ كأنه منتصرٌ لنفسِه، ولينظرْ للواقعين في المعاصي بعينِ الشفقةِ والرحمةِ والنصحِ، وليعرفْ نعمةَ اللهِ عليه حيثُ لم يقعْ فيما وقعوا فيه، ولا ينظرْ إليهم نظرَ إزدراءٍ وإعجابٍ بالنفس. وعليه بالتخلقِ بالصبرِ على مايلقىٰ، فهو ملاقٍ أذىً كثيراً. وليبتعدْ عن حلاوةِ المداهنةِ والمداراةِ، ولا يأسفْ على من هجرَه وقلاه، ولا يحزنْ على من فارَقه وخذلَه. إنه بهذا المسلك يقطعُ أطماعَه في الخلقِ، ويحصرُ تعلقَه بربِّه ومولاه، ولا يتوكلُ إلا عليه، ومن توكلَّ عليه كفاه.

وليُعلمْ أيها المؤمنون: أن الأصلَ هو السترُ على المسلم إذا وقعَ في معصيةٍ لعموم قولِه ﷺ: **«من سترَ مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرةِ»**(٢). ولقوله عليه الصلاةُ والسلامُ لمن جاء إليه

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٠٨ ـ ح٣٠٦٢) واللفظ له، ومسلم (١/ ١٠٦ ـ ح١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٦ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ـ ح٢٥٨٠)، =

بصاحبِ معصيةٍ: «**لو سترتَه بثوبِك كان خيراً لك**»[1]. ولكن هذا في غيرِ من عُرِفَ بالأذىٰ والفسادِ ومعاودةِ المنكراتِ، فإن السَّترَ على مثلِه يُطْمِعُه في الإيذاءِ والفسادِ وانتهاكِ الحرماتِ.

يقولُ الإمامُ أحمدُ رحمه الله: «الرجلُ المعلَّقُ بالفسقِ لا حرمةَ له».

فاتقوا الله رحمكم الله، واعلموا أنه لو طُويَ بساطُ الأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، وأُهملَ علمُه وعمَلُه، لتعطلتْ الشريعةُ، واضمحلتْ الديانةُ، وعمَّتْ الغفلةُ، وفشتْ الضلالةُ، وشاعتْ الجهالةُ، واستشرىٰ الفسادُ، واتسعَ الخرقُ وخَرِبتْ البلادُ، وهلكَ العبادُ، وحينئذٍ يحلُّ عذابُ اللهِ وإن عذابَ اللهِ لشديدٌ.

أخرج النسائيُّ وأبوداود واللفظُ له من حديثِ أبي بكرٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**ما منْ قومٍ يُعملُ فيهم بالمعاصي، ثم يقدِرون على أن يُغيروا فلا يغيروا، يوشكُ أن يعمَّهم اللهُ بعقابٍ**»[2].

وأخرجَ أبوداودَ من حديثِ جريرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**ما من رجلٍ يكونُ في قومٍ يَعْملُ**

= والترمذي (٤/ ٢٨٨ ـ ح١٩٣٠) واللفظ له.

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٣٤ ـ ح٤٣٧٧)، وأحمد (٥/ ٢١٧)، ومالك في الموطأ بلاغاً (٢/ ٨٢١)، والنسائي في السنن الكبرى (٤/ ٣٠٦ ـ ح٧٢٧٤).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٨)، وابن ماجه (٢/ ١٣٢٩ ـ ح٤٠٠٩)، وأحمد (٤/ ٣٦١، ٣٦٣، ٣٦٤، ٤٦٦)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩١).

فيهم بالمعاصي يقدرونَ أن يغيِّروا عليه فلم يغيِّروا إلا أصابَهم اللهُ بعقابٍ قبل أن يموتوا»[1].

ويقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «**والذي نفسي بيدِه لتأمرنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، أو ليوشِكَنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عذاباً فتدعونَ فلا يستجيبَ لكم**»[2] أخرجه الترمذي وحسنه من حديث حذيفةَ رضي الله عنه. وروى عن ابن عمرِ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**يا أيها الناسُ مروا بالمعروفِ، وانهوا عن المنكرِ، قبل أن تدعوا اللهَ فلا يستجيبَ لكم، وقبل أن تستغفروه فلا يغفرْ لكم. إن الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ لا يدفعُ رزقاً، ولا يقرِّبُ أجلًا، وإن الأحبارَ من اليهودِ والرهبانَ من النصارىٰ لما تركوا الأمرَ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ لعنهم اللهُ على لسانِ أنبيائِهم ثم عُمُّوا بالبلاء**»[3] رواه الأصبهاني وسكت عنه المنذري.

اللهم وأبرمْ لهذه الأمةِ أمرَ رشدٍ يُعزُّ فيه أهلُ طاعتِك، ويذلُّ فيه أهلُ معصيتِك، ويُؤمرُ فيه بالمعروفِ، ويُنهىٰ فيه عن المنكرِ. إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ١٢٢ ـ ح٤٣٣٩)، وأخرجه ابن حبان انظر الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان(١/ ٥٣٦ ـ ح٣٠٠).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٠٦ ـ ح٢١٦٩) وقال: حديث حسن، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٩٣)، وابن ماجه من حديث عائشة باختلاف يسير (٢/ ١٣٢٧ ـ ح٤٠٠٤).

(٣) أخرجه الحافظ الأصبهاني في الترغيب والترهيب (١/ ١٥٧)، والمنذري (٣/ ٢٣٠، ٢٣١) وعزاه للأصبهاني وأشار إلى ضعفه، وقال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط وفيه من لم أعرفهم انظر مجمع الزوائد (٧/ ٢٦٦).

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ معزَّ من أطاعه واتقاه، ومذلّ من أضاعَ أمرَه وعصاه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا ربَّ لنا سواه، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن أقامَ أمرَه واجتنب نهيَه ودعا بدعوتِه واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: إن من التحدثِ بنعمِ اللهِ سبحانه أن نُذكِّرَ ببعضِ ما تتمتعُ به هذه البلادُ من مزايا كبرىٰ، لا تكادُ توجدُ في غيرِها ـ صانها اللهُ وحفظَها من كيدِ الكائدينِ وحَسَدِ الحاسدين، وكتبَ الخيرَ والتوفيقَ والصلاحَ والأمنَ والرخاءَ لكافةِ بلادِ المسلمين.

أيها المسلمون: لقد قامتْ هذه البلادُ على دعوةِ الحقِّ والتوحيدِ، وتحكيم كتابِ اللهِ وسنةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وأَخْذِ الناس بهما في كافةِ مجالَاتِ الحياةِ، والسيرِ على طريقِ السلفِ الصالحِ فلله الحمدُ والمنةُ.

وإن هناك خصيصةً عُظمىٰ لا توجدُ في غيرِ هذه البلادِ فيما نعلم، تلكُم أنها البلدُ الوحيدُ الذي أنشأ جهازاً خاصاً يقومُ بمهمةِ

الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ متمثلين قوله تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

إنه جهازٌ خاصٌ له نظامُه وصلاحيَّاتُه، كما أن له الأثرَ العظيمَ في البلادِ، وهو يحظىٰ بتأييدِ كافةِ المسئولين ودعمِهم، متعاونٌ مع جميعِ المصالحِ الحكوميةِ في سبيلِ تثبيتِ المعروفِ ونشرِه، وإزالةِ المنكرِ بشتىٰ أشكالِه وصورِه، ولأهلِه النشاطُ المعروفُ، والجهدُ المشكورُ في القضاءِ على الجرائمِ في مهدِها. وبسطِ الأمنِ والطمأنينةِ على الأرواحِ والأعراضِ والممتلكاتِ، سالكينَ مسلكَ العلمِ والحكمةِ، والرفقِ في غيرِ ضعفٍ، والقوةِ في غيرِ عنفٍ، وهم ـ بعد توفيق اللهِ وعونِه ـ مُؤيَّدون كلَّ التأييدِ من المسئولين في البلادِ، محلُّ الثقةِ من المجتمعِ كلِّه، فجزىٰ اللهُ الجميعَ عن البلادِ وأهلِها خيرَ الجزاءِ.

أيها الإخوة: إنها كلمةُ حقٍّ يجبُ أن تقالَ، وأعمالٌ يجبُ أن تُذكرَ فتشكرَ مع ما نرجو ونؤمِّل من المزيدِ من النشاطِ والعملِ، كما نؤمل المزيدَ من الدعمِ والتأييدِ، فالتياراتُ كثيرةٌ، والمغرضون كثيرٌ، ولكن الخيرَ ظاهرٌ، والحقُّ عليٌّ بإذنِ اللهِ، والحمدُ للهِ على ذلك كثيراً.

حدود شرعية وبلاد آمنة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ شرعَ الشرائعَ وأحْكَمَ الأحكامَ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه فهو وليُّ كلِّ إنعامٍ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه سيدُ الأنامِ، أوضحَ المحجةَ، وأظهرَ معالمَ الشريعة، وبيَّنَ الحلالَ والحرامَ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وصحبه البررةِ الكرامِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون وعظِّموا أمرَه واشكروا نِعمَه.

عبادَ اللهِ: إن توفرَ الأمنِ ضرورةٌ من ضروراتِ الحياةِ، قد تفوقُ ضرورةَ الغذاءِ والكساءِ، بل لا يستساغ طعامٌ إذا فقدِ الأمانَ. والأمانُ في جوهرِه ومعناه: لا يكونُ إلا مع الإيمانِ، والسلامُ في حقيقتِه لا يكونُ إلا مع الإسلام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]. **«لا إيمانَ لمن لا أمانةَ له»**(١)، **«المسلم من سلمَ المسلمون من**

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ١٣٥، ١٥٤، ٢١٠، ٢٥١)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦/ ٢٨٨)، وأيضا في شعب الإيمان (٤/ ٧٨ ـ ح٤٣٥٤، ٤/ ٣٢٠ ـ ح٥٢٥٤، ٥٢٥٥)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٧٥ ـ ح٣٨) وحسنه، =

لسانِه ويدِه»[1].

ومن دخلَ في الإسلامِ فقد دخلَ في دائرةِ الأمنِ والأمانِ: **«من قال لا إله إلا اللهَ، وكفرَ بما يُعبدُ من دونِ اللهِ حَرُم مالُه ودمُه، وحسابُه على اللهِ عزَّ وجلَّ»**[2]. **«كلُّ المسلم على المسلمِ حرامٌ دمُه ومالُه وعِرضُه»**[3]. وإذا تحقَّق الإسلامُ والإيمانُ توفرتْ أسبابُ الأمنِ والأمانِ ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور: ٥٥].

ومن هنا كان بناءُ الإنسانِ في الإسلام شاملاً كلَّ جوانبِ حياتِه، ومكوناتِ شخصيتِه، عقيدةً وسلوكاً وأخلاقاً.

ولئن كان الأمنُ ـ أيها الإخوةُ ـ يتوفرُ برسوخِ الإيمانِ في القلوبِ، وتطهيرِ الأخلاقِ في السلوكِ، وتصحيحِ المفاهيمِ في العقولِ، فإنه لابد مع ذلك من الشرعِ العادلِ، والسلطانِ القوي: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الحديد: ٢٥].

= وانظر مجمع الزوائد (١/ ٩٦).

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٩ ـ ح١٠)، ومسلم (١/ ٦٥ ـ ح٤١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٣ـ ح٢٣)، وأحمد (٣/ ٤٧٢).

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦ ـ ح٢٥٦٤)، وأبوداود (٤/ ٢٧٠ ـ ح٤٨٨٢)، والترمذي (٤/ ٢٨٧ ـ ح١٩٢٧) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/ ١٢٩٨ ـ ح٣٩٣٣)، وأحمد (٢/ ٢٧٧).

إن من الناس صنفاً غليظاً لا يكفيه توجيهُ رفيقٌ، ولا يكفيه وعظٌ بليغٌ، بل لا يردعُه إلا عقوبةٌ زاجرةٌ، وقوةٌ صارمةٌ، لذا كان لابدَّ من سوطِ السلطانِ مع زواجرِ القرآنِ، وقد جاء في الأثرِ: «إن اللهُ ليزعُ بالسلطانِ ما لا يزعُ بالقرآن».

ولكي يشيعَ الأمانُ، ويطمئنَّ الإنسانُ، شُرعتْ الشرائعُ الحازمةُ لمعكري الأمنِ ومثيري القلاقلِ، إنها مبادىءُ وأحكامُ، من أجل ضبطِ المجتمعاتِ، أساسُها الرحمةُ العامةُ والمصلحةُ الراجحةُ.

إنها الرحمةُ المصاحبةُ للعدلِ في قانونِ الإسلامِ، أُنزلتْ من أجلِها الشرائعُ، وسُنتْ لها الأحكامُ، وجاء بها رسولُ البشريةِ محمدٌ ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. فالغايةُ من الرسالةِ المحمديةِ الرحمةُ بالبشريةُ.

وإن الرحمةَ بمفهومِها الواسعِ غيرُ مقصورةٍ على الشفقةِ والرقةِ التي تنبتُ في النفسِ نحو مستضعفٍ أو أرملةٍ أو طفلٍ، ولكنها رحمةٌ عامةٌ للضعيفِ والشريفِ، والرئيسِ والمرؤوسِ، والقريبِ والبعيدِ.

لا مكانَ للرحمةِ لناشري الفوضىٰ، ومُهدري الحقوقِ، ومُرخصي النفوسِ. كيف تكون الرأفةُ بذئابِ الأعراضِ والأموالِ والدماءِ؟ لا يعرفُ العدالةَ في هذه القوةِ إلا المقروحون(١) والمكتوون ممن أُهدِرتْ دماؤهم، وانتُهكتْ أعراضُهم، ونُهبتْ أموالُهم. هل تُترك تلك الكلابُ المسعورةُ حرةً طليقةً تزدادُ

(١) المقروحون: الذين أصاب القرح أكبادهم.

ضراوةً ويزدادُ المجتمعُ بها بلاءً وشقاوةً؟!.

أيها الإخوةُ: إن شرائعَ القصاصِ والحدودِ بعضُ مظاهرِ الرحمةِ في هذا الدينِ.

إن أغلبَ المجرمين يُقْدِمون على القتلِ حين يَذْهلون عن الثمن الذي يدفعونه حتماً. ولو علموا أنهم مقتولون يقيناً لتردَّدوا ثم أحجموا.

ويومَ قالتْ العربُ: القتلُ أنفىٰ للقتلِ، قال القرآنُ الكريمُ عبارةً أوجزَ لفظاً وأحكمَ أسلوباً: ﴿فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]. نعم إن في القصاصِ حياةً.. حين يَكُفُّ من يُهِمُّ بالجريمةِ عن الإجرامِ. وفي القصاصِ حياةٌ حين تُشفىٰ صدورُ أولياءِ القتيلِ من الثأرِ الذي لم يكنْ يقفُ عند حدٍ لا في القديم ولا في الحديثِ. ثأرٌ تسيلُ معه الحياةُ على مذابحِ الأحقادِ العائليةِ والثاراتِ القبليةِ جيلاً بعد جيلٍ لا تكفُّ الدماءُ عن المسيلِ.

في القصاصِ حياةٌ أعمُّ وأشملُ، حياةٌ تشملُ المجتمعَ كلَّه، حيث يسود البلادَ الأمانُ الذي يصونُ الدماءَ.

وكما حُفظتْ النفوسُ، حُفظتْ الأعراضُ، فلا قسوةَ في جلدٍ أو رجمٍ، لأن الغرضَ الأسمىٰ هو حمايةُ الشرفِ وصيانةُ الأُسَرِ، وإشاعةُ الطهرِ والعفةِ بين الرجالِ والنساءِ: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ﴾ [النور: ٢].

وإن الآيةَ الكريمةَ لَتبين بوضوحٍ أن هذا النوعَ من الرأفةِ بالزناةِ والزواني لا يجتمعُ مع الإيمانِ باللهِ واليومِ الآخرِ، وعلى الرغم من أن من أخصِّ خصائصِ المؤمنين أنهم رحماءُ بينهم. فالرفقُ

بمنتهكي الأعراضِ ومرتكبي الفواحشِ ليس من الرحمةِ في شيءٍ.

كلُّ ذلك من أجلِ أن تُخرْسَ بواعثُ الجريمةِ، وتَسري الرهبةُ في نفوس أهلِ الرِّيَبِ، فلا يتجاوزون حدودَ الله، ويلوثون كراماتِ النَاسِ.

والزواجُ الصحيحُ، هو وحده الملتقىٰ المشروعُ للنفوسِ الكريمةِ والأسرِ الشريفةِ.

ومن أجلِ هذا وتأكيداً لحفظِ حرماتِ الناس من أن تستطيلَ عليها الألسنةُ الحدادُ، فتقعَ في الإفكِ وتشيعَ الفَحشاءُ، شُرِعَ حدُّ القذفِ ليُجلدَ المفترون، وتسقط كرامتُهم، وتُردَّ شهادتُهم، وتُحفظَ أعراضُ العفيفين والعفيفاتِ.

أما السرَّاقُ واللصوصُ.. فأين دعاةُ الرحمةِ من عاملٍ كادحٍ قد قبضَ أجرَه ليضعَه في أفواهِ نساءٍ وصبيةٍ فإذا بيدٍ آثمةٍ تمتدُّ إلى كسبِهِ، وتستولي على رزقِه، إن هذا اللصَّ يحصدُ ـ مُجرماً ـ في لحظاتٍ ما كدَحَ الشرفاءُ في تحصيلِه الليالِيَ والأيامَ. وهكذا يأكلُ القاعدُ الخبيثُ كدْحَ الساعيَ المُرهقِ.

إن اليدَ العاملةَ الكاسبةَ حقُّها أن تُصانَ وتُحمىٰ، حقُّها أن يُضمنَ لها سعيُها، وتأمنَ في معاشِها، أما اليدُ الفاسدةُ التي عَزَفتْ عن شريفِ العملِ وامتدَّتْ إلى الناسِ بالأذىٰ، وعَزَّ علاجُها، فلابدَّ من قطعِها ليرتاحَ منها صاحبُها، ويريحُ المجتمعَ كلَّه من مفاسدِهِ.

إن السطوَ على الأموالِ جريمةٌ تزدادُ وتستشريْ. إن لم تقَابلْ بالعلاجِ الزاجرِ الحاسمِ، تتحولُ إلى جرأةٍ على الدمِ الحرامِ.

ما أيسرَ أن يَقْتلَ اللصُّ من يعترِضُ طريقَه، سواءٌ كان هذا المعترضُ من رجالِ الأمنِ أو من رجالِ الأعمالِ والأموالِ.

بل حينما يستفحلُ أمرُهم ويتصاعدُ خطرُهم، تعظُم العقوبةُ الزاجرةُ في حقِّهم، إنهم أصبحوا محاربينَ للهِ ولرسولِه، ساعينَ في الأرضِ فساداً فجزاؤُهم: ﴿أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣﴾ [المائدة: ٣٣].

ذلُكم حكمُ اللهِ أنزله إليكم. إن الغلظةَ في العقوبةِ أيُّها الرحماءُ تتكافأُ مع غِلَظِ الجريمةِ. إن الرفقَ بمن ثبتتُ جريمتُه ليس من الرحمةِ في شيءٍ، وكيفَ يكونُ إقرارُ الظلم والاعتداءُ على الآمنين والتقاعسُ عن الجزاءِ الرادعِ رأفةً ورحمةً. فالرحمةُ الحقيقيةُ هي التي لا تحملُ في ثناياها ظلَماً ولا هضماً.

لقد تعالتْ صيحاتٌ من هنا وهناكَ تنادي بالغاءِ عقوبةِ الإعدام لمن يستحقُّها، فهذا المجرمُ عندهم منحرفُ المزاجِ مضطربُ النفسِ، ينبغي أن يُعالجَ. إنه اعتذارٌ عن السفاكينَ ومُرْخصِي الدماءِ مرفوضٌ. ومع هذا فقد وَجدَتْ هذه الصيحاتُ استجاباتٍ، فألغيتْ عقوبةُ الإعدامِ في دولٍ شتىٰ. وفتحوا سجوناً كثيرةً سَمِن فيها المجرمونَ لكي يخرجوا أشدَّ ضرواةً وأكثرَ شقاوةً.

ومن اليسيرِ أن يتعاونَ اللصوصُ والقتلةُ في إدراكِ مآربهم، ورسمِ خُططِهم، ليكوِّنوا عصاباتٍ ويتقاسموا المهماتِ. وكأنَّكم تحسونَ بأن السجونَ تُصبحُ ساحاتٍ ممهدةً لاجتماعِ هؤلاءِ وإحكامِ خُططِهم، بل لعلهم يُديرونها ويُدبِّرويها من خلفِ قضبانِ

السجونِ ولهم في الخارجِ إخوانٌ يَمدونهم في الغيِّ ثم لا يُقْصِرون.

إن الريبةَ لتثورُ حولَ ضمائرِ هؤلاء المدافعين عن المجرمين. ويكادُ المتعجبُ أن يقول: لا يعطفُ على اللصِّ إلا لصٌ مثلُه، ولا يرأفُ بالقاتلِ إلا قاتلٌ مثلُه.

ماذا كَسَب الذين أهملوا حُكمَ اللهِ في الحدودِ والقصاصِ وأعملوا حكمَ الطاغوتِ؟ لم يجنوا إلا انتشارَ الجريمةِ، وسيادةَ الفوضىٰ، وذُعْرَ الألوفِ في مساكنِهم ومسالِكِهم. وفي الحديثِ: «**وما ترك أئمتُهم العملَ بكتابِ اللهِ إلا جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم**»[(١)].

إنك حين ترىٰ في واقعِ الذين ظلموا أنفسَهم، وابتعدوا عن شرعِ اللهِ، ما تنشرُه وسائلُ الإعلامِ من أنواعِ الجرائمِ وبشاعتِها، واستهانتِها بالأنفس، واسترخاصِها للدماءِ، وانتهاكِها للأعراضِ، وابتزازِها للأموالِ، لقد وَصلَ الحالُ بهم - حين أَمِنُوا العقوبةَ الرادعةَ - أن كوَّنوا قُوىٰ إرهابيةً تُضارعُ الدولَ والحكوماتِ، بل وقد تفوقُ عليها في قوتِها وأنواعِ أسلحتِها وتقنيتِها، إنها عصاباتٌ تقطعُ الطرقَ وتخيفُ السبلَ - بريَةً وبحريةً وجويةً -، تنشرُ الرعبَ والفسادَ، وتُغِيْرُ على المصارفِ والخزائنِ، وتستهينُ بالقوانين والأعرافِ. من قاومَهم قتلوه، ومن سكتَ عنهم استخفُّوا به

---

(١) رواه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٢، ١٣٣٣ - ح٤٠١٩) وقال البوصيري في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، والحاكم (٤/ ٥٤٠) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وعلى هذا فالحديث حسن إن شاء الله.

وأهانوه، شرُّهم يستشري، وأمرُهم يستفحلُ، والناس منهم في هرجٍ ومرجٍ واضطرابٍ وفسادٍ، والدولُ يضعفُ سلطانُها، وما أنباءُ المخدراتِ ومنظماتِها عنكم ببعيدٍ.

أيها الإخوةُ: وفي هذا الخِضَمِّ المائج بفتنِه وإرهابِه نقول: فلتهنأ بلادُنا بلادُ الحرمين الشريفين بأمنِها وأمانِها، ولتستمسكْ بدينِها، وتعتزَّ بدستورِها: كتابِ اللهِ وسنةِ رسولِه محمدٍ ﷺ، تُحِلُّ حلالَه، وتحرِّمُ حرَامه، وتقيمُ حدودَه زادَها اللهُ صلاحاً وإصلاحاً، وبتحكيمِ شرعِه إيماناً وتسليماً.

حدود شرعية وبلاد آمنة

الخطبة الثانية

الحمد لله أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْراً، وجعلَ لكلِّ شيءٍ قَدْراً، وأسبلَ على الخلائقِ من حفظِه سِتْرا. أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألَا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، أرسله إلى الناس كافةً عذراً ونُذراً. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آلَه وصحبه.. أخلدَ اللهُ لهم ذكراً وأعظمَ لهم أجْراً، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ، واعلموا أنه يقصُرُ الإدراكُ عند بعضِ المنتسبينَ إلى الإسلامِ حين يظنُّون أن العقوباتِ والزواجرِ في الإسلام إن صَلُحتْ فيما مضىٰ فهي غيرُ صالحةٍ في هذه العصورِ. إنهم لَم يدركوا أن الأمنَ الذي يتحققُ بتطبيقِ شرع اللهِ لا يعتمدُ على العقوبةِ وحدَها، ولكنه يعتمدُ قبلَ ذلك وبعدَه على غرس الإيمانِ في القلوبِ، وزرعِ الخشيةِ من علَّامِ الغيوبِ، فتتركُ النفوسُ الإجرامَ رغبةً ورهبَةً، يُغذيِّ ذلك ويقويه قنواتُ الأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكرِ، ونداءاتِ الوعظِ الرقيقِ، والتذكيرِ الرفيقِ، وتعليمِ الجاهلِ، وتنبيهِ الغافلِ، وحفظِ السفهاءِ في أنفسِهم وأموالِهم.

ومن هنا أيها الإخوةُ فإن الدينَ لا يقفُ متربصاً من أجلِ أن تزلَّ قدمٌ ليُجْهزَ على صاحبِها، ولكنه يمنحُ الفُرصَ تلوَ الفرصِ من السِّترِ المحدودِ لَيرْشُدَ الضالُّ ويَصلْحَ العاصي. إنه يُؤثِرُ سَترَ طالبي السترِ، ويدرءُ الحدودَ بالشبهاتِ، ويفتحُ منافذُ الأملِ لمستقبلٍ يتوبون فيه إلى ربِّهم، ويستغفرونه واللهُ غفورٌ رحيم.

الغزو الفكري بين العزة والخنوع

الخطبة الأولى

الحمدُ لله جعل قوةَ هذه الأمةِ في إيمانها، وعزَّها في إسلامِها، والتمكينَ لها في صدقِ عبادتِها، أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، دعا إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، جعلنا على المحجةِ البيضاءِ. ليلُها كنهارِها. صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابِه. كانوا في هذه الأمةِ قدوتَها ومصابيحَها، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيُّهـا المسلمـون، وأطيعـوا اللهَ ورسـولَـه إن كنتـم مؤمنين.

يقول الله عز وجل: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْآخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [آل عمران: ٨٥].

الإسلام دينُ اللهِ جاءَ به محمدُ بنِ عبدِالله ﷺ رحمةً للعالمين، ومُصدِّقاً لَما بين يديه من الكتابِ ومهيمناً عليه. دينُ اللهِ أكملَه وأتمَّ به نعمتَه، ورضيَه لهذه الأمةِ ديناً. من استمسكَ به أعزَّه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيرِه أضلَّه اللهُ، ومن تركَه ورغِب عنه قصمَه الله. لا صلاحَ إلا بالاستمساكِ به، ولا بقاءَ إلا لمن سارَ على

نهجه. والذلةُ والصغارُ لمن خالفَ أمرَه. عقيدةٌ نقيةٌ، وفكرٌ كاملٌ، وتنظيمٌ شاملٌ، وعزةٌ عاليةٌ، واستقلالٌ صحيحٌ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [المنافقون: ٨].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [المائدة: ٥٤ ـ ٥٦].

صراطُ اللهِ لا يقبلُ الذلةَ، ويأبىٰ التبعيةَ، ويرفضُ الخنوعَ، ويستعصى على الدُّخَلاءِ.

أيها المسلمون والمسلمات: هذا هو الدينُ، وهذه هي قوةُ الصادقين من أهلِه. ولكن يظهرُ في بعضِ ضعافِ النفوس استعبادٌ فكري، وخنوعٌ معنوي، وتبعيةٌ مَهينةٌ... وسنةُ اللهِ قاضيَةٌ أنَّ كلَّ أمةٍ تستبدلُ الضلالَ بالهدىٰ، وتتقاعسُ عن العملِ المثمرِ النافعِ، لا تزالُ في تَقَهْقُرٍ وانحطاطٍ وتلاشٍ واضمحلالٍ، يكونُ ذلك في فكرِها وقوتِها وسلوكِها.

إذا هُزمتْ الأمةُ في عقيدتِها فقد غشيتْها الذلةُ، وما كان لها أن ترفعَ رأساً أو تُحقِّقَ عزةً.

معاشرَ الإخوةِ: مِنْ أبرزِ علاماتِ ضعفِ الأممِ أخذُها بكلِّ ما يُساق إليها، من غيرِ تمييزٍ بين ما يضرُّ وما ينفعُ، ولا تفريقٍ بين ما يوافقُ وما لا يوافقُ، حتى ينتهي بها الحالُ إلى أن تفقدَ

خصائصَها، وتذوبَ أصالتها.

ومن علاماتِ الضعفِ البارزةِ كذلك: أن يكونَ ميلُها إلى نقلِ التافه الحقيرِ مما يُغْرِقُ في الشهواتِ، ويقودُ إلى الراحةِ والاسترخاءِ. ليس عند أصحابِها من الهمةِ والعزةِ ما يرتفعون به إلى معالي الأمورِ، وحياةِ الكفاحِ والجهادِ، واحتمالِ المكارِه والعملِ الجادِّ والدؤوبِ.

إن لدىٰ الأعداءِ بضاعتين: بضاعةٌ يُزْجُونَها إلى الضعافِ، وبضاعةٌ يمنعونَها عنهم. أما التي يُزْجُونها: فكلُّ ما يسلِبُ الأخلاقَ، ويدمِّر القيمَ، ويُذِلُّ الأمةَ، ويكرِّسُ العبوديةَ. وأما التي يمنعونَها: فسرُّ التفوقِ وإكسيرُ القوةِ والنافعُ المفيدُ.

أيها الإخوة: هذا هو حالُ الضعفِ والضعفاءِ ولو ستروا أنفسَهم بقشورٍ رقيقةٍ من علمٍ أو ثقافةٍ.

لقد ظنتْ بعضُ هذه الدويلاتِ الضعيفةِ أنها نالتْ استقلالَها وحريتَها، وعدَّتْ نفسَها في عدادِ أهلِ العلمِ والمتعلمين، والحضارةِ والمتحضرين، بينما أبناؤُها عبيدٌ أرقاءُ في أفكارهم... شاءوا أم أبوا. تشهدُ على ذلك مدارسُهم ومكاتبُهم وبيوتُهم وأسواقُهم ومجتمعُهم ومحاكمُهم. بل تشهدُ عليهم ألسنتُهم وأيديهم وأرجلُهم.. أنهم لم ينالوا من الحضارةِ الملحدةِ سوى قشورِها.

لا يفكرونَ إلا بعقولِ الأعداءِ، ولا يبصرون إلا بأعينِهم، راسخٌ في نفوسِهم ـ شعروا أو لم يشعروا ـ أن الحقَّ ما جاء من عندِهم، والباطلُ ما لم يكنْ عندَهم. مقاييسُ الحقِّ والصدقِ

والأدبِ ما قررتْه نظرياتُهم ومناهجُهم.

والوطنيةُ عند هؤلاءِ المنكوبين: أن يَعْرِضوا ما عندَهم من أفكارٍ وتصوراتٍ على تصوراتِ الملاحدةِ في الشرقِ وفي الغربِ، فما وافقَ ما عندهم اطمأنُّوا إليه، وفرِحوا به وفاخَروا به، فهو المسايرُ لمقتضياتِ العصرِ. وما خالفَ ذلك: فهو باطلٌ وتخلفٌ ورجعيةٌ، وأفكارٌ قديمةٌ باليةٌ. ثم يقومُ هزيلٌ من هؤلاءِ فيتبرأَ مما عندَ قومِه من الحقِّ، ويرفضَه سِراً أو علناً، ويأتي متحذلقٌ آخرُ في خنوعٍ وذلةٍ ليوفِّقَ بيدٍ مرتعشةٍ بين ما عندَه وما عندَ كفارِ المشرقِ والمغربِ، فيمدُّ ويرقِّعُ لينطبقَ على معاييرِهم... تبعيةٌ ذليلةٌ تُمسخُ فيها عقولُ الأمةِ، وتُشَوَّه أفكارُها... من خلالِ التربيةِ والتعليمِ والإعلامِ، تبعيةٌ تجهلُ فيها الأمةُ تاريخَها، وتُعظِّم تاريخَ الغزاةِ.. .ينشأُ الجيلُ المقهورُ وليس في علمِه ولا ثقافتِه إلا تاريخُ الدولةِ الغالبةِ.. لا يعجبُه إلا فكرُها، ولا يكبُرُ في عينِه إلا رجالُها.

ذلةٌ تُزاحمُ فيها لغةُ الغالبِ لغةَ المغلوبِ وتزحزحُها أو تطردُها لتحلَّ محلَّها، فيلوي مُدَّعو الحريةِ ألسنتَهم بالرطانةِ.. وذلك عندَهم رمزُ التقدميةِ. وما علِم هؤلاء المخذلون أن ضعفَ لغةِ الأمةِ برهانٌ على ضعفِ فكرِها.

في الغزوِ الفكري تَستبدلُ الأمةُ أخلاقَ الكافرين بأخلاقِها المستقيمةِ، فيقومُ دعاةٌ من القومِ يدعونَ إلى الميوعةِ، والسفورِ وهدمِ الأخلاقِ.

سبحانَ اللهِ ـ عبادَ اللهِ ـ أيُّ مسخٍ وأيُّ ذلةٍ أشدُّ وأنكىٰ من أن

تستوردَ الأمةُ أخلاقاً ذميمةً من الخارج، وقيماً هابطةً من المغضوبِ عليهم، وهلْ يوجدْ تنكرٌ للأَصالةِ أعظمَ من هذا التنكرِ؟.

يقولُ بعضُ زعماءِ اليهودُ: (لقد نَشرْنا روحَ التحررِ الكاذبِ بين الشعوبِ الغيورةِ لاقناعِهم بالتخلي عن دينِهم. بل استطعنا تثبيتَ الشعورِ بالخجلِ من الإعلانِ عن تعاليم الدينِ وأوامرِه ونواهيه ومزاياه. والأدهىٰ من ذلك أننا نجَحنا في إقناعِ كثيرين بالإعلانِ جهاراً عن إلحادِهم وكفرِهم بالله. . .).

نعم ـ أيها الإخوة ـ لقد شَمِلَ هجومُهم العقائدَ والسياسةَ، والحكمَ والاقتصادَ، والتعليمَ والإعلام، واللغةَ والتقاليدَ الصحيحةَ، والأزياءَ المحتشمةَ. لقد شمِلَ العقلَ والنقلَ، والدينَ والدنيا. سددوا الطعناتِ ووجهوا السهامَ، ودبروا المؤامراتِ. تعددتْ مجالاتُ الغزوِ، وتنوعتْ أساليبُه. هجومٌ من الخارجِ تارةً، ومن الداخلِ تارةً. من أبناءِ جلدتِنا ويتكلمون بألسنتِنا.

وعلى قدرِ شرفِ رسالتِنا تكون شراسةُ الهجومِ علينا. لو كان دينُنا دينَ خمولٍ أو بلادةِ عقلٍ. . لما اكترثوا ولَما اهتموا. . فما رأيناهم هاجموا وثنيةً، ولا قاوموا بوذيةً. وإن في أفئدةِ القومِ غلاً راسباً منذُ مئاتِ السنين.

إنهم ما سكتوا ولن يسكتوا. . وكيف يكونُ ذلك وقد علموا أن الإسلامَ عَصِيٌّ عليهم في مبادئِه، مقاومٌ لكلِّ أنواعِ الذلةِ والاستعبادِ.

أيها المسلمون والمسلمات: هذا واقعُ كثيرٍ من بلادِ الإسلامِ،

وحالُ كثيرٍ من مثقفي الأمةِ، وتلك هي مواقفُ الأعداءِ.

ولكنَّ المؤمنَ موقنٌ بأن اللهَ حافظٌ دينَه معلي كلمتَه، ولن يزالَ في الأمةِ موَّفقون يَهدونَ بالحقِّ وبه يعدلون، ولا تزالُ في أمةِ محمدٍ ﷺ طائفةٌ على الحقِّ منصورةٌ، لا يضرُّهم من خذلَهم. ولا من خالَفهم، حتى يأتيَ أمرُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ. والمحجةُ بيضاءُ، والطريقُ بيِّنٌ، والحقُّ أبلجُ، وما على أهلِ الحقِّ من المسئولينَ والعلماءِ والدعاةِ إلا أن يَصْدُقوا في النوايا، ويُشَمِّروا في العملِ، فرجلُ الأصالةِ وصاحبُ الاستقلالِ المحمودِ: هو المسلمُ المستمسكُ بدينه، الواثقُ به، المعتزُّ بتعاليمِه.

ومن أجلِ عودةٍ صادقةٍ، واستعادةٍ لموقعِ الصدارةِ ومِقْوَدِ القيادةِ.. لابدَّ من تضافرِ الجهودِ في تربيةِ الأجيالِ على الاعتزازِ المطلقِ بدينِها، واستشعارِ عظمتِه. لابد أن يصحبَ برامجَ التعليمِ والإعلامِ.. برامجُ تربيةٍ إسلاميةٍ صحيحةٍ نقيةٍ.. تُشْرِفُ على سلوكِ الأفرادِ والجماعاتِ، وتجعلُ الحياةَ الخاصةَ والعامةَ محكومةً بحكمِ الإسلامِ، مضبوطةً بآدابِه وتوجيهاتِه، والتخلصُ من سخافةِ الأفكارِ وزُبَالَةِ الأذهانِ.

ولابدَّ من أن يستقرَّ في النفوسِ يقينٌ جازمٌ.. بأن شريعةَ الإسلامِ هي دينُ الأمةِ ودستورُها في الصغيرِ والكبيرِ، وهي كلمةُ ربِّها وهَدْيُ كتابِها المُتَعبَّدِ بتلاوتِه بكرةً وعشياً، وهي قانونُها العامُّ والخاصُّ في النقيرِ والقطميرِ.. سدَّدَ اللهُ الخطىٰ، وباركَ في الجهودِ وأعزَّ الإسلامَ وأهلَه.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٨٦].

الغزو الفكري بين العزة والخنوع

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ على كلِّ حالٍ، وأعوذُ باللهِ من حال أهلِ الضلالِ، وأسألُه العفوَ والعافيةَ في الدينِ والدنيا والحالِ والمآلِ. أحمدُه سبحانَه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وهو الكبيرُ المتعالِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه شريفُ النسبِ وكريمُ الخصالِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ المآلِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ اللهِ. واعلموا أنَّ من مظاهرِ العزةِ الجليةِ في ديننـا. . . نهيَ المسلمِ عن التشبهِ بالكفارِ على شتى مِلِلهم ونِحَلِهم، وبأيِّ نوعٍ من أنواعِ التشبهِ. ذلك أن التشبُّه لا يصدرُ إلا عـن إعجابٍ وإحساس بالتبعيةِ. ومـن ثـمَّ يتـولـدُ الاستئناسُ بالأعداءِ، ومحبتُهم وتقديرُهم وتعظيمُهم. بل يتدرجُ الحالُ إلى ازدراءِ قومِه وأهلِه وعشيرتِه، واحتقارِهم في سلوكِهم ولباسِهم ومُستَحسنِ عاداتِهم. وكلَّما كانتْ وجوهُ المشابهةِ أكثرَ. . كان التفاعلُ في الأخلاقِ والصفاتِ أعظمَ. ومنْ قلَّدَ الكفارَ وشابَهَهم في الهَدي الظاهرِ، فهو قائدٌ على وجهِ التدرجِ والمسارقةِ إلى التأثرِ بعقائدِهم الباطلةِ في أعيادِهم واحتفالاتِهم. والمشاركةُ في

الهديِ الظاهرِ تقودُ إلى الاختلاطِ الذي يمحو التميزُ بين المهديِّين المرضيِّين، وبين المغضوبِ عليهم والضالِين.

وفي عصرِنا المشاهدِ نماذجُ كثيرةٌ ـ لا كثرَّهم اللهُ ـ من عشَّاقِ حياةِ الكافرين، يحملون أفكاراً هدامةً، تُنابذُ عقائدَ أهلِ الإسلامِ... كان مبدأُ انحرافِهم.. الإعجابَ والمشابهةَ الظاهرةَ.

وفي هؤلاءِ من يعتقدُ أن القوانينَ البشريةَ خيرٌ من شريعةِ ربِّ البريةِ. فيهم من يرىٰ أن الإسلامِ محصورٌ في صلةِ العبدِ بربِّه، ولا علاقةَ له بالحياةِ والناسِ.

ولِعَظَمِ الأمرِ وخطورتِه جاءتْ شريعةُ محمدٍ ﷺ في أصولِها وفروعِها وظاهرِها وباطنِها مباينةً لسبيلِ المغضوبِ عليهم والضالِين. ولتعلموا رحمكم الله: أن القلبَ كلَّما كان أتمَّ حياةً، وأعرفَ باللهِ، كان إحساسُه بمفارقةِ الكفارِ والمشركين باطناً وظاهراً أتمَّ وأعظمَ، وبعدُه عن أخلاقِهم وأعمالِهم أشدَّ وأكبرَ. فاتقوا الله واستمسكوا بهدي نبيكم وانبِذُوا مسالكَ الكافرين وطريقَ الضالين.

التقوى جماع كل خير

الخطبة الأولى

الحمد للهِ أهلِ المغفرةِ والتقوىٰ، أحاطَ بكلِّ شيءٍ علماً، وأحصىٰ كلَّ شيءٍ عدداً، له ما في السمواتِ وما في الأرضِ وما بينهما وما تحتَ الثرىٰ. أحمده سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه. نعمُه لا تحصىٰ، وآلاؤُه ليس لها مُنتهىٰ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه. أخشى الناس لربِّه وأتقىٰ، دلَّ على سبيلِ الهدىٰ وحذَّر من طريقِ الرَّدىٰ، صلى الله وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابِه، معالم الهُدىٰ ومصابيحِ الدُّجىٰ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ وسارَ على نهجهم واقتفىٰ.

أما بعدُ:

عبادَ اللهِ؛ فأوصيكم ونفسي بتقوىٰ اللهِ، فتقوىٰ اللهِ جماعُ الخيراتِ، وحصونُ البركاتِ، أكثرُ خصالِ المدحِ ذكراً في كتابِ اللهِ.

ما من خيرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ، ولا ظاهرٍ ولا باطنٍ إلا والتقوىٰ موصلةٌ إليه ووسيلةٌ له ودليلٌ عليه. وما من شرٍ عاجلٍ ولا آجلٍ، ولا ظاهرٍ ولا باطنٍ، إلا والتقوىٰ حرزٌ منه حصينٌ، ودرعٌ منه مكينٌ.

هي وصيةُ اللهِ للأولينَ والآخرينَ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

هي دعوةُ الأنبياءِ، وشعارُ الأولياءِ، فكلُّ نبيٍّ يقول لقومِه: ﴿.. ألا تتقون﴾ وأولياءُ اللهِ هم الذين آمنوا وكانوا يتقون.

حقٌّ علينا أيها الإخوةُ أن نقفَ عندَها، ونتأملَ فيها، ونتدبرَ في معانيها لعلَّ اللهَ أن يجعلَنا من أهلِها.

والتقوىٰ في أصلِها أن يجعلَ العبدُ بينه وبين ما يخافُ ويحذرُ وقايةً. وربُّنا تباركَ وتعالىٰ هو أهلُ التقوىٰ. هو الأهلُ وحدَه أن يُخْشىٰ ويُعظَّمَ ويُجلَّ ويُكرَّمَ. التقوىٰ كما يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: «الخوفُ من الجليلِ، والعملُ بالتنزيلِ، والقناعةُ بالقليلِ، والاستعدادُ ليومِ الرحيلِ».

والتقيُّ من عبادِ اللهِ ذو ضميرٍ مرهفٍ، وخشيةٍ مستمرةٍ، وحذرٍ دائمٍ، يتوقىٰ أشواكَ الطريقِ، ويحذرُ سراديبَ الحياةِ، وَجِلٌ من تجاذُبِ كلاليبِ الرغائبِ والشهواتِ، ونوازعِ المطامعِ والمطامحِ.

وتبلغُ التقوىٰ تمامَها. كما يقولُ أبوالدرداء ـ رضي الله عنه ـ حين يتقي العبدُ ربَّه من مثقالِ الذرةِ، وحتىٰ يتركَ بعضَ ما يرىٰ أنه حلالٌ، خشيةَ أن يكونَ حراماً، ليكونَ حجاباً بينه وبين الحرام. فإن اللهَ بيَّنَ للعبادِ الذي يُصيِّرهم إليه فقال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨].

وفي كتابِ ربِّكم أيها الإخوةُ ـ نعوتٌ لأهلِ التقوىٰ، وإشادةٌ بذكرِهم، ورفعةٌ من شأنِهم، وإطنابٌ في وصفِهم، فالمتقونَ في

كتاب الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤﴾ [البقرة: ٣ ـ ٤].

والمتقون في كتاب الله: ﴿مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝١٧٧﴾ [البقرة: ١٧٧].

والمتقونَ في كتاب الله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٣٥﴾

[آل عمران: ١٣٤ ـ ١٣٥].

التقوىٰ تفتحُ مغاليقَ القلوبِ ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ۗ﴾

[البقرة: ٢٨٢].

وهدايةُ القرآنِ لا تكون بغيرِ ذوي النفوسِ التقيةِ والقلوبِ الزكيةِ.. تتوقىٰ الضلالةَ، وتتجنبُ سبُلَ الغوايةِ.

بالتقوىٰ يكونُ الفرقانُ بين الحقِّ والباطلِ، وبها العرفانُ الذي تنجلي به الأمورُ، والنورُ الذي تنشرحُ به الصدورُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٢٨﴾ [الحديد: ٢٨].

القبولُ في أهلِ التقوىٰ محصورٌ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[المائدة: ٢٧]

والقَدْحُ المعلَّىٰ من الكرامةِ في نواصيهم معقودٌ ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

هم الناجون من السعير: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم: ٧١ ـ ٧٢].

﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الزمر: ٦١].

ولهم الفوزُ بدارِ الحبورِ ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾ [مريم: ٦٣].

وصفَهم عليٌّ رضي اللهُ عنه فقال: هم أهلُ الفضلِ؛ منطقُهم صوابٌ، وملبسُهم في اقتصادٍ، ومشيُهم في تواضعٍ، غضوا أبصارَهم عن الحرامِ، ووقفوا أسماعَهم على ما يستفادُ. نزلتْ أنفسُهم منهم في البَلاءِ كما نزلتْ في الرخاءِ. عَظُمَ الخالقُ في أنفسِهم، فصغُر ما دونَه في أعينِهم. قلوبُهم محزونةٌ. وشرورُهم مأمونةٌ. مطالبُهم في هذه الدنيا خفيفةٌ وأنفسُهم عما فيها عفيفةٌ. صبروا أياماً قصيرةً فأعقبَهم راحةً طويلةً. يَصُفُّون في الليلِ أقدامَهم، يرتلون قرآنَهم. جاثون على الركبِ. يطلبونَ النجاةَ من العطبِ. لا يرضونَ من الأعمالِ الصالحةِ بالقليلِ، ولا يستكثرون منها الكثيرَ. من ربِّهم وجلون، ومن أعمالِهم مشفقون. يتجملون في الفاقةِ، ويصبرون في الشدةِ، ويشكرونَ على النعمةِ، قريب أملُهم، قليلٌ زللُهم. الخيرُ منهم مأمولٌ، والشرُّ منهم مأمونٌ.

أمةَ الإسلامِ: ولا يتجلىٰ الصدقُ في التقوىٰ حين يتجلىٰ إلا

عندما يستوي عند العبدُ تقاه في سرِّه ونجواه. وقد قال المصطفىٰ ﷺ لمعاذٍ: «اتق اللهَ حيثما كنتَ»[1]. وإلى هذا المعنى يشيرُ قولُه تعالىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١].

وما المراقبةُ إلا علمُ القلبِ بقربِ الربِّ. ومن كلامِ الشافعيِّ ـ رحمه الله ـ: «الأشياءُ ثلاثةُ: الجودُ من قلةٍ، والورعُ في الخلوةِ، وكلمةُ الحقِّ عند من يُرجىٰ أو يُخافُ».

ومن وصايا بعضِ الواعظين: «أوصيكَ بتقوى الله. الذي هو نجيُّكَ في سريرتِك، ورقيبُك في علانيتِك، فاجعلْ اللهَ من بالكِ على كلِّ حالٍ. في ليلِك ونهارِك، وخَفِ اللهَ بقدرِ قربِه منكَ وقدرتِه عليكَ».

وعجباً عبادَ الله: كيفَ يتقي العبدُ ذنبَه عن خلقِ الله، ويُظْهِرُه في خلوتِه بمولاه؟!.

وقد قيل: اتقِ اللهَ أن يكونَ أهونَ الناظرينَ إليك. فيا سبحان الله: ألم تَصْفِ لك المعصيةُ إلا حين خلوتَ بربِّك؟ ألم تستحِ منه حياءَك من بعضِ خلقِه؟! ومن أضلُّ ممن أبدى للناسِ صالحَ عملِه وبارزَ بالقبيحِ من هو أقربُ إليه من حبلِ الوريدِ!!.

أيها الإخوةُ في اللهِ: وحين يصيبُ الإنسانَ بعضُ القصور، ويغلبُه طغيانُ شهوةٍ. تعملُ التقوىٰ عملَها. فسرعانَ ما يرجُع

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ١٥٣)، والدارمي (٢/ ٢٣١ ـ ح٢٧٩٤)، والترمذي (٤/ ٣١٢، ٣١٣ ـ ح١٩٨٧) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (١/ ٥٤) وصححه ووافقه الذهبي.

التقيُّ إلى ربِّه، ويأويْ إلى رحمتِه، ويهرُبُ من شيطانِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١].

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

إن المتقينَ في أعلىٰ مراتبِ المؤمنين. وسماحةُ دين اللهِ، والرحمةُ بخلقِ اللهِ تسلُكُ في عدادِ المتقين كلَّ المذنبين التائبين، الراجعين إلى ربِّهم غيرَ المصرينَ على خطيئاتِهم.

إن المقصِّرَ حين يتوبُ لا يكون في مؤخرةِ القافلةِ ولا في ذيلِ القائمةِ. إنه أهلٌ لبلوغ أعلىٰ المقاماتِ حين تصدقُ توبتُه وتصحُّ أوبتُه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٦].

أيها الإخوةُ في اللهِ: بقي ركنٌ في التقوىٰ ركينٌ نشير إليه، إنه الحفاظُ على حقوقِ الناس بجانبِ حقوقِ اللهِ، ولقد قال ابنُ رجبٍ رحمه اللهُ: «وكثيراً ما يغلبُ على من يعتني بالقيام بحقوقِ اللهِ، والانعكافِ على محبتِه وخشيتِه وطاعتِه، إهمالُ حقوقِ العبادِ بالكليةِ أو التقصيرِ فيها. حتى قال: والجمعُ بين القيام بحقوقِ اللهِ وحقوقِ عبادِه عزيزٌ جداً لا يقوى عليه إلا الكُمَّلُ من الأنبياءِ والأتقياءُ. وقد قالَ بعضُ الحكماء: من عزيزِ الأشياءِ: حسنُ الخلقِ مع الديانةِ، وحسنُ الإخاءِ مع الأمانةِ».

وفي التنزيلِ من أوصافِ المتقين: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ

﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

تعملُ التقوىٰ في أصحابِها فيكظمون الغيظَ ولا ينساقونَ لثورةِ النفسِ وغيضِ الصدرِ. وكظمُ الغيظِ عند المتقين، لا يكون إحَناً[١] غائرَةً في القلوبِ، ولا أحقاداً دفينةً في الأعماقِ، ولكنه كظمٌ يعقبه عفوٌ وسماحةٌ ﴿وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ﴾ إن الغيظَ وِقْرٌ على النفسِ حين تكظِمُه، وشُواظٌ يلفحُ القلبَ حين يكتُمه، فأما حين تصفحُ النفسُ، ويعفو القلبُ فأولئك هم المتقون المحسنون، والله يحبُّ المحسنين.

فاتقوا اللهَ عبادَ الله. اتقوه في أنفسِكم، واتقوه في أهليكِم، واتقوه في الناسِ أجمعين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩﴾ [الحشر: ١٨ ـ ١٩].

---

(١) الإحن: الأحقاد والضغائن.

التقوى جماع كل خير

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وليِّ من اتقاهُ، من اعتمدَ عليه كفاهُ، ومن لاذَ به وقاهُ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه وحبيبُه وخليلُه ومصطفاه، صلى الله وسلم وبارك علي، وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوتِه واهتدى بهداه.

أما بعدُ:

أيها المسلمون؛ كم للتقوىٰ من ذكرٍ في كتابِ اللهِ، وكم عُلِّقَ عليها من خيرٍ، ووُعدَ عليها من ثوابٍ، وارتبطَ بها من فلاحٍ، وانعقدَ بها من كرامةٍ.

اقرأوا في المعيةِ الإلٰهيةِ: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [البقرة: ١٩٤].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل: ١٢٨].

وفي ثوابِ الدنيا وخيراتِها المباركةِ.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة: ١٠٣].

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ

﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ ـ ٣].

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ۝٤﴾ [الطلاق: ٤].

﴿فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٣٥﴾ [الأعراف: ٣٥].

وأما في ثوابِ الآخرةِ ونعيم الجنةِ فلتقرؤا: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ۝٢٠﴾ [الزمر: ٢٠].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ۝٥٤ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ۝٥٥﴾ [القمر: ٥٥].

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ۝٤٢ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٤٣﴾ [المرسلات: ٤١ ـ ٤٣].

جعلنا اللهُ وإياكم منهم بمنِّه وكرمِه.

فتزودوا من التقوىٰ رحمكم اللهُ. فهي خيرُ زادٍ، وتواصوا بها فهي خيرُ وصيةٍ. جاء يزيدُ بنُ سلمةَ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إني قدسمعت منك حديثاً كثيراً أخافَ أن يُنْسيَني أوْلَه آخرُه، فحدِّثْني بكلمةٍ تكونُ جماعاً قال: «**اتقِ اللهَ فيما تعلمُ**»(١). ولا زال السلفُ يتواصون بها، فقد كتبَ عمرُ بنُ عبدِالعزيز رحمه اللهُ إلى

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/٤٨ ـ ح٢٦٨٣) وفي سنده انقطاع، قال الترمذي: هذا ليس اسناده بمتصل وهو عندي مرسل ولم يدرك عندي ابن أشوع يزيد بن سلمة، وابن أشوع اسمه سعيد بن أشوع.

رجلٍ: أوصيكَ بتقوىٰ اللهِ عز وجل التي لا يقبلُ غيرَها، ولا يرحمُ إلا أهلَها، ولا يثيبُ إلا عليها، فإن الواعظين بها كثيرٌ، والعاملين بها قليلٌ، جعلنا الله وأياكَ من المتقين.

وكتبَ آخرُ إلى صاحبِه: «أوصيك بتقوىٰ اللهِ، فإنها أكرمُ ما أسررتَ، وأحسنُ ما أظهرتَ، وأفضلُ ما ادخرتَ، أعاننا اللهُ وإياك، وأوجبَ لنا ولك ثوابَها».

في بر الوالدين

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه، ونستغفرُه ونستهديه، ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، بَعثَه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ، فبلغَ البلاغَ المبينَ، ﷺ وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فيا أيها المسلمون: جُبِلَتْ النفوسُ على حبِّ من أحسنَ إليها، وتعلقتْ القلوبُ بمن كان له فضلٌ عليها، وليس أعظمَ إحساناً ولا أكثرَ فضلاً بعدَ اللهِ سبحانه وتعالىٰ من الوالدين.

حيث قرنَ اللهُ حقَّهما بحقِّه، وشكرَهما بشكرِه، وأوصىٰ بهما إحساناً بعد الأمرِ بعبادتِه: ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا﴾ [النساء: ٣٦].

لله سبحانه نعمةُ الخلقِ والأيجادِ، وللوالدين بإذنه نعمةُ التربيةِ والإيلادِ. يقولُ ابنُ عباسٍ رضي الله عنهما: ثلاثُ آياتٍ مقروناتٌ بثلاثٍ: لا تُقبلُ واحدةٌ بغيرِ قرينتِها: ﴿وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾

فمن أطاعَ اللهَ ولم يطعِ الرسولَ لم يُقبلْ منه. ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾ فمن صلَّى ولَم يزكِّ لم يُقبلْ منه. ﴿أن اشكر لي ولوالديك﴾ فمن شكرَ اللهَ ولم يشكرْ لوالديه لم يُقبلْ منه.

فرِضىٰ اللهِ في رِضىٰ الوالدين، وسخطُ اللهِ في سخطِ الوالدين.

أيها المؤمنون: إحسانُ الوالدين عظيمٌ، وفضلُهما سابقٌ، تأملوا حالَ الصِّغَرِ، وتذكروا ضعفَ الطفولةِ: ﴿رب ارحمهما كما ربياني صغيرا﴾. حملتكَ أمُّكَ في أحشائِها تسعةَ أشهرٍ، وهْناً على وهنٍ، حملتكَ كُرهاً، ووضعتك كُرهاً، ولا يزيدُها نموُّكَ إلا ثُقْلاً وضَعْفاً. وعند الوضعِ رأتْ الموتَ بعينِها. ولكن لما بَصُرتْ بك إلى جانبِها سُرعانَ ما نَسِيتْ آلامها، وعلقتْ فيكَ جميعَ آمالِها. رأتْ فيك بهجةَ الحياةِ وزينتَها، ثم شُغلتْ بخدمتِك ليلَها ونهارَها، تغذيك بصحتِها. طعامُك درُّها. وبيتُكَ حَجْرُها. ومركبُك يداها وصدرُها وظهرُها. تحيطكَ وترعاكَ، تجوعُ لتشبعَ أنتَ، وتسهرُ لتنامَ أنت، فهي بك رحيمةٌ، وعليك شفيقةٌ. إذا غابتْ عنك دعوتَها، وإذا أعرضتْ عنك ناجيتَها، وإذا أصابكَ مكروهٌ استغثتْ بها. تحسَبُ كلَّ الخيرِ عندها، وتظنُّ أن الشرَّ لا يصلُ إليكَ إذا ضمَّتْكَ إلى صدرِها أو لحظَتكَ بعينِها.

أما أبوكَ فأنتَ له مَجْبنةٌ مَبْخلَةٌ، يَكِدُّ ويَسعىٰ، ويدفعُ عنكَ صنوفَ الأذىٰ، ينتقلُ في الأسفارِ. يجوبُ الفيافي والقفارِ، ويتحملُ الأخطارَ بحثاً عن لقمةِ العيشِ، ينفقُ عليكَ ويصلحُكَ ويربيكَ. إذا دخلتَ عليه هشَّ، وإذا أقبلتَ إليه بشَّ، وإذا خرجَ تعلقتَ به، وإذا حضرَ احتضنتَ حجْرَه وصدرَه، هذان هما والداك، وتلك هي طفولتُك وصِباك، فلماذا التنكرُ للجميلِ؟

وعلامَ الفظاظةُ والغلظةُ، وكأنك أنت المنعمُ المتفضلُ؟!.

أخرجَ الشيخان وغيرُهما واللفظُ لمسلم، عن عبدالله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما قال: أقبلَ رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: أبايُعك على الجهادِ والهجرةِ أبتغي الأجرَ. قال: «**فهل من والديك أحدٌ حيٌّ**؟ قال: نعم بل كلاهما. قال: «**فتبتغي الأجرَ من اللهِ**». قال: نعم. قال: «**فارجعْ إلى والديك فأحسنْ صحبتَهما**»[1].

وفي حديثٍ سندُه جيدٌ عند الطبراني: أن رجلاً جاء إلى النبيِّ ﷺ يستشيرُه في الجهادِ، فقال عليه الصلاة والسلام: «**ألك والدان؟**» قال: نعم؟ **قال**: «**الزمْهما فإن الجنةَ تحتَ أقدامِهما**»[2].

أيها الإخوةُ في الله: إن حقَّ الوالدين عظيمٌ، ومعروفُهما لا يجازى، وإن من حقِّهما المحبةَ والتقديرَ، والطاعةَ والتوقيرَ، والتأدبَ أمامَهما، وصدقَ الحديثِ معهما، تحققُ رغبتَهما في المعروفِ، وتنفقُ عليهما ما استطعتَ: (أنت ومالَك لأبيك). ادفعْ عنهما الأذىٰ فقد كانا يدفعان عنك الأذىٰ. لا تحدِّثْهما بغلظةٍ أو خشونةٍ أو رفعِ صوتٍ. جنبْهما كلَّ ما يورثُ الضجرَ: (لا تقلْ لهما أف ولا تنهرهما) تخيرْ الكلماتِ اللطيفةِ، والعباراتِ الجميلةِ والقولَ الكريمَ.

تواضعْ لهما، واخفضْ جناحَ الذلِّ رحمةً وعطفاً وطاعةً وحسنَ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٥ ـ ح٢٥٤٩).

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير (٢/ ٢٨٩ ـ ح٢٢٠٢)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٣٨).

أدبٍ، لقد أقبلا على الشيخوخةِ والكِبَرِ، وتقدَّما نحو العجزِ والهرمِ بعد أن صرفا طاقاتِهما وصحتَهما وأموالَهما في تربيتِك وإصلاحِك. تأملْ حفظك اللهُ قولَ ربِّك: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ﴾ إن كلمةَ (عندك) تدلُّ على معنى التجائِهما واحتمائِهما وحاجتِهما، فلقد أنهيا مهمَّتهما، وانقضى دورُهما، وابتدأ دورُك، وها هي مهمتُك: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾. قال رجلٌ لعمر بن الخطابِ رضي الله عنه: إن لي أماً بلغَ منها الكبرُ أنها لا تقضي حوائِجَها إلا وظهري لها مطيةٌ، فهل أديتُ حقَّها؟ قال: لا. لأنها كانت تصنعُ بك ذلك وهي تتمنى بقاءَك، وأنت تصنعه وأنت تتمنىٰ فراقَها، ولكنك محسنٌ، واللهُ يثيبُ الكثيرَ على القليلِ.

نعم إن حقَّهما عظيمٌ ولكن الجأْ إلى الدعاءِ لهما في حالِ الحياةِ وبعد المماتِ اعترافاً بالتقصيرِ، وأملاً فيما عند اللهِ ﴿رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾.

أيها الإخوة في اللهِ: إن العارَ والشنارَ والويلَ والثبورَ أن يُفْجأَ الوالدان بالتنكرِ للجميلِ، كانا يتطلعانِ للإحسانِ، ويؤمِّلانِ الصلةَ بالمعروفِ، فإذا بهذا المخذولِ قد تناسىٰ ضعفَه وطفولتَه، وأُعجبَ بشبابِه وفتوَّته، وغرَّه تعليمُه وثقافتُه، وترفَّع بجاهِه ومرتبتِه، يؤذيْهما بالتأفُّفِ والتبرم، ويجاهرُهُما بالسوءِ وفُحشِ القولِ، يقهرُهما وينهرُهما، بل ربَّما لطمَ بكفٍ أو رفسَ برجلٍ، يريدان حياتَه، ويتمنىٰ موتَهما، وكأني بهما وقد تمنيا أن لو كانا عقيمين. تئن لهما الفضيلةُ، وتبكي من أجلِهما المروءةُ.

يا أيها المخذولُ: هل حينما كَبرُا فاحتاجا إليك جعلتَهما أهونَ

الأشياءِ عليك؟! قدمتَ غيرَهما بالإحسانِ، وقابلتَ جميلَهما بالنسيان.. شقَّ عليك أمرُهما، وطال عليك عمُرُهما. أما علمتَ أن من برَّ بوالديه برَّ به بنوه، ومن عقَّهما عقُّوه، ولسوفَ تكونُ محتاجاً إلى بر أبنائِك، وسوف يفعلونَ معك كما فعلتَ مع والديك، وكما تدينُ تدانُ، والجزاءُ من جنسِ العملِ. يقول عليه الصلاةُ والسلامُ: «**ما من ذنب أجدر أن تعجلَ لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخر له في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم**»[1].

وإن أكبرَ الكبائرِ الشركُ باللهِ وعقوقُ الوالدينِ، بهذا صحَّ الخبرُ عن الصادقِ المصدوقِ ﷺ.

وفي حديثٍ عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «**ثلاثةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامةِ العاقُّ لوالديه، ومدمنُ الخمرِ، والمنانُ عطاءَه. وثلاثةٌ لا يدخلون الجنةَ العاقُّ لوالديه، والديوثُ، والرَّجِلَةُ من النساءِ**»[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨)، وأبوداود (٤/ ٢٧٦ ـ ح٤٩٠٢)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٨ ـ ح٤٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٤)، والترمذي (٤/ ٥٧٣ ـ ح٢٥١١) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣٥٦) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه النسائي (٥/ ٨٠ ـ ح٢٥٦٢)، وأحمد (٢/ ١٣٤)، وابن خزيمة في كتاب التوحيد (٢/ ٨٥٩، ٨٦٠ ـ ح٥٧٥، ٥٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٩٢ ـ ح٧٨٧٧)، والحاكم في موضعين (١/ ٧٢) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، (٤/ ١٤٦، ١٤٧) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي: رواه البزار باسنادين ورجالهما ثقات انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٤٧، ١٤٨).

وفي حديثٍ آخرَ عن جابرٍ رضي الله عنه قال: خرجَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**يا معشرَ المسلمين إيّاكمُ وعقوقَ الوالدين، فإن ريحَ الجنةِ تُوجدُ من مسيرةِ ألفِ عام، واللهِ لا يجدُ ريحَها عاقٌ**»[(١)]. فاتقوا اللهَ يرحمُكمُ اللهُ واعلموا أن برَّ الوالدين فريضةٌ لازمةٌ، وأمرٌ محتمٌ، وهو سعةٌ في الرزقِ، وطولٌ في العمرِ، وحسنٌ في الخاتمةِ. عن عليٍّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**من سرَّه أن يُمدَّ له في عُمُرِه ويوَسَّعَ له في رزقِه ويُدفعَ عنه ميتةُ السوءِ فليتقِ اللهَ وليصلْ رحمَهُ**»[(٢)]. والوالدان أقربُ الناسِ إليك رُحْماً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٢٥].

---

(١) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط من طريق محمد بن كثير عن جابر الجعفي وكلاهما ضعيف جداً. انظر مجمع الزوائد (٥/ ١٢٥، ٨/ ١٤٩)، ومجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/ ١٦٣ ـ ح٢٨٥٠، ٧/ ١٧٠ ـ ح ٢٤٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٤٣)، والحاكم (٤/ ١٦٠) وسكت عنه وتابعه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد ٨/ ١٥٢).

في بر الوالدين

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وكفىٰ، والصلاةُ والسلامُ على نبيِّه المصطفىٰ، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجِه واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أنَّ من البرِّ أن يتعهدَ الرجلُ أصدقاءَ والديه، ويُحسنَ كرامتَهم، ويفيَ بحقِّهم، فقد قال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**إن من أبرِّ البرِّ صلةَ الولدِ أهلَ وُدِّ أبيه**»(١). وجاء رجلٌ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقال: هل بقي عليّ من برِّ أبويّ شيءٌ أبَرُّهما به بعدَ وفاتِهما؟ قال ﷺ: «**نعم الصلاةُ عليهما، وإنفاذُ عهدِهما من بعدِهما، وصلةُ الرَّحِمِ التي لا توصلُ إلا بهما، وإكرامُ صديقِهما من بعدِهما**»(٢).

فاستيقنوا هذا رحمكم اللهُ، فالبرُّ بجميعِ وجوهِه: زيادةٌ في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٧٩ ـ ح٢٥٥٢)، وأبوداود (٤/ ٣٣٧ ـ ح٥١٤٣).

(٢) أخرجه أبوداود (٤/ ٣٣٦ ـ ح٥١٤٢)، وابن ماجه (٢/ ١٢٠٨، ١٢٠٩ ـ ح٣٦٦٤)، وأحمد (٣/ ٤٩٧، ٤٩٨)، وابن حبان انظر الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان (٢/ ١٦٢ ـ ح٤١٨)، والطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ٢٦٧، ٢٦٨ ـ ح٥٩٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٢٨)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٢٢ ـ ح٣٥).

العمرِ، وكثرةٌ في الرزقِ، وصلاحٌ في الأبناءِ، فمن برَّ والدْيه بَرَّهُ أبناؤُه. والعقوقُ خيبةٌ وخسارةٌ وخذلانٌ. وقد قيل: إن الله لَيُعَجِّلُ هلاكَ العبدِ إذا كان عاقاً ليُعجِّلَ له العذابَ، وإن اللهَ ليزيدُ في عُمُرِ العبدِ إذا كان باراً ليزيدَه براً وخيراً.

صلوا أرحامكم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ خلقَ من الماءِ بشراً فجعله نسباً وصهراً. أحمده سبحانه وأشكرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبْراً. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أعلىٰ الناسِ منزلةً وأعظمُهم قدراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون: اتقوه وأخلِصوا له العبادةَ، اتقوا اللهَ الذي تساءلون به والأرحامَ.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

خلقَكم من نفس واحدةٍ، فالربُّ واحدٌ، والأصلُ واحدٌ. أسرةٌ واحدةٌ انبثَّ منها الرجالُ والنساءُ ليلتقوا في وشيجةٍ واحدةٍ، ويتصلوا برحمٍ واحدةٍ. من هذا المنطلقِ تقومُ تكاليفُ التكافلِ والتراحمِ.

فأسرةُ الإنسانِ وقرابتُه يا عبادَ الله هم عُدتُّه وسندُه، وهم أصلُه وقوتُه.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: «أولئك هم عشيرتُك، بهم تصولُ

وتطولُ، هم العُدَّةُ عند الشدةِ. أكرِمْ كريمَهم. وعُدْ سقيمَهم. ويَسِّرْ على معسِرِهم. ولا يكنْ أهلُك أشقىٰ الخلقِ بك».

أيها الإخوةُ في اللهِ: ما أمرَ اللهُ بتوحيدِه، وما نهىٰ عن الإشراكِ به إلا وقرنَ ذلك بالإحسانِ إلى الوالدينِ والأقربينِ.

اقرءوا إن شئتم: ﴿ ۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ. . الآية﴾ [النساء: ٣٦].

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ﴾ [الإسراء: ٢٣].

ثم قال سبحانه: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [الإسراء: ٢٦].

أيها المؤمنون: إن صلةَ الأرحامِ حقٌ لكلِّ من يمتُّ إليك بصلةِ نسبٍ أو قرابةٍ. وكلَّما كان أقربَ كان حقُّه ألزمَ وأوجبَ: «أمَّك وأباك ثم أدناك أدناك».

وطريقُ القيامِ بحقِّ الأقاربِ والأرحامِ فشوُّ المودةِ، واتساعُ الصدورِ، وسلامةُ القلوبِ.

إن أعظمَ ما امتنَّ اللهُ به على الزوجينِ اللذين هما أصلُ الأسرةِ ونواتُها، أن جعلَ المودةَ والرحمةَ بينهما ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ﴾[الروم: ٢١].

إن أساسَ التواصلِ والرباطِ الموثَّقِ هو التوادُ والتراحمُ، وإذا فُقِدَ ذلك تقطعتْ الأوصالُ، واستشرىٰ الفسادُ، وحَقَّتْ لعنةُ اللهِ عياذاً باللهِ ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ

﴿أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

إن صلةَ الرحمِ بركةٌ في الأرزاقِ، وتوفيقٌ في الحياةِ، ويكتبُ اللهُ بها العزةَ والمنَعةَ، وتمتلىءُ القلوبُ بها إجلالاً وهيبةً.

أخرجَ الأمامُ أحمدُ وابنُ ماجه ـ ورواةُ أحمدَ ثقاتٌ ـ عن عائشةَ رضي الله عنها مرفوعاً: «..**وصلةُ الرحمِ وحسنُ الخلقِ وحسنُ الجوارِ يعْمران الديارُ ويزيدان الأعمارُ**»[١].

وروى البزارُ بإسنادٍ جيدٍ والحاكمُ عن علي رضي اللهُ عنه قال: «من سرَّه أن يُمدَّ له في عُمُرِه ويُوسَعَ له في رزقِه ويُدفعَ عنه ميتةُ السوءِ فليتقِ اللهَ وليصلْ رحمَهُ»[٢].

وفي صحيح البخاري مرفوعا: «**من أحبَّ أن يُبسطَ له في رزقِه ويُنسأَ له في أَجَلِه فلْيَصِلْ رحمَه**»[٣].

وفي الخبرِ: «**صلةُ الرحمِ محبةٌ في الأهلِ، ومثراةٌ في المالِ، ومنْسأةٌ في الأثرِ**»[٤] أي زيادةٌ في المالِ والعمرِ وبركةٌ فيهما.

---

(١) أخرجه أحمد (٦/ ١٥٩)، وقال الحافظ ابن حجر: سند رجاله ثقات. انظر الفتح (١٠/ ٤٢٩).

(٢) أخرجه أحمد (١/ ١٤٣)، والحاكم (٤/ ١٦٠) وسكت عنه وتابعه الذهبي. وقال الهيثمي: رواه عبدالله بن أحمد والبزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار رجال الصحيح غير عاصم بن حمزة وهو ثقة. انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٢٩ ـ ح٥٩٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ ـ ح٢٥٥٧) بلفظ «وينسأ له في أثره».

(٤) أخرجه أحمد (٢/ ٣٧٤)، والترمذي (٤/ ٣٠٩) وقال: حديث غريب وأشار الحافظ ابن حجر إلى تحسين الترمذي له. انظر الفتح (١٠/ ٤٢٩)، =

بصلةِ الأرحام تقوىٰ المودةُ، وتزيدُ المحبةُ، وتتوثقُ عُرىٰ القرابةِ، وتزولُ العَداوةُ والشحناءُ، ويَحِنُّ ذو الرحمِ إلى أهلِه.

ولتعلموا رحمكم اللهُ أن صلةِ الرحمِ والإحسانَ إلى الأقربينَ ذاتُ مجالاتٍ واسعةٍ ودروبٍ شتىٰ: فمن بشاشةٍ عند اللقاءِ، ولينٍ في المعاملةِ.. إلى طيبٍ في القولِ، وطلاقةٍ في الوجهِ. إنها زياراتٌ وصلاتٌ، وتفقدٌ واستفساراتٌ، مكالمةٌ ومراسلةٌ، إحسانٌ إلى المحتاجِ، وبذلٌ للمعروفِ، وتبادلٌ في الهدايا. ينضمُّ إلى ذلكَ غضٌ عن الهفواتِ، وعفوٌ عن الزلاتِ، وإقالةٌ للعثراتِ. عدلٌ وإنصافٌ، واجتهادٌ في الدعاءِ بالتوفيقِ والصلاحِ.

وأصدقُ من ذلكَ وأعظمُ مداومةُ الصلةِ ولو قَطعوا، والمبادرةُ بالمغفرةِ إذا أخطأوا، والإحسانُ إليهم ولو أساءوا.

إن مقابلةَ الإحسانِ بالإحسانِ مكافأةٌ ومجازاةٌ، ولكن الصلةَ الواصلةَ بينةٌ في قولِ نبيِّكم محمدٍ ﷺ: «**ليس الواصلُ بالمكافىءِ، ولكنَّ الواصلَ من إذا قَطَعتْ رحمُه وصلَها**»(١).

وجاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال يا رسولَ الله: إن لي قرابةً أصلُهم ويقطعوني، وأُحسنُ إليهم ويسيئونَ إليّ، وأَحْلُمُ عليهم ويَجْهلونَ عليّ. فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: «**لئن كان كما تقولُ فكأنَّما تُسِفُّهم الملَّ (أي تُطْعمهم الرمادَ الحارَّ في أفواهِهم). ولا**

= والطبراني في الكبير (١٨/ ٩٨ ـ ح١٧٦)، وعزاه الهيثمي إليه وقال: رجاله موثقون. انظر المجمع (١/ ١٩٣، ٨/ ١٥٣)، والحاكم (٤/ ١٦١) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٧ ـ ح٥٩٩١).

يزالُ معكَ من اللهِ ظهيرٌ مادمتَ على ذلك»[1].

ومع كلِّ ذلك أيها المؤمنون ومع هذه الآياتِ والأحاديثِ فإن في الناسِ من تموتُ عواطفُه، ويزيغُ عن الرشدِ فؤادُه، فلا يلتفتُ إلى أهلٍ، ولا يسألُ عن قريبٍ.

إن العارَ والشنارَ، فيمن منحَه اللهُ جاهاً وأحسنَ له رزقاً، ثم يتنكرُ لأقاربِه أو يتعالىٰ عليهم. بل قد يترفعُ أن ينتسبَ إليهم، فضلاً عن أن يشملَهم بمعروفِه ويَمدَّ لهم يدَ إحسانِه.

إن قطيعةَ الرحم شؤمٌ وخرابٌ، وسببٌ للّعنةِ وعمىٰ البصرِ والبصيرةِ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢ ـ ٢٣].

إن تقطيعَ الأرحامِ من أعظمِ كبائرِ الذنوبِ، وعقوبتُها معجلةٌ في الدنيا قبلَ الآخرةِ.

أخرجَ أبوداودَ والترمذيُّ وصححه الحاكمُ عن أبي بكرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما من ذنبٍ أجدرُ أن يُعجلَ اللهُ لصاحبِه العقوبةَ في الدنيا مع ما يدخرُه له في الآخرةِ من البغي وقطيعةِ الرحمِ»**[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٢ ـ ح٢٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٣٨)، وأبوداود (٤/ ٢٧٦ ـ ح٤٩٠٢)، وابن ماجه(٢/ ١٤٠٨ ـ ح٤٢١١)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٣٤)، والترمذي (٤/ ٥٧٣ ـ ح٢٥١١) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣٥٦) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

وروى الإمامُ أحمدُ والبخاريُّ في الأدبِ المفردِ ـ ورواةُ أحمدَ ثقاتٌ ـ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن أعمالَ بين آدمَ تُعرضُ كلَّ عشيةِ خميسٍ ليلةَ الجمعةِ فلا يُقبلُ عملُ قاطعِ رحمٍ»**(١).

ونُقلَ عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه أنه كان جالساً بعد الصبح في حلقةٍ فقال: «أَنشدُ اللهَ قاطعَ الرحمِ لَما قامَ عنَّا، فإنا نريدُ أنْ ندعوَ ربَّنا، وإن أبوبَ السماءِ مُرْتَجَةٌ ـ أي مغلقةٌ ـ دون قاطعِ الرحمِ»(٢).

أيها الإخوةُ: إن أسرعَ الخير ثواباً البرُّ وصلةُ الرحمِ، وأسرعَ الشرِّ عقوبةً البغيُ وقطيعةُ الرحم، ومع هذا ترىٰ في بعضٍ من قلَّ نصيبُهم من الخيرِ يسارعُ في قطعِ صلاتِه بأقاربه لأدنىٰ سببٍ؛ إما لكلمةٍ سمعها، أو شيئاً صغيراً رآه، وما درىٰ أنه بهذا قد يجرُّ إلى نفسِه وأهلِه العداوةَ والجفاءَ، فيستحقون اللعنةَ وزوالَ النعمةِ وسوءَ العاقبةِ ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

ولقد أوصىٰ زينُ العابدين عليُّ بنُ الحسين ابنَه رضي الله عنهم

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤٨٤) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (ص٣٢، ٣٣ ـ ح٦١).

(٢) رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن الأعمش لم يدرك ابن مسعود. انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٥١).

أجمعين فقال: «لا تصاحبْ قاطعَ رحمٍ؛ فإني وجدتُه ملعوناً في كتابِ اللهِ في ثلاثةِ مواضعِ».

فاتقوا اللهَ وصلوا أرحامَكم، فأولوا الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ. قدِّموا لهم الخيرَ ولو جفوا، وصلوهم وإن قطعوا، يُدِمْ اللهُ عليكم بركَاتِه، ويبسطْ لكم في الأرزاقِ، ويباركْ في الأعمارِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠ ﴾

[النحل: ٩٠].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

صلوا أرحامكم

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه بعثَه بالرحمةِ والهُدىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آلهِ الأصفياءِ وأصحابهِ النجباءِ والتابعينَ ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيهـا المـؤمنـون، واعلمـوا أن حـقَّ القـريـبِ رحـمٌ موصولةٌ، وحسناتٌ مبذولةٌ، وهفواتٌ محمولةٌ، وأعذارٌ مقبولةٌ. وكما قيلَ: لا تقطعْ القريبَ وإن أساءَ فإن المرءَ لا يأكلْ لحمَه لو جاعَ.

أيها المؤمنون: لئن كانت صلةُ الرحم تَعني الإحسانَ إلى المحتاجِ، ورفعَ الظلمِ عن المظلومِ، والمساعدةَ على وصولِ الحقِّ. فليس من صلةِ الرحمِ المناصرةُ على الباطلِ والعونُ على الظلمِ والبغيِ والعدوانِ، فما هذا إلا الحميةُ الجاهليةُ الممقوتةُ، تفشو بها العداوةُ، وينتشرُ بها الفسادُ، وتتقطعُ بها الأرحامُ.

ولن يكونَ البغيُ والعدوانُ طريقاً إلى الحقِّ، أو سبيلاً إلى العدلِ والخيرِ. فاعرفوا الحقَّ وميزوه عن الباطلِ، ولا تأخذْكم

العزةُ بالإثمِ، واستقيموا على أمرِ ربكم. أطعموا الطعامَ وأفشوا السلامَ، وصلوا الأرحامَ، وصلُّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ تدخلواالجنةَ بسلامٍ.

البيت السعيد

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي هدانا للإسلامِ، وجعلنا من أهلِه، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، أحمدُه سبحانه وأشكرُه على نعمِه، وأسأله المزيدَ من فضلِه وكرمِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه. أرسلَه بالهدى ودينِ الحقِّ بشيراً ونذيراً. دعا إلى الحق، وهدىٰ إلى الخير، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وعظِّموا أمرَ ربِّكم، واحفظوا دينكم وأماناتِكم، وقوموا بمسئولياتِكم. اتقوا اللهَ في أنفسِكم وأهليكم، وأصلِحوا ذاتِ بينِكم، فكثيرٌ من الناسِ يطلبُ السعادةَ، ويتلمسُ الراحةَ، وينشدُ الاستقرارَ وهدوءَ النفسِ والبالِ، كما يسعىٰ في البعدِ عن أسبابِ الشقاءِ والاضطرابِ ومثيراتِ القلقِ ولا سيما في البيوتاتِ والأُسرِ. وليُعلمْ أن كلَّ ذلك لا يتحققُ إلا بالإيمانِ باللهِ وحده والتوكلِ عليه، وتفويضِ الأمورِ إليه مع الأخذِ بما وضعه من سننٍ وشرعَه من أسبابٍ.

وإن من أعظم ما يؤثر في ذلك على الفردِ وعلى الجماعةِ بناءَ الأسرةِ واستقامتَها على الحقِّ. فالله سبحانه بحكمتِه جعلها

المأوىٰ الكريمَ الذي هيأه للبشر من ذكرٍ وأنثىٰ.. يستقرُّ فيه ويسكنُ إليه، يقولُ جلَّ جلاله وتقدستْ أسماؤه ممتناً على عبادِه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

نعم ليسكنَ إليها ولم يقلْ ليسكنَ معها، مما يؤكدُ معنى الاستقرارِ في السلوكِ، والهدوءِ في الشعورِ، ويحققُ الراحةَ والطمأنينةَ بأسمىٰ معانيها. فكلٌّ من الزوجين يجدُ في صاحبِه الهدوءَ عند القلقِ، والبشاشةَ عند الضيقِ.

إن أساسَ العلاقةِ الزوجيةِ الصحبةُ والاقترانُ القائمانِ على الودِّ والأُنس والتآلفِ. إن هذه العلاقةَ عميقةُ الجذورِ بعيدةُ الآماد. إنها أَشبهُ ما تكون صلةً للمرءِ بنفسِه؛ بيَّنها كتابُ ربِّنا بقوله: ﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ ﴾ [البقرة: ١٨٧].

فضلاً عما تُهيؤه هذه العلاقةُ من تربيةِ البنينَ والبناتِ وكفالةِ النشءِ.. التي لا تكونُ إلا في ظلِّ أمومةٍ حانيةٍ، وأبوةٍ كادحةٍ.. وأيُّ بيئةٍ أزكىٰ من هذا الجوِّ الأسريِّ الكريمِ.

أيها الإخوةُ في الله: هناك أمورٌ كثيرةٌ يقومُ عليها بناءُ الأسرةِ المسلمةِ، وتتوطدُ فيها العلاقةُ الزوجيةُ، وتبتعدُ فيها عن رياحِ التفككِ وأعاصيرِ الانفصامِ والتصرمِ. وأولُ هذه الأمورِ وأهمُّها: التمسكُ بعروةِ الإيمانِ الوثقىٰ.. الإيمانُ باللهِ واليوم الآخرِ، والخوفُ من المُطَّلِعِ على ما تكنُّه الضمائرُ، ولزومُ التقوىٰ والمراقبةِ، والبعدِ عن الظلمِ والتعسفِ في طلبِ الحقِّ.

﴿ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ

﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾

[الطلاق: ٢ ـ ٣].

ويقوِّي هذا الإيمانَ.. الإجتهادُ في الطاعةِ والعبادةِ والحرصِ عليها، والتواصي بها بين الزوجين. تأملوا قولَه ﷺ: «**رحم اللهُ رجلاً قام من الليلِ فصلىٰ وأيقظَ امرأتَه فصلتْ، فإن أبتْ نضَحَ في وجهِها ـ يعني رشَّ عليها الماءَ رشاً رفيقاً ـ ورحمَ اللهُ امرأةً قامتْ من الليلِ فصلتْ وأيقظتْ زوجَها فصلىٰ، فإن أبىٰ نضحتْ في وجهِهِ الماءَ**»(١).

إن العلاقةَ بين الزوجين ليستْ علاقةً دنيويةً ماديةً، ولا شهوانيةً بهيميةً، إنها علاقةٌ روحيةٌ كريمةٌ. وحينما تَصِحُّ هذه العلاقةُ، وتصدقُ هذه الصلةُ فإنها تمتدَّ إلى الحياةِ الآخرةِ بعد المماتِ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ﴾ [الرعد: ٢٣].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ [الطور: ٢١].

أخوةَ الإيمانِ: إن مما يحفظُ هذه العلاقةَ ويحافظُ عليها.. المعاشرةَ بالمعروفِ، ولا يتحققُ ذلك إلا بمعرفةِ كلِّ طرفٍ ما له وما عليه. وإن نشدانَ الكمالِ في البيتِ وأهلِ البيتِ أمرٌ متعذرٌ، والأملُ في استكمالِ كلِّ الصفاتِ فيهم أو في غيرِهم شيءٌ بعيدُ المنالِ في الطبعِ البشريِّ.

ومن رجاحةِ العقلِ ونضجِ التفكيرِ توطينُ النفسِ على قبولِ

---

(١) أخرجه النسائي (٣/ ٢٠٥ ـ ح١٦١٠)، وأبوداود (٢/ ٣٣ ـ ح١٣٠٨)، وابن ماجه (١/ ٤٢٤ ـ ح١٣٣٦)، وأحمد (٢/ ٢٥٠، ٤٣٦)، والحاكم (١/ ٣٠٩) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

بعضِ المضايقاتِ، والغضِّ عن بعضِ المنغصاتِ، والرجلُ وهو ربُّ الأسرةِ مطالبٌ بتبصيرِ نفسِه أكثرَ من المرأةِ، وقد عَلِمَ أنها ضعيفةٌ في خَلْقها وخُلُقها، إذا حوسبتْ على كلِّ شيءٍ عجزتْ عن كلِّ شيءٍ، والمبالغةُ في تقويمِها يقودُ إلى كسرِها، وكسرُها طلاقُها. يقول المصطفىٰ الذي لا ينطقُ عن الهوىٰ ﷺ: **«استوصوا بالنساءِ خيراً فإنهنَّ خُلقنَ من ضِلَعٍ وإن أعوجَ شيء في الضِّلَعِ أعلاه فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه، وإنْ تركتَه لم يزلْ أعوجَ فاستوصوا بالنساءِ خيراً»**[1]. فالاعوجاجُ في المرأةِ من أصلِ الخلقةِ، فلابدَّ من مسايرتِه والصبرِ عليه، فعلى الرجلِ ألا يسترسلَ مع ما قد يظهرُ من مشاعرِ الضيقِ من أهلِه وليصرفْ النظرَ عن بعضِ جوانبِ النقصِ فيهم، وعليه أن يتذكرَ ولا يتنكرَ لجوانبِ الخيرِ فيهم، وإنه لواجدٌ في ذلك شيئاً كثيراً.

وفي مثلِ هذا يقولُ الرسولُ ﷺ: **«لا يفركْ مؤمنٌ مؤمنةً ـ أي لا يبغضْ ولا يكرهْ ـ إن كرِهَ منها خُلقاً رضيَ منها آخرَ»**[2]. ولْيتأنَّ في ذلك كثيراً، فلئنْ رأَى بعضَ ما يكرهُ فهو لا يدري أين أسبابُ الخيرِ ومواردُ الصلاحِ.

يقول عز من قائل: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

وكيف تكونُ الراحةُ؟ وأين السكنُ والمودةُ؟ إذا كان ربُّ البيتِ ثقيلَ الطبعِ، سيءَ العشرةِ، ضيِّقَ الأفقِ، يغلبُه حمقٌ، ويعميه

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٨ ـ ح٣٣٣١)، ومسلم (٢/ ١٠٩١ ـ ح١٤٦٨).
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ١٠٩١ ـ ح١٤٦٩).

تعجُّلٌ، بطيءٌ في الرضا، سريعٌ في الغضبِ، إذا دخلَ فكثيرُ المنِّ، وإذا خرجَ فسيءُ الظنِّ، وقد علم أن حُسنَ العشرةِ وأسبابَ السعادةِ لا تكونُ إلا في اللينِ والبعدِ عن الظنونِ والأوهامِ التي لا أساسَ لها. إن الغيرةَ قد تذهبُ ببعضِ الناسِ إلى سوءِ ظنٍ.. يحملُه على تأويلِ الكلامِ، والشكِّ في التصرفاتِ، مما ينغصُ العيشَ، ويقلقُ البالَ من غيرِ مستندٍ صحيحٍ.

﴿وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا۟ عَلَيْهِنَّ﴾ [الطلاق: ٦]. كيف وقد قال ﷺ: **«خيرُكم خيرُكم لأهلِه، وأنا خيرُكم لأهلي»**(١).

أما المرأةُ المسلمةُ فلتعلمْ أن السعادةَ والمودةَ والرحمةَ لا تتمُ إلا حينَ تكونُ ذاتَ عفةٍ ودينٍ، تعرفُ ما لها فلا تتجاوزُه ولا تتعداهُ. تستجيبُ لزوجِها فهو الذي له القوامةُ عليها يصونُها ويحفظُها وينفقُ عليها، فتجبُ طاعتُه وحفظُه في نفسِها ومالِه، تتقنُ عملَها وتقومُ به، وتعتني بنفسِها وبيتِها. فهي زوجةٌ صالحةٌ، وأمٌ شفيقةٌ، راعيةٌ في بيتِ زوجِها، ومسئولةٌ عن رعيتِها، تعترفُ بجميلِ زوجِها ولا تتنكرُ للفضلِ والعشرةِ الحسنةِ، يحذرُ النبيُّ ﷺ من هذا التنكرِ ويقول: **«أُريتُ النارَ فإذا أكثرُ أهلِها النساءُ يَكفُرْنَ. قيل: أيكفرْن باللهِ؟ قال: لا. يكفرْن العشيرَ، لو أَحْسَنْتَ لاحداهنَّ الدهرَ ثم رأتْ منكَ شيئاً قالتْ ما رأيتُ منك خيراً قطُّ»**(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٦٦، ٦٦٧ ـ ح٣٨٩٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح، والدارمي (٢/ ٨٢ ـ ح٢٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٠٤ ـ ح٢٩)، ومسلم (٢/ ٦٢٦ ـ ح٩٠٧).

فلابدَّ من دمحِ[1] الزلاتِ، والغضِّ عن الهفواتِ.. لا تسيءُ إليه إذا حضرَ، ولا تخونُه إذا غابَ. بهذا يحصلُ التراضي، وتدومُ العشرةُ ويسودُ الإِلْفِ والمودةُ والرحمةُ. و«**أيُّما امرأةٍ ماتتْ وزوجُها عنها راضٍ دخلتْ الجنةَ**»[2].

فاتقوا اللهَ يا أمةَ الإسلامِ؛ واعلموا أنه بحصولِ الوئامِ تتوفرُ السعادةُ، ويتهيأُ الجوِّ الصالحُ للتربيةِ، وتنشأ الناشئةُ في بيتٍ كريمٍ مليءٍ بالمودةِ عامرٍ بالتفاهمِ.. بين حنانِ الأمومةِ وحَدَبِ الأبوةِ.. بعيدٍ عن صخبِ المنازعاتِ والإختلافِ وتطاولِ كلِّ واحدٍ على الآخرِ. فلا شقاقَ ولا نزاعَ، ولا إساءةً إلى قريبٍ أو بعيدٍ.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وباركْ اللهمَّ لنا في القرآنِ العظيمِ، وانفعْنا بما فيه من الآياتِ والذكرِ الحكيمِ، وارزقنا السيرَ على هدي نبيِّك محمدٍ ﷺ. آمين يا ربَّ العالمين.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) غفران.

(٢) أخرجه الترمذي (٣/٤٦٦ ـ ح١١٦١) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١/٥٩٥ ـ ح١٨٥٤)، والحاكم (٤/١٧٣) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي. وقال الألباني منكر (السلسلة الضعيفة).

البيت السعيد

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ الوليِّ الحميدِ، الفعالِ لما يريدُ، أحمده سبحانه وأشكره وعدَ من شكَرَه بالمزيدِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ يا أمةَ محمدٍ، واعلموا أن صلاحَ الأسرةِ طريقُ أمانِ الجماعةِ كلِّها، وهيهاتَ أن يَصلُحَ مجتمعٌ وهتْ فيه حبالُ الأسرةِ. كيفَ وقد امتن اللهُ سبحانه بهذه النعمةِ. نعمةِ اجتماع الأسرةِ وتآلفها وترابطها فقال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ ٱللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [النحل: ٧٢].

إن الزوجين وما بينهما من وطيدِ العلاقةِ، وإن الوالدينِ وما يترعرعُ في أحضانِهما من بنينَ وبناتٍ يمثلان حاضرَ أمةٍ ومستقبلَها، ومن ثَمَّ فإن الشيطانَ حينَ يُفلحُ في فكِّ روابطِ أسرةٍ فهو لا يهدمُ بيتاً واحداً ولا يُحْدِثُ شراً محدوداً، وإنما يوقعُ الأمةَ جمعاءَ في أذىً مستعرٍ وشرٍ مستطيرٍ، والواقعُ المعاصرُ خيرُ شاهدٍ.

فرحمَ اللهُ رجلاً محمودَ السيرةِ، طيبِ السريرةِ، سهلاً رفيقاً، ليناً رؤوفاً، رحيماً بأهلِه حازماً في أمرِه، لا يكلِّفُ شطَطا، ولا يرهقُ عُسراً، ولا يهملُ في مسئوليةٍ. ورحم اللهُ امرأةً لا تطلبُ غلَطاً، ولا تُكْثِرُ لغطاً، صالحةً قانتةً، حافظةً للغيبِ بما حفِظَ اللهُ.

فاتقوا الله أيها الأزواجُ واتقوا الله أيها المسلمون فإنه من يتقِ اللهَ يجعلْ له من أمره يسراً.

حينما يختلف الزوجان

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الذي خلق فسوىٰ، وقدَّر فهدىٰ، أحمده سبحانه وهو أهلُ الحمدِ في الآخرةِ والأولىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ، والعبدُ المجتبىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن دعا بدعوتِه ومن سار على نهجه واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيهـا المسلمـون، اتقـوا اللهَ الـذي تسـاءلـون بـه والأرحامَ، أصلحوا ذاتَ بينِكم. وقوا أنفسَكم وأهليكم ناراً.

واعلموا أن من أعظم نعم اللهِ وآياتِه أن جعل البيتَ هو المأوىٰ والسكنَ، في ظلِه تلتقي النفوسُ على المودةِ والرحمةِ، والحصانةِ والطهرِ، وكريم العيشِ والسَّتر، في كنفِه تنشأُ الطفولةُ، ويترعرعُ الأحداثُ، وتمتدُّ وشائجُ القربىٰ، وتتقوىٰ أواصرُ التكافل.

ترتبطُ النفوسُ بالنفوس، وتتعانقُ القلوبُ بالقلوبِ ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البَقرة: ١٨٧]. في هذه الروابطِ المتماسكةِ والبيوتاتِ العامرةِ تنمو الخصالُ الكريمةُ، وينشأُ الرجالُ الذين يؤتمنون على أعظمِ الأماناتِ، ويُربىٰ النساءُ اللاتي يقمْن على أعرقِ الأصولِ.

غير أنَّ واقعَ الحياةِ وطبيعةَ البشرِ ـ كما خلقهم اللهُ سبحانه وهو أعلمُ بمن خلقَ ـ قد يكونُ فيها حالاتٌ لا تؤثرُ فيها التوجيهاتُ، ولا تتأصلُ فيها المودةُ والسكنُ مما قد يصبحُ معه التمسكُ برباطِ الزوجيةِ عنتاً ومشقةً، فلا يتحققُ فيه المقصودُ، ولا يحصلُ به صلاحُ النشءِ. وهذه الحالاتُ من الاضطرابِ وعدمِ التوافقِ تكون بواعثُها داخليةً أو خارجيةً.

فقد ينبعثُ من تدَخُّلٍ غيرِ حكيم من أولياءِ الزوجين أو أقاربِهما، أو تتبعٍ للصغيرِ والكبيرِ من أمورِهما، وقد يصلُ الحالُ من بعضِ الأولياءِ وكبراءِ الأسرةِ إلى فرضِ السيطرةِ على من يلون أمرَهم، مما قد يقودُ إلى الترافعِ إلى المحاكمِ فتفشو الأسرارُ، وتنكشفُ الأستار، وما كان ذلك إلا لأمرٍ صغيرٍ أو شيءٍ حقيرٍ قادَ إليه التدخلُ غيرُ المناسبِ، والبعدُ عن الحكمةِ، والتعجلُ والتسرعُ، وتصديقُ الشائعاتِ وقالةِ السوءِ، وقد يكون منبعُ المشكلةِ قلةَ البصيرةِ في الدينِ، والجهلَ بأحكام الشريعةِ السمحةِ، وتراكمُ العاداتِ السيئةَ، والتمسكَ بالآراءِ الكليلةِ. فيظنُّ بعضُ الأزواجِ ـ مثلاً ـ أن التهديدَ بالطلاقِ أو التلفظَ به هو الحلُّ الصحيحُ للخلافاتِ الزوجيةِ والمشكلاتِ الأسريةِ، فلا يعرفُ في المخاطباتِ سوى ألفاظِ الطلاقِ في مدخلهِ ومخرجِه وفي أمرِه ونهيِه بل في شأنِه كلِّه، وما درىٰ أنه بهذا قد اتخذ آياتِ الله هزوا، يأثمُ في فعلِه، ويهدمُ بيتَه، ويخسرَ أهلَه.

هل هذا هو الفقه في الدينِ أيها المسلمون؟!.

إن طلاقَ السنةِ الذي أباحتْه الشريعةُ لا يُقصَدُ منه قطعُ حبالِ

الزوجيةِ، بل قد يقالُ إنه إيقافٌ لهذه العلاقةِ ومرحلةُ تريُّث وتدبرٍ ومعالجةٍ: ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [الطلاق: ١ ـ ٢]. هذا هو التشريعُ. بل إن الأمرَ ليس مقتصراً على هذا، إن طلاقَ السنةِ هو الوسيلةُ الأخيرةُ في المعالجةِ، وتسبقُ ذلك وسائلُ كثيرةٌ.

أيها الإخوة: حينما تظهرَ أماراتُ الخلافِ وبوادرُ النشوزِ أو الشقاقِ فليس الطلاقُ أو التهديدُ به هو العلاجَ. إن أهمَّ ما يطلبُ في المعالجةِ الصبرُ والتحملُ ومعرفةُ الاختلافِ في المداركِ والعقولِ والتفاوتِ في الطباعِ مع ضرورة التسامح والتغاضي عن كثيرٍ من الأمورِ ولا تكونُ المصلحةُ والخيرُ دائماً فيما يُحَبُّ ويُشتَهىٰ، بل قد يكونُ الخيرُ فيما لا يُحَبُّ ولا يُشتَهىٰ ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: ١٩].

ولكن حينما يبدو الخللُ، ويظهرُ في الأواصرِ تحُللٌ، ويبدرُ من المرأةِ نشوزٌ وتعالٍ على طبيعتِها، وتوجهٌ إلى الخروجِ عن وظيفتِها. حيثُ تظهرُ مبادىءُ النفرةِ، ويتكشَّفُ التقصيرِ في حقوقِ الزوجِ، والتنكرِ لفضائلِ البعلِ، فعلاجُ هذا في الإسلامِ صريح ليس فيه ذكرٌ للطلاقِ لا بالتصريح ولا بالتلميح يقول الله سبحانه في محكم التنزيل: ﴿وَٱلَّٰتِى تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِى ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ ۖ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا۟ عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا ۗ﴾ [النساء: ٣٤].

يكونُ العلاجُ بالوعظِ، والتوجيهِ، وبيانِ الخطأِ، والتذكيرِ بالحقوقِ، والتخويفِ من غضبِ الله، ومقتِه، مع سلوكِ مسلكِ الكَيَاسةِ والأناةِ ترغيباً وترهيباً.

وقد يكون الهجرُ في المضجعِ والصدودُ مقابلاً للتعالي والنشوزِ، ولاحظوا أنه هجرٌ في المضجعِ وليس هجراً عن المضجعِ. إنه هجرٌ في المضجعِ وليس هجراً في البيتِ، ليس أمامَ الأسرةِ أو الأبناءِ أو أمامَ الغرباءِ. الغرضُ هو المعالجةُ وليس التشهيرَ أو الإذلالَ أو كشفَ الأسرارِ والأستارِ، ولكنه مقابلةٌ للنشوزِ والتعالي بهجرٍ وصدودٍ يقودُ إلى التطامنِ والتساوي.

وقد تكونُ المعالجةُ بالقصدِ إلى شيءٍ من القسوةِ والخشونةِ، فهناك أجناسٌ من الناس لا تُغني في تقويمِهم العشرةُ الحسنةُ والمناصحةُ اللطيفةُ، إنهم أجناسٌ قد يبطرُّهم التلطفُ والحلمُ.. فإذا لاحتْ القسوةُ سكنَ الجامحُ وهدأَ المهتاجُ. قد يكونُ اللجوءُ إلى شيءٍ من العنفِ دواءً ناجعاً، ولماذا لا يُلجأُ إليه وقد حصلَ التنكرُ للوظيفةِ والخروجِ عن الطبيعةِ؟ ومن المعلومِ لدى كلِّ عاقلٍ أن القسوةَ إذا كانت تعيدُ للبيتِ نظامَه وتماسُكَه، وتردُّ للعائلةِ أُلفَتَها ومودتَها فهو خيرٌ من الطلاقِ والفراقِ بلا مراءٍ. إنه علاجٌ إيجابيٌّ تأديبيٌّ معنويٌّ، ليس للتشفي ولا للانتقامِ، وإنما يُستنزَلُ به ما نَشزَ، ويقوَّمُ به ما اضطربَ.

وإذا خافتْ الزوجةُ الجفوةَ والإعراضَ من زوجها فإن القرآنَ الكريمَ يرشدُ إلى العلاج بقوله: ﴿وَإِنِ ٱمْرَأَةٌ خَافَتْ مِنۢ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا ۚ وَٱلصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨]

العلاجُ بالصلحِ والمصالحةِ وليس بالطلاقِ ولا بالفسخِ، وقد يكون بالتنازلِ عن بعضِ الحقوقِ الماليةِ أو الشخصيةِ محافظةً على عُقْدةِ النكاحِ.

﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞ﴾. الصلحُ خيرٌ من الشقاقِ والجفوةِ والنشوزِ والطلاقِ.

أيها المسلمون: هذا عرضٌ سريعٌ وتذكيرٌ موجزٌ بجانبٍ من جوانبِ الفقهِ في دينِ اللهِ والسيرِ على أحكامِه، فأين منه المسلمون؟ أين تحكيمُ الحكمين في الشقاقِ بين الزوجين؟ لماذا ينصرفُ المصلحونَ عن هذا العلاجِ؟ هل هو زهدٌ في إصلاحِ ذاتِ البين، أو هو رغبةٌ في تشتيتِ الأسرةِ وتفريقِ الأولادِ، إنك لا ترىٰ إلا سفهاً وجوراً، وبُعداً عن الخوفِ من اللهِ ومراقبتِه، وهجراً لكثيرٍ من أحكامِه، وتلاعباً في حدودِه. أخرج ابنُ ماجه وابنُ حبان وغيرُهما عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**ما بالُ أحدِكم يَلعبُ بحدودِ اللهِ، يقولُ قد طلقتُ قد راجعتُ**»[(١)]، قال محمود بن لبيد: أُخبر رسول الله ﷺ عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً فقام غضباناً ثم قال: «**أَيُلعب بكتاب الله وأنا بين أظهركم**»[(٢)] حتى قام رجل وقال: يا رسول الله ألا أقتله.

اتقوا الله أيها المسلمون، وأقيموا حدودَ اللهِ ولا تتجاوزُوها، وأصلحوا ذاتَ بينِكم. رزقني الله وإياكم الفقهَ في دينِه، والبصرَ

---

(١) أخرجه ابن حبان انظر الاحسان (١٠/ ٨٢ ـ ح٤٢٦٥)، وابن ماجه (١/ ٦٥٠ ـ ح٢٠١٧)، والبيهقي (٧/ ٣٢٢) وحسن اسناده البوصيري.

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٤٢ ـ ح٣٤٠١).

في شريعتِه، ونفعنا بهديِ كتابِه، ورزقنا السيرَ على سنةِ نبيهِ محمدٍ ﷺ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

حينما يختلف الزوجان

الخطبة الثانية

الحمدُ لله معزٍّ من أطاعَه ومذِّل من عصاه، أحمده سبحانه وأشكرُه، من توكَّلَ عليه كفاه، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه أكرمَه الله بالرسالةِ واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبهِ ومن والاه.

أما بعدُ فاتقوا الله أيها المسلمونَ واعلموا أن طلاقَ السنةِ الذي أباحتْه الشريعةُ يجهله كثيرٌ من جماهيرِ المسلمين.

إن الطلاقَ في الحيضِ محرمٌ، وطلاقَ الثلاثِ محرمٌ، والطلاقَ في الطهرِ الذي حصلَ فيه وطءٌ محرمٌ، فكلُّ هذه الأنواع طلاقٌ بدعيٌ محرمٌ يأثمُ صاحبُه ولكنه يقعُ طلاقاً في أصحِّ أقوالِ أهلِ العلمِ.

أما طلاقُ السنةِ الذي يجبُ أن يفقَهه المسلمون فهو الطلاقُ طلقةً واحدةً في طهرٍ لم يحصلْ فيه وطءٌ، أو الطلاقُ أثناء الحمل.

إن الطلاقَ على هذه الصفةِ علاجٌ حيثُ تحصلُ فتراتٌ يكون فيها التريثُ والمراجعةُ.

المطِّلقُ على هذه الصفةِ يحتاجُ إلى فترةٍ ينتظر فيها مجيءَ

الطهرِ، ومن يدري فقد تتغيرُ النفوسُ، وتستيقظُ القلوبُ، ويُحدِثُ الله من أمرِه ما شاء.

وفترةُ العدةِ سواءٌ كانت عدةً بالحيضِ أو الأشهرِ أو وضعِ الحملِ فرصةٌ للمعاودةِ والمحاسبةِ قد يوصَلُ معها ما انقطعَ من حبلِ المودةِ ورباطِ الزوجيةِ.

ومما يجهله المسلمون أن المرأةَ إذا طلِّقتْ طلاقاً رجعياً فعليها أن تبقىٰ في بيتِ الزوجِ لا تَخرج ولا تُخْرَجُ بل إن الله جعله بيتاً لها ﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ﴾ تأكيداً لحقِهِنَّ في الإقامةِ. فإقامتُها في بيتِ زوجِها سبيلٌ لمراجعتِها، وفتحُ أملٍ في استثارةِ عواطفِ المودةِ، وتذكيرٌ بالحياةِ المشتركةِ. فالزوجةُ في هذه الحالةِ تبدو بعيدةً في حكمِ الطلاقِ لكنها قريبةٌ من مرأى العين.

وهل يُرادُ بهذا - يا عبادَ الله - إلا تهدئةَ العاصفةِ وتحريكَ الضمائرِ، ومراجعةَ المواقفِ، والتأني في دراسةِ أحوالِ البيتِ والأطفالِ وشئونِ الأسرةِ ﴿لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾﴾ [الطلاق: ١].

فاتقوا الله أيها المسلمون وحافظوا على بيوتاتِكم وتعرفوا على أحكامِ دينِكم.

التراحم وأثره في الأخوة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ كتبَ على نفسِه الرحمةَ فهو الرحمنُ الرحيم. أحمده سبحانه وأشكره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وسعت رحمتُه كلَّ شيءٍ، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله النبيُّ المصطفىٰ والمبعوثُ رحمةً للعالمين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه الأشداءِ على الكفارِ الرحماءِ بينهم، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيها المسلمون: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. ألَّفَ بين قلوبِهم فأصبحوا بنعمتِه إخواناً. شرحَ صدورَهم للإيمان، وجمعَهم عليه، وربطَهم برباطِ التقوىٰ فله الفضلُ والمنةُ.

أيها المسلمون: لابد في المسلمين من الصدقِ في هذه الإخوةِ، والتمسكِ بهذه الرابطةِ، فلا وحدةَ إلا بها. . ولا وجودَ على الحقيقةِ إلا حين الاستيثاقِ بعروتِها، والعضِّ بالنواجذ عليها.

وإن من حقِّ هذه الإخوةِ، ودلائلِ صدقِ هذه الرابطةِ، أن يَشعُرَ المسلمُ أن إخوانَه مظاهرونَ له في السراءِ والضراءِ،

فالمؤمنُ للمؤمنِ كالبنيانِ يشدُّ بعضُه بعضا. ومن قلَّ نصيرُه، وضعُفَ ظهيرُه؛ يبس عودُه، وذهبَ معدودُه، ومحدودُه.

أيها الإخوةُ في الله: إن أعباءَ الدنيا جسامٌ، والمتاعبَ تنزلُ بالناسِ من اليتامىٰ والأراملِ والغرباءِ والمعسرينِ.. الإنسانُ بمفردِه أضعفُ من أن يصمدَ طويلاً تجاه هذه الشدائدِ، ولئن صمدَ فإنه يبذلُ من الجهدِ ويقاسي من المعاناةِ ما كان في غنىً عنه لو أن إخوانَه التفتوا إليه، وهرعوا لنجدتِه، وأعانوه في مشكلتِه. فالمرءُ قليلٌ بنفسِه كثيرٌ بإخوانِه.

إن تفريجَ كربِ المكروبين، وإغاثةَ الملهوفين، والسعيَ في حوائجِ الأراملِ واليتامىٰ والمساكين، ومواساةَ الغرباءِ، وإنْظارَ المعسرين، والإعانةَ على شتى نوائبِ الدهرِ؛ كلُّ ذلك موعود عليه بالإحسانِ وعظيمِ الجزاءِ في الدنيا والآخرة.

يقولُ نبيُّ الرحمة ﷺ في الحديث الصحيح: «**من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كربِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كربِ يومِ القيامةِ، ومن يسَّرَ على معسرٍ في الدنيا يسَّرَ الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن سترَ مسلماً في الدنيا سترَ اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيهِ**»(١).

أخي في الله: من حقِّ أخيكَ في الإسلامِ أن تتألَّمَ لألمِه، وتحزنَ لحزنِه، وتعينَه على دفع كُرَبِه. أما موتُ العاطفةِ وقلةُ الاكتراثِ وكأنَّ الأمرَ لا يعني؛ فهو تنكرٌ لهذه الإخوةِ؛ فضلاً عن أنه جفاءٌ في الخلُقِ، وجمودٌ في الطبعِ. أين نحنُ مما خرَّج

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ـ ح٢٦٩٩).

الشيخان وغيرُهما من حديث النعمانِ بنِ بشيرٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**مَثَلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفِهم وتراحمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمَّىٰ**»[1] ؟؟. والتألمُ الحقُّ هو الذي يدفعُك إلى كشفِ ضوائقِ إخوانِكَ؛ فلا تهدأُ حتى تزولَ الغمةُ، وتنكشفَ الظلمةُ، حينئذٍ يستنيرُ وجهُك، ويرتاحُ ضميرُك: «**المسلمُ أخو المسلم لا يظلمُه ولا يُسلمُه ولا يَخذُلُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه**»[2].

أيها المؤمنون: إن خذلانَ المسلم شيءٌ عظيمٌ؛ وهو ـ حين يحدثُ ـ ذريعةٌ إلى التخاذلِ بين المسلمين جميعاً. بل إنه لما هان المسلمون أفراداً هانوا أمماً، فوهنتْ أواصرُ الإخوةِ بينهم. بل وصلَ الحالُ إلى أن أصبحَ المسلمُ يُنْتقَصُ أمامَ أخيه فلا يحركُ ساكناً؛ ولا يزيدُ على أن يَهزَّ كتفيه ـ إن هزَّهما ـ ويمضي لشأنه، وكأنَّ الأمر لا يعنيه، حتى جعلَ اللهُ بأسَهم بينهم في كثيرٍ من البلادِ، فلهم في كل فترةٍ تطاحنٌ وتجالدٌ، دماءٌ تُهراقُ، وفتنٌ تُطلُّ برؤوسِها تأتي على الأخضرِ واليابس ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام: ٦٥].

عبادَ اللهِ: إن المجتمعاتِ التي تَضجُّ باللهوِ المرحِ، وتغرَقُ في زهرةِ الحياةِ الدنيا وبهارجِها تتبلَّدُ فيها القلوبُ، وتتغلفُ فيها

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ ـ ح٢٥٨٦) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٦ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ـ ح٢٥٨٠).

الأفئدةُ، وتنطمسُ فيها البصائرُ، فلا تراهم يشعرون بحاجاتِ المحتاجين، ولا يُحسُّون بآلامِ المتألمين، ولا يكترِثون بأحزانِ المحزونين. إن المشاعرَ لا ترِقُّ والقلوبَ لا تنبِضُ بالحياةِ إلا حين يتقلبُ الناسُ في أحوالِ الحياةِ ويتحسسون مسَّ الضراءِ والسراءِ. حينئذٍ يمسحون على رأسِ اليتيم، ويواسون الأرملةَ والثكلىٰ، ويكرمون الغريبَ إذا حلَّ، ويُعِزُّونَ أخاهم إذا ذلَّ.

إن الأنانيةَ وحبَّ الذاتِ آفةٌ قاتلةٌ، وإذا سيطرتْ على امرىءٍ محقتْ خيرَه وزادتْ شرَّه، وجعلته يعيشُ في دائرةِ نفسِه لا يعرفُ غيرَها، ولا يفرحُ ولا يحزنُ إلا لما يصيبُه في نفسِه وحدِه. أما إخوانُه وأصحابُ الضوائقِ فلا يعرفُهم ولا يكترثُ بهم، قصيرُ النظرِ إلا في مآربِه الشخصيةِ. بل لعلَّ بعضَهم ينظرُ إلى هؤلاءِ الضعفةِ وكأنَّهم قذىً في العينِ، يُزْلِقُهم بنظراتِ اشمئزازٍ واحتقارٍ، بل قد يستعدى عليهم غيرَهم.

يا هذا إن صفوَ العيشِ لا يدومُ، وإن متاعبَ الحياةِ وأرزاءِها ليست حكراً على قومٍ دون قومٍ. وإن حسابَ الآخرةِ لعسيرٌ. كم كان في الناسِ من أربابِ الثرواتِ والعقارِ والجاهِ لم تَلِنْ قلوبُهم ولم يُقدِّروا النعمةَ حقَّ قدرِها؛ عَدَتْ على ثرواتِهم وعقاراتِهم العوادي، واجتاحتْهم صروفُ الليالي؛ فأصبحَ عزيزُهم ذليلاً، وغنيُّهم في السجنِ مديناً.

يا أمةَ نبيِّ الرحمةِ: إذا أرادَ الله بعبده خيراً جعلَ قضاءَ الحوائجِ على يديه. وفي الأمةِ موفقون لا يَدخلون في شيءٍ إلا أصلحوا، وإذا عملوا أتقنوا، وإذا شَفَعوا شُفِّعوا، وإذا سعوا في حاجةٍ قُضيت. أولئك هم المُيَسَّرون لما خُلقوا له؛ بفضلِ مساعيهم

وحسنِ مقاصدِهم ـ بعد توفيقِ اللهِ ـ تُقضىٰ الحوائجُ وتتم المآربُ.

ويزدادُ الحقُّ وتَعظُمُ المسئوليةُ.. حين يكونُ المرءُ ذا جاهٍ أو صاحبَ منصبٍ أو كلمةٍ مسموعةٍ حولَه الرغبةُ والرهبةُ. إذا رزقَ العبدُ ذلك ومكَّن اللهُ له فيه.. فليعلمْ أن ذلك ليس للتعالي والتعاظمِ وإنما هو مقامٌ خصَّه اللهُ به. لا تُقضىٰ حوائجُ الناسِ إلا عن طريقِه، فإذا سهَّلها وسعىٰ فيها فقد استبقىٰ هذه النعمةَ. وإن كان غيرُ ذلك فقد تنكَّرَ وجحدَ وعرَّض نعمتَه للزوالِ. وردَ في الأثرِ: **«إن للهِ أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرهم»**[(١)]. فليتقِ اللهَ هؤلاءِ، وليؤدوا ما عليهم بإخلاصٍ ونزاهةٍ وعفةٍ.

أما غلاظُ الأكبادِ الجبارون المتكبرون فهم أهلُ النارِ كما أخبرَ المصطفىٰ ﷺ في الصحيحين وغيرهما من حديثِ حارثةَ بن وهبٍ: **«ألا أخبرُكم بأهلِ النارِ: كلُّ عتوٍّ جواظٍ مستكبرٍ»**[(٢)] ولا يرحمُ اللهُ من عبادِه إلا الرحماءَ.

ماذا أقولُ أيها المسلمون: هل تعلمونَ أن الرحمةَ في دينِكم شَمِلتْ البهائمَ حتى القططَ والكلابَ: **«دخلتْ امرأةٌ في هرةٍ**

---

(١) أخرجه الهيثمي في كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/ ٢١١ ـ ح٢٩٣٩، وفي مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبوعثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٨/ ١٩٢). وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا. انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه. انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥ ـ ح١٦٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٠ ـ ح٤٩١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٩٠ ـ ح٢٨٥٣).

حبستْها، لا هي أطعمتْها ولا هي تركتْها تأكلُ من خشاشِ الأرضِ»[1]. وفي صحيح مسلم: «إن امرأةً بغياً رأتْ كلباً في يومٍ حارٍ يَطيفُ في بئرٍ قد أَدْلَعَ لسانهُ[2] من العطشِ فنزَعتْ له موقَها(أي خُفَّها) فسقتْه فغُفِر لها؟»[3].

يا أمةَ الإسلام: لئن كانت الرحمةُ بكلبٍ من امرأةٍ بغيٍ أوجبتْ ما أوجبتْ، فكيفَ بالرحمةِ بالبشرِ من المسلمين ولا سيما الغرباءُ والمستضعفون والمحاويجُ.

فاتقوا الله، واشكروا نعمَه، واسألوه أن يُلينَ القلوبَ ويغيثَها وينشرَ رحمتَه. وارحموا من في الأرضِ يرحمْكُم من في السماءِ، ومن لا يَرحمْ لا يُرحمْ. وفي كلِّ كبدٍ رطبةٍ أجرٌ. وإنما يرحمُ اللهُ من عبادِه الرحماءَ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ [القصص: ٧٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، ورحمنا برحمته، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩٤ ـ ح٣٤٨٢)، ومسلم (٤/ ١٧٦٠ ـ ح٢٢٤٢).
(٢) أَدْلَع لسانه: أخرجه لشدة العطش.
(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩١ ـ ح٣٤٦٧)، ومسلم (٤/ ١٧٦١ ـ ح٢٢٤٥).

التراحم وأثره في الأخوة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله نبيُّ الرحمةِ والملحمةِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأفشوا التراحمَ بينكم، وكونوا أذلةً على المؤمنين، أعزةً على الكافرين، أشداءَ على الكفارِ، رحماءَ بينكم. ولتعلموا رحمكم الله أن الرحمةَ ليست حناناً لا عقلَ معه، وليست رِقةً أو شفقةً تتنكرُ للعدلِ والحقِّ والنظامِ، ولكنها عاطفةٌ وخلقٌ يرعىٰ كلَّ هذا، بل إن القسوةَ في بعضِ صورِها تُمثلُ الرحمةَ في مآلِها، فالطبيبُ في جراحتِه يمزقُ اللحمَ ويهشِمُ العظمَ وهو لا يريدُ إلا الرحمةَ بالمريضِ، والمشنوقُ حين يتدلىٰ جسمُه وتجحظُ عيناه منظرٌ قد يستدرُّ العطفَ لكن ماذا يحدثُ لو استُجيبَ لهذه العاطفةِ السريعةِ.. إذن لعمتْ الفوضىٰ، وامتلأتْ الأرضُ جوراً وعنفاً.

أما الرحمةُ الحقةُ فهي خلقٌ ورقةٌ تحدو إلى البرِّ، وتقودُ إلى

الصدقِ والعدلِ والإحسانِ.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، تواصوا بالصبرِ، وتواصوا بالمرحمةِ.

خلق الحيـاء

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مضلَّ له ومن يضلل فلا هاديَ له. وأشهد ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ رحمةً للعالمين.. بشَّرَ وأنذرَ وبلغَّ البلاغَ المبين. صلى الله وسلَّم وباركَ عليه وعلى آله وصحبِه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: إن للآدابِ والأخلاقِ صلةً وثيقةً بعقيدةِ الأمةِ ومبـادئِهـا، بـل هـي التجسيدُ العمليُّ لقِيَمِها ومُثُلِها. الأخـلاقُ والآدابُ هي عنوانُ التمسكِ بالعقيدةِ، ودليلُ الالتزامِ بالمبادىءِ والمُثُلِ. والحُكْمُ على مقدارِ الفَضْلِ وحُسنِ السيرةِ راجعٌ إلى الخُلُقِ العالي. ولا يتمُّ التحّلي بالخُلُقِ الفاضلِ والأدبِ الرفيع إلا بالترويضِ على نبيلِ الصفاتِ، وكريمِ العوائدِ بالتعليمِ والتهذيبِ والاقتداءِ الحسنِ.

إن الإسلام قد شَمِلَ في أخلاقهِ أحوالَ المسلم كلَّها؛ صغيرَها وكبيرَهـا، دقيقَهـا وجليلَهـا، فـرداً وأسرةً ومجتمعـاً، فـالاستئذانُ

والسلامُ، والمصافحةُ والصدقُ، والتأدبُ في المزاحِ والمداعبةِ، وحفظُ حقوقِ الإخوانِ، والأدبُ مع الأقاربِ والجيرانِ، وصلةُ الأرحامِ، وإطعامُ الطعامِ، وتجنبُ الظلمِ والاحتقارِ والعدوانِ، كلُّ ذلكَ وغيرُه بابٌ واسعٌ عظيمٌ، وهو ثابتٌ لا يتغيرُ بتغيرِ الزمانِ ولا بتحولِ المكانِ. غيرَ أن لهذا البابِ الواسعِ مفتاحاً وأن لهذه الأخلاقِ عنواناً وعليها دليلاً.. ذلكم هو خلقُ الحياءِ من اللهِ والحياءِ من الناسِ.

أيها المسلمُ: عندما ترىٰ الرجلَ يتحرَّجُ من فعلِ ما لا ينبغي ويكسو الخجلُ وجهَهُ إذا بدرَ ما لا يليق، فاعلم أنَّه حيُّ الضميرِ، زكيُّ العنصرِ نقيُّ المعدن.

أما إذا رأيتَه صفيقاً، بليدَ الشعورِ، مُعوجَّ السلوكِ، لا يبالي ما يأخذُ أو يتركُ، فهو بعيدٌ عن الخيرِ ليس لديه حياءٌ يردَعُه، ولا وازعٌ يمنعُه، يقعُ في الآثامِ، ويُسِفُّ في ارتكابِ الدنايا.

إن المرءَ حين يفقدُ حياءَه يتدرجُ من سيءٍ إلى أسوأَ، ويهبطُ من رذيلةٍ إلى أرذلَ، ولا يزال يهوي حتى ينحدِرَ إلى الدركاتِ السُّفْلىٰ.

وردَ في الحديثِ مرفوعاً وموقوفاً: «**إن الله عزَّ وجلَّ إذا أرادَ بعبدِه هلاكاً نزعَ منه الحياءَ، فإذا نزعَ منه الحياءَ لم تلْقَه إلا مَقِيتاً مُمَقَّتاً، فإذا كان مَقِيتاً مُمَقَّتاً نَزعَ منه الأمانةَ فلم تلْقهُ إلا خائناً مُخَوَّناً، فإذا كانَ خائناً مُخوَّناً نَزعَ منه الرحمةَ فلم تلقه إلا فظاً غليظاً فإذا كان فظاً غليظاً نزعَ منه رِبقةَ الإيمانِ من عُنُقِه، فإذا نَـزعَ رِبقـةَ الإيمانِ مـن عنقِـه لـم تلقَـه إلا شيطـانـاً لعينـاً**

ملعناً»[1] أخرجه ابن ماجه وغيرُه. هذا ترتيبٌ دقيقٌ لأمراضِ النفوسِ. خطواتٌ سيئةٌ تقودُ إلى خطواتِ أشدَّ منها نُكْراً.

إن الحياءَ والإيمانَ في قَرَنٍ واحدٍ[2] إذا نُزِعَ أحدُهما تبعُه الآخرُ. رأى النبيُّ ﷺ رجلاً يعاتبُ أخاه في الحياءِ فقال عليه الصلاة والسلام: «**دعْهُ فإن الحياءَ من الإيمانِ**»[3].

وعمرُ رضي الله عنه يقول: «من استحيا اختفىٰ، ومن اختفىٰ اتقىٰ، ومن اتقىٰ وُقي».

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن من أعظمِ ما يُستحىٰ منه ربّكم مُولي النعمِ ومُسدِيها. ولا يتولدُ هذا الحياءُ إلا حينَ يُطالعُ العبدُ نعمَ اللهِ عليه، ويتفكرُ فيها، ويدركُ تمامَها وشمولَها، ثم يراجعُ نفسَه ويحاسبُها على التقصيرِ، ويخجلُ من ربِّه، لاسيما إذا رُزقَ العبدُ توفيقاً فأدركَ عظمةَ اللهِ، وإحاطتُه، واطلاعُه على عبادِه، وقُربَه منهم، وعلمَه بخائنةِ الأعينِ وما تُخفي الصدورِ. يقولُ الجنيدُ رحمه الله: «الحياءُ رؤيةُ النعمِ ورؤيةُ التقصيرِ، فيتولدُ بينهما حالةٌ تُسمىٰ الحياءَ».

ويقولُ بعضُ السلفِ: «خَفْ اللهَ على قدرِ قدرتِه عليكَ واستحِ منه على قدرِ قربِه منكَ».

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٢/١٣٤٧ ـ ح٤٠٥٤) وقال في الزوائد: في إسناده سعيد بن سنان، وهو ضعيف، مختلف في اسمه.

(٢) الحياء والإيمان في قرَن: أي مجموعان في حبل. انظر لسان العرب (١٣/٣٣٦).

(٣) أخرجه البخاري (١/٩٣ ـ ح٢٤) واللفظ له، ومسلم (١/٦٣ ـ ح٣٦).

وقد أمرَ النبيُّ ﷺ أصحابَه أن يستحيوا من اللهِ حقَّ الحياءِ فقالوا: يا رسولَ اللهِ إنا نستحي من اللهِ حقَّ الحياءِ قال ﷺ: «**ليس ذلك؛ الاستحياءُ من اللهِ أن تحفظَ الرأسَ وما وعىٰ، والبطنَ وما حوىٰ، وتذكرُ الموتَ والبِلىٰ، ومن أرادَ الآخرةَ تركَ زينةَ الحياةِ الدنيا، من فعلَ ذلكَ فقد استحيا من اللهِ حقَّ الحياء**»[1].

ومن الحياءِ أن يُطهِّرَ المسلمُ لسانَه من الفُحشِ ومَعيبِ الألفاظِ، فإن من سوءِ الأدبِ أن تُفْلتَ الألفاظُ البذيئةُ من المرءِ غيرَ عابىءٍ بمواقِعها وآثارِها.

ومن الحياءِ القَصْدُ في الحديثِ في المجالسِ، فمن أطلقَ للسانِه العِنانَ فإنه لا يسلمُ من التَّزيُّدِ، ولا ينجو من الادعاءِ والرياءِ.

ومن الحياءِ أن يتوقىٰ الإنسانُ ويتحاشىٰ أن يُؤْثَرَ عنهُ سوءٌ، أو تتلطخَ سمعتُه بما لا يليقُ، ولْيبْقَ بعيداً عن مواردِ الشُّبهِ ومواطنِ الإشاعاتِ السيئةِ.

ومنْ أحيا الحياءِ محافظةُ المرأةِ المسلمةِ على كرامتِها وحِشْمَتِها، ومراقبةُ ربِّها، وحفظُ حقِّ بعلِها، والبعدُ عن مسالكِ الريبةِ ومواطنِ الرذيلةِ، لئلا يَغِيضَ ماءُ الحياءِ ويَذهبَ بالعفافِ والبهاءِ. استُشْهِدَ لأحدِ النساءِ ولدٌ في بعضِ الغزواتِ معَ رسولِ اللهِ ﷺ فجاءتْ تبحثُ عنه بين القتلىٰ وهي منتقبةٌ فقيل لها:

---

(1) أخرجه أحمد (١/ ٣٨٧)، والترمذي (٤/ ٥٥٠ ـ ح٢٤٥٨)، والبيهقي في شعب الإيمان (٦/ ١٤٢ ـ ح٧٧٣٠)، والحاكم (٤/ ٣٢٣) وقال: حديث صحيح ووافقه الذهبي.

تبحثين عنه وأنت منتقبةٌ متحجبةٌ؟ فأجابتْ: لأَنْ أُرزأَ ولِدي فلن أُرْزأَ حيائي!! فاتقين اللهَ يا نساءَ المؤمنين، والْزَمنَ العفافَ والحياءَ فذلك خيرٌ وأبقىٰ.

وإن من الحياءِ أيها المسلمون أن يُعرَفَ لأصحابِ الحقوقِ منازلَهم ومراتبَهم، فُيؤْتىٰ كلُّ ذي فضلٍ فضلَه. فالابنُ يوقِّرُ أباه، والتلميذُ يحترمُ المعلمَ، والصغيرُ يتأدبُ مع الكبيرِ. وردَ في الأثرِ عن عبدِالله بن بُسْر أنه قال: «إذا كنتَ في قوم فتصفحتَ في وجوهَهم فلم ترَ فيهم رجلاً يهابُ اللهَ فاعلمْ أن الأمرَ قد رَقَّ».

ويقابلُ الحياءَ البذاءُ والجفاءُ: أخرجَ الإمامُ أحمدُ بسندٍ صحيح عن النبيِّ ﷺ أنه قالَ: «**الحياءُ من الإيمانِ، والإيمانُ في الجنةِ، والبَذَاءُ من الجفاءِ، والجفاءُ في النارِ**»[1].

ومنزوعُ الحياءِ لا تراه إلا على قُبْح، ولا تسمعُ منه إلا لغواً وتأثيماً، عينٌ غمَّازةٌ، ونفسٌ همَّازةٌ، ولسانٌ بذيءٌ؛ يتركُه الناسُ اتقاءَ فُحْشِه. مجالستُه شرٌ، وصحبتُه ضُرٌّ، وفعلُه عدوانٌ، وحديثُه بذاءٌ. ويزيدُ الأمرُ ويعظمُ الخطبُ حين يكون اللهوُ والتفحشُ في الطربِ والغناءِ واتخاذِ القَيْناتِ والمعازفِ وقصائدِ المجونِ.. حيثُ الخروجُ عن الفضيلةِ، وخلعُ جلبابِ الحياءِ، ومن لا حياءَ له لا إيمانَ له.

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون: والتزموا الحياءَ والعفافَ، فهو

---

(١) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح (٤/ ٣٢١ ـ ح٢٠٠٩)، وابن ماجه (٢/ ١٤٠٠ ـ ح٤١٨٤)، وأحمد (٢/ ٥٠١)، والحاكم (١/ ٥٢) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

الباعثُ على فعلِ الطاعاتِ وتركِ القبائحِ والمنكراتِ، هو المانعُ من التقصيرِ في الشكرِ، وعرفانِ الجميلِ، والتفريطِ في حقِّ كلِّ ذي حقٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ ﴾

[الأحزاب: ٥٣].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

خلق الحيـاء

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ المحمودِ على كلِّ حالٍ، ونعوذ بالله من حالِ أهلِ الضلالِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الكبيرُ المتعالِ، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه جبَله ربُّه على جميلِ الفعالِ وكريمِ الخصالِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبِه خيرِ صحبٍ وآلٍ. والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآلِ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أنَّ المسلمَ عفيفٌ حيِّيٌ، يفعلُ الجميلَ، ويجتنبُ القبيحَ. ولا ينبغي أن يكون الحياءُ حائلاً عن طلبِ العلمِ أو مانعاً من قولِ الحقِّ والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ.

بل لقد قررَ أهلُ العلمِ أنَّ من امتنعَ عن مواجهةِ الحقِّ وأخلَّ بالواجباتِ على زعمٍ منه أن هذا من الحياءِ، فقد ضلَّ السبيلَ، فما هذا إلا عجزٌ وخورٌ، وضعفٌ واستكانةٌ، بل خنوعٌ وتقصيرٌ ومهانـةٌ. فحقيقـةُ الحياءِ ما بعـثَ على تركِ القبيحِ، ومنعَ من التقصيرِ في حقِّ كلِّ ذي حقٍ.

لقـد كـان عليـه الصـلاةُ والسـلامُ أشـدَّ حيـاءً مـن العـذراءِ فـي

خِدْرِها[١]، لكنَّ ذلك لم يمنعْه أن يقولَ لحبِّهِ أسامةَ: **«أتشفعُ في حدٍ من حدودِ اللهِ»**[٢].

ولم يمنعْ الحياءُ أمَّ سليمٍ الأنصاريةُ رضي الله عنه: أن تقولَ لرسولِ اللهِ ﷺ: إن اللهَ لا يَستحي من الحقِّ: هل على المرأةِ من غُسلٍ إذا هي احتلمتْ. ولم يمنعْ الحياءُ النبيَّ ﷺ أن يجيبَها بقوله: **«نعم، إذا رأتْ الماءَ»**[٣].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وتمسكوا بوصايا دينِكم، وتأسَّوا بهدي نبيِّكم، فقد كان صادقَ اللهجةِ، حسنَ العشرةِ.. ليس بغمازٍ ولا لمَّازٍ ولا فاحشٍ ولا متفحشٍ، وصلوا عليه وسلموا تسليماً كثيراً.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٥٢٩، ٥٣٨ ـ ح٦١٠٢، ٦١١٩)، ومسلم (٤/١٨٠٩ ـ ح٢٣٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٢/ ٨٩ ـ ح٦٧٨٨)، ومسلم (٣/ ١٣١٥ ـ ح١٦٨٨).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٢٧٦ ـ ح١٣٠)، ومسلم (١/ ٢٥١ ـ ح٣١٣).

أولئك هم العادون

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا وسيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله هدًىٰ إلى الحقِّ، وأوضحَ السبيلَ، صلى اللهُ وسلم وباركَ عليه وعلى آله وأصحابه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فيا أيها المؤمنون: قضتْ سنةُ اللهِ سبحانه وتعالىٰ وتباركَ أن الأممَ لا تفنىٰ، والقوىٰ لا تضعف إلا حين تسقطُ الهممُ وتستسلمُ الشعوبُ لشهواتِها فتتحولَ أهدافُها من مُثُلٍ عليا إلى شهواتٍ دنيئةٍ، فتسودُ فيها الرذائلُ، وتنتشرُ فيها الفواحشُ، بل تفتِكُ بها الأمراضُ الخبيثةُ، فلا تلبثُ أن تتلاشىٰ وتضمحلَّ وتذهبَ ريحُها ويحقَّ عليها قولُ اللهِ تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾﴾ [الإسراء: ١٦].

أيها المسلمون: إن من أفحشِ الفواحشِ وأحطِّ القاذوراتِ جريمةَ الزنا. حرَّمَه ربُّكم، وجعله قريناً للشرك في سفالة المنزلةِ وفي العقوبةِ والجزاءِ. يقولُ عزَّ من قائلٍ: ﴿ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ

مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾﴾ [النور: ٣].

ويقولُ في الجزاءِ والعقوبةِ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨ ـ ٦٩].

وما ذلكَ إلا لأنَّه من أقبحِ القبائحِ يبددُ الأموالَ، وينتهكُ الأعراضَ، ويقتلُ الذريةَ، ويُهلِكُ الحرثَ والنسلَ. عارُه يهدِمُ البيوتَ، ويُطأطِئُ عاليَ الرؤوسِ، يُسوِّد الوجوهَ البيضاءَ، ويُخْرِس ألسنةَ البُلغاءَ، ويَهبِطُ بالعزيزِ إلى هاويةٍ من الذلِّ والحقارةِ والازدراءِ.. هاويةٍ مالها من قرارٍ. ينزعُ ثوبَ الجاهِ مهما اتسعَ، ويخفضُ عاليَ الذكرِ مهما علا.

إنه لَطْخةٌ سوداءُ إذا لِحقَتْ بتاريخِ أسرةٍ غمرتْ كلَّ صحائفِها النقيةَ. إنه شَيْنٌ لا يقتصرُ تلويثُه على من قارَفُه؛ بل يَشينُ أفرادَ الأسرةِ كلِّها، ويقضي على مستقبَلِها جميعها. إنه العارُ الذي يطولُ حتى تتناقلَه الأجيالُ جيلاً بعد جيلٍ. بانتشارِه تُغلَقُ أبوابُ الحلالِ، ويكثرُ اللقطاءُ، وتنشأُ طبقاتٌ بلا هويةٍ، طبقاتٌ شاذةٌ حاقدةٌ على المجتمعِ، لا تعرفُ العطفَ ولا العلاقاتِ الأسريةَ، فيعمُّ الفسادَ، ويتعرضُ المجتمعُ للسقوطِ.

أليسَ يجمعُ خلالَ الشرِّ كلَّها من الغدرِ والكذبِ والخيانةِ؟ أليس يَنزَعُ الحياءَ، ويُذهِبُ الورعَ والمروءةَ، ويطمِسُ نورَ القلبِ، ويجلبُ غضبَ الربِّ.

إن مفسدتَه منافيةٌ لمصلحةِ نظامِ العالمِ في حفظِ الأنسابِ، وحمايةِ الأبضاعِ، وصيانةِ الحرماتِ، والحفاظِ على روابطِ الأسُرِ، وتماسكِ المجتمعِ.

يا أصحابَ الغيرةِ: من أجلِ أن يزدادَ الأمرُ وضوحاً تأملوا الفرقَ بين السفاحِ والنكاحِ.

السفاحُ متعةٌ حيوانيةٌ بهيميةٌ، وقضاءُ شهوةٍ وقتيةٍ.. اختلاسٌ وخداعٌ، وهروبٌ من المسئوليةِ، بل امتهانٌ لكرامةِ الإنسانِ ذكراً كان أو أنثىٰ. إن الزانيَ والزانيةَ لا يعنيهما إلا قضاءُ مآربِهما الساقطةِ، بل كلُّ واحدٍ منهما يجعلُ الآخرُ قنطرةً ومعبراً لهذه المآربِ. إنه لقاءٌ حيواني بحتٌ لا غرضَ منه إلا قضاءُ الوطرِ المنحطِ.

أما النكاحُ فهو شهامةٌ وعزيمةٌ وكرامةٌ معلنةٌ.. تحملٌ للمسؤوليةِ، والتزامٌ بالحقوقِ والواجباتِ.. إنشاءٌ وتعميرٌ.. وإصلاحٌ وتربيةٌ وتوجيهٌ للطاقاتِ. بل إنه من أفضلِ ما يُتقربُ به إلى الله سبحانه حين تَحْسُنُ النوايا وتصحُّ المقاصدُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن التقديرَ لحمىٰ ذمارِ الأهلِ يفرضُ الاهتمامَ بالحرماتِ. لابدَّ من تقوىٰ اللهِ عز وجل ومراقبتِه. لابدَّ من الأخذِ على أيدي السفهاءِ؛ لقد نهىٰ اللهُ عبادَه المؤمنين باللهِ واليوم الآخرِ أن تأخذَهم بالزناةِ والزواني رأفةٌ في دينِ اللهِ ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢﴾ [النور: ٢].

مستحلُّ الزنا في الإسلامِ كافرٌ خارجٌ من الدين، والواقعُ فيه

من غيرِ استحلالٍ فاسقٌ أثيمٌ، يُرجَمُ إن كان محصناً، ويُجلدُ ويُغرَّبُ إن كان غيرَ محصنٍ.

بل لقد نفىٰ النبيُّ ﷺ الإيمانَ عن الزاني في أكثرَ من حديثٍ. ففي الصحيحين وغيرِهما من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ**»(١).

وأخرجَ أبوداودَ والترمذيُّ والحاكمُ والبيهقيُّ واللفظُ له عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن الإيمانَ سربالٌ يسرِبلُهُ الله من يشاءُ فإذا زنىٰ العبدُ نُزِع منه سربالُ الإيمانِ فإن تابَ رُدَّ عليه**»(٢).

وفي المقابلِ أيها المؤمنون باللهِ واليوم الآخرِ: لابدَّ من إسكاتِ هذه الأبواقِ المَضلِّلةِ التي تسعىٰ في نشرِ هذا السقوطِ الاجتماعي، بل تزعمُ إنه خُلُقُ التحضرِ والارتقاءِ وتسميهِ بغيرِ اسمهِ، ونبيُّكم ﷺ سماها قاذوراتٍ، فلا يسطو على الأعراضِ إلا مجرمٌ أثيمٌ.. ساقطُ المروءةِ؛ يُخْربُ بيتَه وبيوتَ المؤمنين. لابدَّ من حمايةِ أبناءِ المسلمين مما يُبتذلُ في أسواقِهم ووسائلِ إعلامِهم من الأغاني الماجنةِ، والصورِ الفاضحةِ، والقَصَصِ الساقطةِ، والأفلامِ الهابطةِ.

ماذا يريدُ المبطلون من هذه الإغراءاتِ؟.

إن عذابَ الله شديدٌ. ألم يتبين لدىٰ كلِّ مُطَّلع أن الزنا يُعرِّضُ

---

(١) أخرجه البخاري (٥/ ١٤٣ ـ ح٢٤٧٥)، ومسلم (١/ ٧٦ ـ ح٥٧).

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٣٥٢ ـ ح٥٣٦٦)، وأشار الألباني إلى ضعفه. انظر إلى ضعيف الجامع.

صاحبَه بل يُعَرِّضُ المجتمعَ كلَّه للإصابةِ بالأمراضِ السريةِ القاتلةِ كالزهريِّ والسيلانِ؟ وما أمراضُ العصرِ الشهيرةُ من مرضِ الإيدزِ ومرضِ الهربسِ إلا وليدةُ هذه القاذوراتِ.

اسمعوا إلى حديثِ المصطفىٰ ﷺ فيما أخرجه ابنُ ماجه وغيرُه من حديثِ عبدِالله بن عمرَ رضي الله عنهما قال: أقبلَ علينا رسولُ اللهِ ﷺ فقال: «**يا معشرَ المهاجرينِ خمسٌ إذا ابتليتم بهنَّ وأعوذُ باللهِ أن تُدرِكوهنَّ** وذكر منها: **ولم تَظهرْ الفاحشةُ في قومٍ قطُّ حتى يُعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعونُ والأوجاعُ التي لم تكُنْ مضتْ في أسلافِهم**»(1). ماذا بعدُ هذا أيها المسلمون؟ فنسالُ اللهَ السلامةَ والعافيةَ.

أمَّا عذابُ الآخرةِ فأشدُّ وأبقىٰ، عذابٌ تَذهلُ له النفوسُ، وتتقطعُ له الأفئدةُ.

جاءَ في صحيحِ البخاريِّ وغيرِه عن سمرةَ بن جندبٍ رضي الله عنه في حديثٍ طَويلٍ في خبرِ منامِ النبيِّ ﷺ أن جبريلَ وميكائيلَ جاءاه قال: «**فانطلقنا فأتينا على مثلِ التنورِ أعلاه ضيقٌ وأسفلُه واسعٌ فيه لغطٌ وأصواتٌ** قال: **فاطَّلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ فإذا هم يأتيْهم لهبٌ من أسفلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوْضَوا - أي صاحوا من شدةِ الحر - فقلت: من هؤلاءِ**

---

(1) رواه ابن ماجه (2/1332، 1333 - ح4019)، وقال البوصيري في الزوائد: هذا حديث صالح للعمل به، وقد اختلفوا في ابن أبي مالك وأبيه، والحاكم (4/540) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي وعلى هذا فالحديث حسن إن شاء الله.

يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء الزناةُ والزواني؛ فهذا عذابُهم إلى يومِ القيامةِ»[1].

وقد جاءَ من غيرِ طريقٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**إن ريحَ فروجِ الزناةِ والزواني يؤذي أهلَ النارِ شدةُ نتَنِها»**[2].

وفي حديثٍ عند أحمدَ وأبي يعلى وابنِ حبان في صحيحِه والحاكمِ وصحَّحه عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: «**من ماتَ مدمنَ الخمرِ سقاه الله جلَّ وعلاً من نهرِ الغوطةِ، قيل وما نهرُ الغوطةِ؟ قال: نهرٌ يجري من فروجِ المومساتِ ـ يعني البغايا ـ يؤذي أهلَ النارِ ريحُ فروجِهم»**[3].

فأهلُ النارِ يعذبون بنتنِ ريحِ الزناةِ.

فاتقوا اللهَ يا أمةَ الإسلامِ، وقفوا عند مسئولياتِكم، خذوا على أيدي السفاءِ تَنجُوا وتنجُ سفَينتُكم.

الزوجُ مسئولٌ، والأمُّ مسئولةٌ، والأبُ مسئولٌ، ووليُّ الأمرِ مسئولٌ، وكلُّكم راعٍ وكلُّكم مسئولٌ عن رعيتِه. اطلبوا النجاةَ لأنفسِكم وأولادِكم وإخوانِكم وكلٍّ من تحتِ مسئوليتكم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢/ ٤٥٧، ٤٥٨ ـ ح٧٠٤٧)، وأحمد (٥/ ٨).

(٢) أخرجه البزار مرفوعا وموقوفا، وقال الهيثمي: في اسناديهما صالح بن حيان وهو ضعيف. انظر مجمع الزوائد (٦/ ٢٥٥).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٣٩٩)، وقال الهيثمي: رواه أحمد وأبويعلى والطبراني ورجال أحمد وأبي يعلى ثقات. انظر مجمع الزوائد (٥/ ٧٤)، وأخرجه الحاكم (٤/ ١٤٦) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٣٢].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ، وهدانا صراطَه المستقيمَ، وجنَّبنا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

أولئك هم العادون

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ أهلِ الحمدِ ومستحقِّه لا إله غيرُه ولا ربَّ سواه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن الشريعةَ المطهرةَ قد أوصدَتْ الأبوابَ أمامَ هذه الجريمةِ النكراءِ، والرذيلةِ الشنعاءِ.

فأولُ الحواجزِ وأَوْلَاها: الإيمانُ باللهِ واليومِ الآخرِ، والخوفُ من عذابِه والرجاءُ في رحمتِه.

ثُم غَضُّ البصرِ من المؤمنِ والمؤمنةِ من أقوىٰ هذه الحواجزِ، فالنظرةُ سهمٌ من سهامِ إبليسَ، ومن غضَّ بصرَه أورثَ الله قلبَه حلاوةَ العبادةِ إلى يومِ القيامةِ كما وردَ في الحديثِ. وكما يشيرُ إليه قولُه سبحانه بعدَ الأمرِ بغضِّ النظرِ: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وأُمِرَتْ المؤمناتُ بالحجابِ والبعدِ عن مواردِ الفتنِ ومواطنِ الرِّيَبِ، فلا زينةَ ولا تعطرَ ولا إلانةً في القولِ فيطمعَ الذي في قلبِه مرضٌ، ولُبسُ اللباسِ المحتشمِ السابغِ خيرُ ما يُكَرِّمُ المؤمنةَ

ويَحميْها من أن تصيبها نظراتُ ضعافِ النفوسِ.

والخلوةُ بالمرأةِ الأجنبيةِ لا تجوزُ، فذلك من أعظمِ دواعي الإغراءِ بالفحشاءِ. فما خلا رجلٌ بامرأةٍ إلا وكان ثالثُهما الشيطانَ.

وفي الحديثِ الصحيح: «**إياكم والدخولَ على النساءِ**»، فقال رجلٌ من الأنصارِ أرأيتَ الحموَ؟ **قال: الحموُ الموتُ**»[1]. والحموُ هو قريبُ الزوجِ. ولا يحلُّ لامرأةٍ تؤمنُ باللهِ واليوم الآخرِ أن تسافرَ إلا مع ذي محرمٍ، فإنها إن فعلتْ افترستْها ذئابُ البشرِ رغبةً أو رهبةً.

وقبل ذلك وبعده أيها المسلمون لابدَّ من تيسيرِ أمرِ الزواجِ: «**إذا جاءكم من ترضون دينَه وخُلُقَه فزوِّجوه إلا تفعلوه تكنْ فتنةٌ في الأرضِ وفسادٌ كبيرٌ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢٤٢ ـ ح٥٢٣٢)، ومسلم (٤/ ١٧١١ ـ ح٢١٧٢).

(٢) أخرجه الترمذي (٣/ ٣٩٥ ـ ح١٠٨٥) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١/ ٦٣٣ ـ ح١٩٦٧)، والحاكم (٢/ ١٦٤، ١٦٥)، والحديث حسن بمجموع طرقه.

سوءُ الظن والتثبت في الأخبار

الخطبة الأولى

الحمـدُ للهِ المتـوحـدِ بـالعظمـةِ والجـلالِ، المتصـفِ بصفـاتِ الكمالِ، المنزهِ عن الأشباهِ والأمثالِ، أحمده سبحانه وأشكرُه شكراً يزيدُ النعمَ ويحفظُها من الزوالِ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه، أنقذَ من الضلالِ، وهَدىٰ إلى أشرفِ الخصالِ. أمرَ بالتثبتِ وحذَّر من سوءِ الظنِّ في الأقوالِ والأفعالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم المآلِ.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: عليكُم بتقوىٰ اللهِ عزَّ وجلَّ. عظِّموا أمرَه، واحذروا سخطَه. زكوُّا أعمالَكم، واحفظوا جوارِحَكم، واشتغلوا وتشاغلوا بما فيه نفعُكم واجتماعُ أمرِكم.

أيها المسلمـون: إن للنـاس مجـالس يتجـاذبـون فيهـا أطـرافَ الحديثِ شئوناً وشجوناً، يأمَنُ بعضُهم بعضاً، ويأنسُ بعضُهم ببعضٍ. صدورٌ منشرحةٌ، وسرائرٌ صافيةٌ، ونوايا حسنةٌ، ثم يندسُّ بين هؤلاءِ من يتَتَبَّعُ السقطاتِ، ويفرحُ بالهفواتِ؛ ليتندَّرَ بهذا

ويَشي[1] بذاك، وقد يكون عنده فضلُ مالٍ يستريحُ في ظلالِه، فلا همَّ له إلا بالتسلي بشئونِ الآخرين وأشيائِهم؛ استطالةً وتهكماً وازدراءً وتنقُّصاً، همزاً ولمزاً، ونبزاً وغمزاً: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾ [القلم: ١١ ـ ١٢].

إن صاحبَ الهوىٰ والأغراضِ لا يجدُ مُتَنفساً لما في صدرِه إلا تلفيقَ الأكاذيبِ وتزويرَ الأخبارِ؛ متنصلاً عن المسئوليةِ العظمىٰ، مبتعداً عن شرفِ أمانةِ الحديثِ، وحفظِ حقوقِ المسلمين. وأنتم تعلمون ونعلمُ أن الهوىٰ ما خالطَ شيئاً إلا أفسدَه، يُخْرِجُ العالمَ من السنةِ إلى البدعةِ، ويوقع صاحبَ الزهدِ في الرياءِ والسمعةِ. يجرُّ الحاكمَ إلى الظلمِ والصدِّ عن الحقِّ.

وإذا وقعَ الهوىٰ في الأخبارِ والأقوالِ كان مطيتَها إلى الكذبِ وسوءِ الظنِ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ [النور: ١٥].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن في المجتمعِ مجالسَ ومنتدياتٍ لاهمَّ لأصحابِها إلا القيلُ والقالُ. والخوضُ فيما لا يفيدُ، يتناقلون الأحاديثَ دونَ وعيٍ أو تثبت، يُلصِقون بهذا ما ليس فيه، ويظنون بذاك ظنَّ السَّوْءِ، مطيتُهم في ذلك قالوا وزعموا، وبئسَ مطيةُ الرجلِ زعموا.

إذا ضَعُفَ الوازعُ تجرَّأَ المرءُ على الاستخفافِ بالحرماتِ، وقلَّ عنده احترامُ الناسِ، واستمرأ الكذبَ، واتخذَ من الشبهاتِ مطايا،

---

(١) يشي: يقوم بالوشاية والنميمة.

بل قد لا يتورعُ أن يُدلي بشهاداتٍ كاذبةٍ وأقوالٍ ملفقةٍ، فهو قليلُ المروءةِ، صفيقُ الوجهِ، يفرحُ بالكلمةِ السيئةِ ليشيعَها في الناسِ من غيرِ نظرٍ في العواقبِ.

بهذا وأمثالِه تشيعُ البلبلةُ، وتَسري الظنونُ والقلاقلُ، وتعيشُ الأمةُ في حدسٍ وتخمينٍ، مما يهددُ مصالحَ الجماعةِ وينشرُ الوساوسَ والمخاوفَ، ويؤدي إلى اضطرابِ الأحوالِ، بل قد يقودُ إلى الاستهانةِ بالكراماتِ والاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ، والوقوعِ في الأعراضِ وقتلِ المعنوياتِ.

إن السماحَ بانتشارِ الشائعاتِ وقبولَ كلِّ خبرٍ وعدمَ التروي، يولِّدُ التحسُّسَ، وينبتُ التجسسُ، ويجرُّ إلى تتبعِ العوراتِ والتطلعِ إلى السوءاتِ. ذلك أن الباطلَ إذا كثُر ترديدُه وطالَ التفكيرُ فيه انقلبَ عند الناسِ في حكمِ الحقِّ، وحينئذٍ تقعُ الواقعةُ على المتهمين المظلومين.

ولعلَّ هذا هو السرُّ في النهي عن التجسس بعد الأمرِ باجتنابِ الكثيرِ من الظنِّ في قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢].

ومن الأسرارِ في هذه الآيةِ: الأمرُ باجتنابِ كثيرٍ من الظنِّ لأن بعضَ الظنِّ إثمٌ، فيجتنبُ الكثيرُ من أجلِ منعِ القليلِ، وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: «**إياكم والظنَّ، فإن الظنَّ أكذبُ الحديثِ**»[1]. مخرَّجٌ في الصحيحين وغيرِهما.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٩٩ ـ ح٦٠٦٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٥ ـ ح٢٥٦٣).

إن الظنونَ السيئةَ تنشأُ عنها المكائدُ والطعنُ في الأنسابِ والأعراضِ، بسببِها تُنصبُ حبالُ المكرِ وشباكِ الخديعةِ فتحصلُ الفرقةُ والشحناءُ، ويَذِلُّ العبادُ، ويتمكنُ الأعداء.. تطغىٰ الأنانيةُ وتُنتزعُ الثقةُ، وتسودُ العداوةُ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: كم أدىٰ سوءُ الظنِّ وعدمُ التثبتِ في الأخبارِ إلى أهوالٍ ما بعدها أهوالٌ. أُزهقتْ نفوسٌ، وضاعتْ أموالٌ، وتشتتْ أسرٌ، وخَرِبتْ بيوتٌ، وقُطِّعتْ أرحامٌ. إن التعجلَ وعدَم التأني في هذه القضايا الخطيرةِ يُفسدُ على أهلِ العقولِ عقولَهم، ويذهبُ برويَّتهم وتفكيرِهم، فيصبحُ العيشُ مريراً، وتصبحُ الحياةُ سعيراً. لابد من التُّؤدةِ والثباتِ حتى لا تزِلَّ قدمٌ بعد ثبوتِها وتنزلقَ في مجاهلِ الحوادثِ والأحداثِ فتصبحوا على مافعلتم نادمين: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الحجرات: ٦].

إن الشجاعةَ كلَّ الشجاعةِ، والبطولةَ حقَّ البطولةِ حين يملكُ المرءُ نفسَه في مثلِ هذه المقاماتِ، يملكُ الزمامَ أن يُفْلتَ بسبب كلمةٍ طائشةٍ من أحمقَ، أو وشايةٍ مغرضةٍ من حاقدٍ.

عبادَ اللهِ: إن حقَّ المؤمنِ أن يُحمىٰ ظهرهُ وعرضُه، وتصانَ كرامتَه ومعنويتُه إلى أن يتبينَ بوضوحٍ ما يستحقُّ عليه المساءلةَ والمؤاخذةَ.

إن على الفردِ والجماعةِ وكلِّ مسئول ألا يقبلوا ما يصلُ إليهم من أخبارٍ أو يُصدِّقوا الأقاويلَ في المؤمنين إلا بعد التثبتِ والتبيُّنِ، حذراً من الإضرارِ بالناسِ في أنفسِهم وسائرِ حقوقِهم

ومتعلقاتِهم، فلا يكون المعتَمَدُ على مقالةِ واشٍ أو خبرٍ مفترٍ يجلبُ لنفسِه نفعاً أو يوقع بغيرِه ضَراً.

أيها المسلمون: ينبغي أن يسودَ حسنُ الظنِّ بالمؤمنين، والاطمئنانُ إلى طويِّتِهم، والثقةُ بحسنِ نواياهم، وتغليبُ جانبِ الصدقِ في أقوالِهم والخيرِ في تصرفاتِهم، مادامتْ أحوالُهم الظاهرةُ مأمونةً، والمساويءُ مستورةً.

فاحفظْ يا أخي المسلمُ يدَك ولسانَك وسائرَ جوارِحك عن أذى الناس، ولا تَبعْ دينَك بعرَضٍ من الدنيا قليلٍ، ولا تبغِ الفسادَ في الأرضِ فتكنْ أفاكاً أثيماً. كنْ مصدرَ خيرٍ ونفعٍ وبرٍ وإحسانٍ.

إن مجامعَ الأخلاقِ ولبَّ المحاسنِ أن يحبَّ المرءُ لأخيه ما يحبُّ لنفسِه، والمؤمنُ يقولُ خيراً أو يَنْمِي خيراً.

وقد قيل: إذا رأيتمُ المؤمنَ صموتاً وقوراً فقد سلكَ مسالكَ الحكمةِ. والمسلمانِ يجلسانِ بأمانِ اللهِ، فلا يحلُّ لأحدِهما أن يُفشيَ على أخيه ما يكرُه بغيرِ حقٍّ.

ومن رُزقَ حياءً مع قلةِ أذىً، وصلاحاً مع قلةِ كلامٍ، وعملاً مع قلةِ فضولٍ؛ فقد أوتي محاسنَ الأخلاقِ.

أيها المؤمنُ: ليكنْ حظُّ أخيك منك ثلاثاً: إن لم تنفعْه فلا تضرَّه، وإن لم تُفرِحْه فلا تَغمَّه، وإن لم تمدْحَه فلا تذمَّه، ولتعلمْ أن الاشتغالَ بالطعنِ في الناسِ وذكرِ نقائصِهم، والتسلي بالخوضِ في معائبِهم وإفشاءِ مقالةِ السوءِ بينهم من طبائعِ النفوسِ الشريرةِ والصدورِ الحاقدةِ، وهو من أظهرِ الدلائلِ على قلةِ التوفيقِ والانشغالِ بما لا يُفيدُ.

اللهم إنا نسألُك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، ونسألك كلمةَ الحقِّ في الرضىٰ والغضبِ، ونعوذ بكَ أن نقولَ زُوراً أو نغشىٰ فُجوراً، أو نتكلفَ ما لا يعنينا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَـٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه العظيم، وبسنة نبيه المصطفىٰ الكريم، وأجارنا من عذابِه الأليمِ، وثبتنا على صراطِه المستقيم. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

سوء الظن والتثبت في الأخبار

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ بيَّن الطريقَ وأوضحَ المحجةَ، أرسلَ رسلَه مبشرين ومنذرين لئلا يكونَ للناس على اللهِ حجةٌ، أحمدُه سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، حَسَنُ الظنِّ، صادقُ اللهجةِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا أنَّ من تتبعَ عوراتِ الناس وتلمَّسَ معايبَهم كشفَ اللهُ سِترَه، وفضحَه في عورتِه؛ يقولُ الإمامُ مالكٌ رحمه الله: «أدركْنا قوماً لم تكنْ لهم عوراتٌ فذكروا عيوبَ الناس فذكر الناسُ لهم عيوباً، وأدركنا أقواماً كانت لهم عيوبٌ فكفوا عن عيوبِ الناسِ فنُسيتْ عيوبُهم».

شاهدُ هذا أيها المسلمون ما أخرجه الإمامُ أحمدُ وأبوداود عن أبي برزةَ الأسلميِّ رضي الله عنه مرفوعاً: «**يا معشرَ من آمنَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه لا تغتابوا الناسَ، ولا تتبَّعوا عوراتِهم، فإن من اتبع عوراتِهم تتبع اللهُ عورتَه، ومن تتبع اللهُ عورتَه يفضحْه في**

بيتِه»[1] وفي لفظٍ عند الطبراني ونحوُه عند أبي يعلىٰ والبيهقي: **«يا معشرَ من أسلمَ بلسانِه ولم يدخلْ الإيمانُ قلبَه لا تذموا المسلمين ولا تؤذوهم ولا تتبعوا عوراتِهم فإن من يطلبُ عورةَ أخيه المسلم هتكَ اللهُ سترَه وأبدى عورتَه ولو كان في سترِ بيتِه»**[2] فاتقوا اللهَ يرحمْكم الله؛ فمن صَفَى صُفِّى له ومن كدَّر كُدِّر عليه، وإن الكيِّسَ العاقلَ الفطنُ الغافلُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٢١)، وأبوداود (٤/ ٢٧٠ ـ ح٤٨٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠/ ٢٤٧)، وبنحوه الترمذي من حديث ابن عمر (٤/ ٣٣١، ٣٣٢) وقال حديث حسن غريب، والبغوي في شرح السنة (١٣/ ١٠٤ ـ ح٣٥٢٦)، وأبويعلى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٣)، والطبراني في الكبير (١١/ ١٨٦ ـ ح١١٤٤٤) وقال الهيثمي: رجاله ثقات. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٤).

(٢) رواه الطبراني في الكبير(٢/ ٢٠، ٢١)، وفي الأوسط (٣/ ٤٤٦ ـ ح٢٩٥٧) وقال الهيثمي: فيه رميح بن هلال الطائي، قال أبوحاتم: مجهول لم يرو عنه غير أبي تميلة يحي بن واضح. انظر مجمع الزوائد (٨/ ٩٤).

أمسك عليك لسانك

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ المحمودِ على كلِّ حال، ونعوذُ بالله من حالِ أهلِ الضلالِ. أحمده سبحانه وأشكره وأسألُه المزيدَ من فضلِه وكرمِه والتوفيقِ في الحالِ والمآلِ. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، كريمُ المزايا وشريفُ الخصالِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبِه خيرِ صحبٍ وآلٍ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: يقولُ اللهُ تباركَ وتعالى في وصفِ المؤمنين من عباده: ﴿ وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القصص: ٥٥].

اللغوُ أيها المسلمون: خوضٌ في باطلٍ، وتشاغلٌ بما لا يفيد. أمرَ اللهُ سبحانه بالإعراضِ عنه، ونهى عن الوقوعِ فيه، ففيه مضيعةٌ للعمُرِ في غيرِ ما خُلقَ الإنسانُ لأجلِه. إنه مَخلوقٌ لعبادةِ ربِّه، والخلافةِ في هذه الأرضِ بالعملِ المثمرِ الصالحِ، والحياةِ النافعةِ الجادةِ.

من أجلِ هذا كان البعدُ عن اللغو والإعراضُ عنه من دلائلِ الكمالِ والفلاحِ؛ لقد ذكره اللهُ سبحانه بين فريضتين من فرائضِ

الإسلام المحكمة؛ ذكره بين فريضتي الصلاةِ والزكاة؛ فقال عز شأنه: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝٤﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٤].

أيها المؤمنون اللغوُ في شتى صورِه: خوضٌ في باطلٍ، وتحدثٌ بالمعاصي، وترويجٌ للفواحشِ، وتتبعٌ للعوراتِ، وتَنَدُّرٌ بالناسِ، وانتقاصٌ وسخريةٌ بهم. ونصيبُ النساءِ في ذلك راجحٌ. فليتقِ اللهَ كلُّ مؤمنٍ ومؤمنةٍ، فويلٌ لكلِّ همزةٍ لمزةٍ. وويلٌ لكل حلَّافٍ مهينٍ همازٍ مشاءٍ بنميمٍ.

أيها المسلمُ: لو نظرتَ فيما يشغَلُ الناسَ في فراغِهم وغيرِ فراغهم لرأيتَ ما يروِّعُ من لغوِ الحديثِ والعملِ. ألا يروِّعُكَ أن تجدَ القصصَ المنشورةَ، والصحفَ المشهورةَ، والكلماتِ المذاعةَ، والصورَ المبثوثةَ. إنها في أغلبِها لغوُ. . تنشغلُ به الأعينُ، وتمتلىءُ به الآذانُ، وتلوكه الألسنُ.

وإن من أعظمِ ما تنشغلُ به الكافةُ من صنوفِ اللغوِ. . الكذبَ والنميمةَ وشهادَةَ الزورِ والغيبةَ، والسبابَ، والشتائمَ، واللعنَ والقذفَ، والتقعرَ في الكلامِ والتشدقَ فيه من أجلِ التعالي واستدرارِ المديحِ.

بل إن في الناس من يعيشُ صفيقَ الوجهِ، شرسَ الطبعِ، لا تحجُزُه مروءةٌ، ولا يردعُه دينٌ أو أدبٌ. . جرَّدَ لسانَه مِقراضاً للأعراضِ بكلماتٍ تنضحُ فُحشاً، وألفاظٍ تنهشُ نهشاً، يسرفُ في التجنيِّ على عبادِ اللهِ بالسخريةِ واللمزِ. . فهذا طويلٌ وذاك قصيرٌ وهذ أحمقُ وذاك جهولُ، وكأنه قد وُكِلَ إليه تجريحُ عبادِ اللهِ.

أما سمعَ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ: ﴿سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقولَه عزَّ من قائلٍ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨﴾ [ق: ١٨].

ويزدادُ الأمرُ وتعظُمُ البليةُ حين ترىٰ من عليه علاماتُ الوقارِ، وملامحُ الاحتشامِ، وسيما الوجاهةِ، وهيئاتُ العلماءِ؛ يُسفرُ عن بذاءٍ وثرثرةٍ.. يَصُمُّ بالخوضِ في الباطلِ أُذُنَيْ جلِيسِه.. لا يدَعُ لأصحابِ فضلٍ فضلاً.. يحملُ عليهم الحملاتِ الشعواءَ أحياءً وأمواتاً لزلةِ لسانٍ أو سَبْقِ قلمٍ. هلا حجزَه عن عيوبِ الناس ما يعلمُ من عيوبِ نفسه؟ طُوبىٰ لمن ملكَ لسانَه، وأنفقَ الفضلَ من مالِه، وأمسكَ الفضلَ من قولِه.

أيها المسلمون: إن فضلاءَ الرجالِ وعظماءَهم.. إذا سمعوا اللغوَ أعرضوا عنه، فلا تبدُرُ منهم لفظةٌ نابيةٌ ولا عبارةٌ ناشزةٌ. ولا انتصارٌ للنفسِ، وإذا ضمَّهُ مجلسٌ مع أمثالِ هؤلاءِ اللاغين لا يفقدُ خُلُقهَ مع مَن لا خلاقَ له، ولو أنَّه شُغِلَ بتأديبِ كلِّ جهولٍ لأعيتْه الحيلُ.

عبادَ اللهِ: من أجلِ البعدِ عن اللغوِ، وأخذِ النفس بالأدبِ، والالتزامِ بالفاضلِ من القولِ والعملِ؛ ينبغي ملاحظةُ أمورٍ منها: تجنبُ كثرةِ المزاحِ والإفراطِ فيه، فهو يُسقطُ الوقارَ، ويُوْرِثُ الضغائنَ، ويولد الأحقادَ، أما اليسيرُ منه الباعثُ على الانبساطِ وانشراحِ النفس فلا بأسَ به. فقد كان عليه الصلاةُ والسلامُ يمزحُ ولا يقولُ إلا حقاً، وينبغي أخذُ النفس بكظمِ الغيظِ، والعفوِ عن المسيءِ، والإعراضِ عن الجاهلِ. وكيف يكونُ الإنسان كريماً

ذا خلقٍ وهو لا يقيلُ عثرةً، ولا يدمَحُ زلةً، ولا يقبلُ معذِرةً؟ ولابد من اجتنابِ الجدلِ، وسدِّ أبوابِ المِراءِ؛ ولو كان في حقٍّ؛ فإن من كَثُر كلامُه قلَّ في الناسِ احترامُه.

وجماعُ ذلك كلِّه في حفظِ اللسانِ ففيه الخيرُ وفيه السلامَةُ. ولا يذهبُ الرشدُ إلا مع كثرةِ الكلامِ والثرثرةِ. وإذا لم يملكْ الإنسانُ نفسَه كان فمُه مدخلاً لكلِّ ما يعابُ، فتتلوثُ السيرةُ، ويغلظُ الحجابُ على القلبِ.

سألَ سفيانُ بنُ عبدِاللهِ الثقفيُّ نبيَّ اللهِ محمداً ﷺ ما أخوفُ ما تخافُ عليَّ؟ «**فأخذ بلسانِه وقال: هذا**»(١).

وقال عليه الصلاةُ والسلامُ لمعاذِ بن جبلٍ: «**ثكلتكَ أمُّك يا معاذُ وهل يكبُّ الناسَ في النارِ على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم**»(٢).

إن اللسانَ حبلٌ مرخيٌ في يدِ الشيطانِ يصِّرفُ صاحبَه كيف يشاءُ، وإن المرءَ مخبوءٌ تحتَ لسانِه فإذا تكلَّم بان حالُه. ولهذا يقولُ عبدُاللهِ بنُ مسعودٍ رضي الله عنه: «واللهِ الذي لا إله إلا هو ليس شيءٌ أحوجَ إلى طولِ سجنٍ من لسانٍ».

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٣)، وابن حبان انظر الاحسان (١٣/ ٦ ـ ح٥٦٩٩)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ ـ ح٣٩٧٢)، والترمذي (٤/ ٥٢٥ ـ ح٢٤١٠) وقال: حديث حسن صحيح، والحاكم (٤/ ٣١٣) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ ـ ح٣٩٧٣)، والترمذي (٥/ ١٣ ـ ح٢٦١٦) وقال: حديث حسن صحيح.

بل إن جوارحَ الإنسانِ كلَّها مرتبطةٌ باللسانِ في الاستقامةِ والاعوجاجِ.

روىٰ الإمامُ الترمذيُّ وغيرُه بإسنادٍ حسنٍ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «**إذا أصبحَ ابنُ آدمَ فإن الأعضاءَ كلَّها تُكَفِّرُ اللسانَ ـ أي تخضعُ له ـ فتقولُ: اتقِ اللهَ فينا فإنما نحن بك، فإن استقمتَ استقمنا وإن اعوججتَ اعوججْنا**»[1].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون وأعرِضُوا عن اللغوِ والجاهلين، واتقوا آفاتِ اللسانِ، فمن كَثُرَ سقطُه كثُرت ذنوبُه، ومن كَثُرَتْ ذنوبُه فالنارُ أولى به كما قال عمرُ رضي الله عنه. وإن الرجلَ ليتكلَّم الكلمةَ ما يتبيَّنُ فيها يزلُّ فيها في النارِ أبعدَ ما بين المشرقِ والمغربِ كما أخبر بذلك المصطفىٰ ﷺ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنةِ نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٩٦)، والترمذي (٤/ ٥٢٣ ـ ح٢٤٠٧) وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من حديث حماد بن زيد، وقد رواه غير واحد عن حماد بن زيد ولم يرفعوه، والبيهقي في شعب الإيمان (٤/ ٢٤٤ ـ ح٤٩٤٥، ٤٩٤٦).

أمسـك عليك لسانك

الخطبة الثانية

الحمد للهِ يهدي إلى الطيبِ من القولِ ويهدي إلى صراطِ الحميدِ، أحمده سبحانه وأشكره. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أدبَّه ربُّه فأحسنَ تأديبَه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فـاتقـوا اللهَ أيهـا المسلمـون، واحفظـوا جوارِحكـم، وصـونـوا أنفسَكم عن سفيهِ الأقوالِ والأفعالِ.

واعلموا أنه لابد من التمييزِ بين مداراةِ السفهاءِ والإعراضِ عن الجاهلين، وبين إحقاقِ الحقِّ والردِّ على المبطلين.

فـالمـداراةُ والإعـراضُ تعنـي: ضبـطَ النفسِ أمـامَ استفـزازاتِ الجُهلاءِ، وكفَّها عن الاستثارةِ لعواملِ الغضبِ والثأرِ. أما إحقاقُ الحقِّ والردُّ على المبطلين: فهو دعوةٌ ومجادلةٌ بالتي هي أحسنُ، وإظهارٌ لعزةِ أهلِ الحقِّ، وتجنبٌ لبلادةِ النفسِ واستكانتُها. وهذا النوعُ مما يسوغُ الخوضُ فيه، بل قد يكون منه ما يحرمُ السكوتُ عليه. وهو بابٌ واسعٌ يشملُ الأمرُ بالمعروفِ والنهيَ عن المنكرِ، وتعليمَ الجاهلِ، وتنبيه الغافلِ، والدعوةِ إلى اللهِ، وذكرَه، وشُكرَه وفي كلِّ ذلك يقول سبحانه: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا

مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

ويقول سبحانه: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِن تُبْدُوا۟ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُوا۟ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾﴾ [النساء: ١٤٨ ـ ١٤٩].

وأمرٌ آخرُ أيها المسلمون لابد من التَّنَبُّهِ إليه في هذا المقام. ذلك أنه ينبغي للمؤمنين إذا ضمَّهم مجلسٌ ألا يخلوَ من ذكرِ اللهِ فإن نبيَّكم محمداً ﷺ يقول: **«ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرونَ اللهَ فيه إلا قاموا عن مثلِ جيفةِ حمارٍ وكان لهم حسرةٌ»**(١). أخرجه الإمام أحمد وأبوداود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولفظُ الترمذيِّ: **«ما جلسَ قومٌ مجلساً لم يذكروا اللهَ فيه ولم يصلوا على نبيِّهم ﷺ إلا كان عليهم تِرةً»**(٢).

ولهذه المجالس كفارةٌ أرشدَ إليها النبيُّ ﷺ في قولِه: من جلسَ مجلساً فكَثُرَ فيه لغَطُه فقال قبل أن يقومَ من مجلسِهِ: **«سبحانكَ اللهمَّ وبحمدِك أشهدُ ألا إله إلا أنت أستغفرُك وأتوبُ إليك إلا غُفِرَ له ما كان في مجلسِهِ ذلك»**(٣).

---

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٢٦٤ ـ ح٤٨٥٥)، وأحمد (٢/ ٣٨٩، ٥١٥، ٥٢٧)، والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤٠٣ ـ ح٥٤١).

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣٠ ـ ح٣٣٨٠) وقال: حديث حسن صحيح، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢١٠).

(٣) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٦٠، ٤٦١ ـ ح٣٤٣٣)، وقال: حديث حسن غريب صحيح، وأبوداود (٤/ ٢٦٤ ـ ح٤٨٥٧، ٤٨٥٨، ٤٨٥٩).

شـؤم المعاصـي

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الحليمِ التوابِ، غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، أحمده سبحانه وأشكره لم يزلْ بالمعروفِ معروفاً وبالكرمِ موصوفاً، يكشِفُ كرباً ويغفرُ ذنباً ويغيثُ ملهوفاً، يُرسلُ آياتِه ونذرَه، وما يرسلُ بالآياتِ إلا تخويفاً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بشر وأنذر وأرشد وحذر، وأوضح المحجة فلا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عباد اللهَ، وعظِّموا أمرَه واحذروا سخَطَه.

أيها الإخوةُ: لقد طغتْ النظرةُ الماديةُ على كثيرٍ من أبناءِ هذا العصرِ، فَضَعُفَ عندهم الربطُ بين الأسبابِ ومسبباتِها، ولم يدركوا العلاقةَ بين الأعمالِ وآثارِها. نشأ في أوطانِ المسلمين فريقٌ تلبسوا بالشهواتِ فذهبوا في البطالةِ مكاناً بعيداً، وغلبت على فريقٍ آخرَ شبهاتٌ من الشرقِ والغربِ فضلّوا عن إدراكِ سننِ اللهِ وظنوا الشبهةَ حجةً، وحسبوا أعداءَ الله لا يقولون إلا صواباً ولا يعملون إلا حسناً، أو أنهم يحسنون صُنعاً.

يُقالُ هذا أيها المسلمون وعالمُ اليوم تسودُه أعاصيرُ مدمرةٌ

وفيضاناتٌ مغرقةٌ، وزلازلُ مهلكةٌ، يُضم إليها حروبٌ محرقةٌ لا تخمدُ نارُها.. كلَّما أُطفئتْ من جانبٍ أوقدتْ في جانبٍ.. مع أمراضٍ فتاكةٍ لم تكن في الأسلافِ، في الأنفسِ والزروعِ والبهائمِ. حوادثُ مروعةٌ، وانقساماتٌ مُفزعةٌ.

إن سننِ اللهِ عزَّ وجلَّ تأبىٰ أن تتركَ المجرمين من غيرِ قصاصٍ، فماذا ينتظرُ المقصرون؟!.

ليس من شرورٍ ولا بلاءٍ إلا وسببه الذنوبُ والمعاصي.

بالمعصيةِ تبدَّلَ إبليسُ بالإيمانِ كفراً، وبالقربِ بُعداً، وبالرحمةِ لعنةً، وبالجنةِ ناراً تلظىٰ.

عمَّ قومَ نوحٍ الغرقُ، وأهلكَتْ عاداً الريحُ العقيمُ، وأخذتْ ثمودَ الصيحةُ، وقُلبت على اللوطيةِ ديارُهم؛ فجعل اللهُ عاليها سافلها، وأمطرَ عليها حجارةً من سجيلٍ، فساء مطرُ المنذرين ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٤٠﴾ [العنكبوت: ٤٠].

إنها الحقيقةُ الصارخةُ ﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾. تلكم الذنوبُ، وتلكُم عواقبُها، وماهي عن الظالمين ببعيد.

ما ظهرتْ المعاصي في ديارٍ إلا أهلكتها، ولا تمكنتْ من قلوبٍ إلا أعمتْها، ولا فشتْ في أمةٍ إلا أذلَّتها؛ فلا تفارقُها حتى تدعَ الديارَ بلاقعَ(١).

---

(١) البلقع: الخالي من كل شيء.

أيها المسلمون: إن للمعاصي شؤمَها، ولها عواقبَها في النفس والأهـلِ.. فـي البَـرِّ والبحـرِ.. تَضِـلُّ بهـا الأهـواءُ، وتفُسـدُ بهاالأجواءُ.

بالمعاصي يهونُ العبدُ على ربِّه فيرفعُ مهابتَه من قلوبِ خلقِه: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

يقولُ الحسنُ رحمه اللهُ: «هانوا عليه فعصوه، ولو عزُّوا عليه لعصمهم».

أخرج الإمامُ أحمدُ في مسندِه عن عبدالرحمنِ بن جبيرِ بن نفيرٍ عن أبيه قال: لما فُتحتْ قبرصَ رأيتُ أباالدرداءِ جالساً وحده يبكي. فقلتَ: يا أباالدرداء ما يبكيكَ في يومٍ أعزَّ اللهُ فيه الإسلام وأهلَه؟ فقال: ويحك يا جبير؟ ما أهونَ الخلقِ على اللهِ إذا أضاعوا أمره.. بينما هي أمةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ لهم الملكُ تركوا أمرَ اللهِ فصاروا إلى ما ترى.

بسببِ الذنوبِ والآثامِ يكون الهمُّ والحزَنُ والعُقدُ النفسيةُ، إنها مصدرُ العجزِ والكسلِ، وفشوِ البطالةِ، ومن ثَمَّ يكونُ الجبنُ، والبخلُ، وغلبةُ الدينِ، وقهرُ الرجالِ.

بهـا تـزولُ النعمُ وتَحِلُ النقمُ، وتتحولُ العـافيـةُ، ويستجلبُ سخطُ الله. إذا ابتلي العبدُ بالمعاصي استوحشَ قلبُه، وضعفتْ بأهلِ الخيرِ والصلاحِ صلتُه، وجفاه الصالحون من أهلِه وأقاربه؛ حتى قال بعضُ السلفِ: «إني لأعصي اللهَ فأرىٰ ذلك في خُلُقِ امرأتي ودابتي».

ومن قارفَ المعاصي ولازمَها تولَّدَ في قلبِه الاستئناسُ بها

وقبولُها، ولا يزالُ كذلكَ حتى يذهبَ عنه استقباحُها، ثم يبدأُ بالمجاهرةِ بها وإعلانِها. وغالبُ هؤلاءِ لا يُعَافَونَ منها كما في الحديث: «**كلُّ أمتي معافىً إلا المجاهرين، وإن من المجاهرةِ أن يعملَ العبدُ بالليلِ عملاً ثم يصبحُ قد ستَرَه ربُّه، فيقولُ: يا فلانُ قد عملتُ البارحةَ كذا وكذا، وقد باتَ يستُرُه ربُّه فيصبحُ يكشفُ سِترَ اللهِ عليه**»[(١)]. ومن المجاهرةِ أن يتحدثَ التاجرُ إلى رفاقه بغشِّه في السِّلَعِ ويعدُّ ذلك مهارةً وكَيَاسةً، ومن المجاهرةَ أن يذكرَ الماجنُ مجونَه، وينشرَ الفاسقُ فسوقَه.

ومن المجاهرةِ تلك الصورُ الفاضحةُ والكلماتُ الخادشةُ للشرفِ والفضيلةِ، وهذا بابٌ من البلاء عريضٌ ولكثيرٍ من وسائلِ الإعلامِ منه نصيبٌ كبيرٌ.

ومن عِظَمِ البلايا ألا يحسَّ المعاقَبُ بالعقوبةِ، وأشدُّ منه أن يقعَ السرورُ بما هو بلاءٌ وعقوبةٌ، فيفرحُ بالمالِ الحرامِ، ويبتهجُ بالتمكنِ من الذنبِ، ويُسرُّ بالاستكثارِ من المعصيةِ، ومَنْ هذا حالُه متى يفوزُ بالطاعةِ؟! وإذا اشتدتْ مُلابَسةُ الذنوبِ للقلوبِ أفقدتْها الغيرةَ على الأهلِ والمحارمِ، فلا تستقبحُ قبيحاً ولا تُنكرُ منكراً. وكفىٰ بالديوثِ الذي يقرُّ الخبثَ في أهلِه مثلاً فهو من أخبثِ خلقِ اللهِ. الجنةُ عليه حرامٌ بنصِّ حديثِ رسولِ اللهِ ﷺ.

إن الذنبَ بعد الذنبِ يقطعُ طرقَ الطاعةِ، ويصدُّ عن سُبُلِ الخيراتِ، ومن ثَمَّ يقسو القلبُ، وتستحجرُ النفسُّ فيبتعدُ عن

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٥٠١ ـ ح٦٠٦٩) واللفظ له، ومسلم (٤/٢٢٩١ ـ ح٢٩٩٠).

التوبةِ النصوحِ. دليلُكَ في هذا أن كثيراً من أربابِ المعاصي تتحركُ بالتوبةِ ألسنتُهم وتنطقُ بالاستغفارِ أفواهُهم، أما قلوبُهم فمنكرةٌ؛ وعلى الموبقاتِ مصرةٌ وهذا من أعظمِ الأمراضِ.

أيها المؤمنون: لقد فشا في كثيرٍ من المجتمعاتِ الربا والزنا، وشُربتْ الخمورُ والمسكراتُ، وأُدمنتْ المخدراتُ.. كَثُر أكلُ الحرامِ، وتنوعتْ فيه الحيلُ، شهاداتٌ باطلةٌ، وأيمانٌ فاجرةٌ، وخصوماتٌ ظالمةٌ، ارتفعت أصواتُ المعازفِ والمزاميرِ، وفشت رذائلُ الأخلاقِ ومستقبحُ العاداتِ في البنينَ والبناتِ. فإلى متى الغفلةُ عن سننِ اللهِ؟ ونعوذ بالله من الأمنِ من مكرِ اللهِ. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال: ٥٣].

إن الأمةَ حين تَغْفَلُ عن سُنَنِ اللهِ فتغرقَ في شهواتِها وتضلَّ طريقَها فما هو إلا أن تقعَ في مصارعِ السوءِ. إنها سنةُ اللهِ حين تفشو المنكراتُ، وتقومُ الحياةُ على الذنوبِ والآثامِ. إن الانحلالَ الخلقيَّ، وفشوُّ الدعارةِ، وسلوكَ مسالكِ اللهوِ والترفِ؛ طريقٌ إلى عواقبِ السوءِ، إذ تترهلُ النفوسُ، وترتعُ في الفِسْقِ والمجانةِ، وتستهترُ بالقيمِ، وتهينُ الكراماتِ، وتَلَغُ في الأعراضِ والحرماتِ، فتنتشرُ الفواحشَ، وترخصُ القيمُ العاليةُ، فتتحللُ الأمةُ وتسترخي، وتفقدُ قوتَها وعناصرَ بقائِها، فتهلكَ وتُطوىٰ صفحتُها، ولا يهلكُ على اللهِ إلا هالكٌ.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله، فالحقُّ أبلجُ، فاعرفوا سننَ اللهِ، واحذوروا الأمنَ من مكرِ اللهِ.

اللهم أقلْ العثرةَ، واغفرْ الزلةَ، وجُدْ بحلمك على من لم يرجُ

غيرَك. اللهم تولَّنا برحمتِك، وجنبنا الفواحشَ ما ظهرَ منها وما بطنَ عن بلدنا هذا خاصةً وعن سائر بلاد المسلمين. يا ربَّ العالمين.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ
يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٤﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا
ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٥﴾ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾
أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟
مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

[الأعراف: ٩٤ـ ٩٩].

شـؤم المعاصـي

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ من تمسَّكَ بهديه قرَّبَه وأدناه، ومن خالفَ أمرَه أبعدَه وأقصاه، أحمدُه سبحانه لا يَذِلُّ من والاه ولا يعزُّ من عاداه.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، لا إله غيره ولا ربَّ سواه، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله اجتباه ربُّه واصطفاه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته واهتدى بهداه.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحذروا السيئاتِ واستكثروا من الحسناتِ. يقولُ عبدُ اللهِ بن عباسٍ رضي الله عنهما: «إن للحسنةِ ضياءً في الوجهِ، ونوراً في القلبِ، وسعةً في الرزقِ، وقوةً في البدنِ، ومحبةً في قلوبِ الخلقِ. وإن للسيئةِ سواداً في الوجه، وظلمةً في القلبِ، ووهْناً في البدنِ، ونقصاً في الرزقِ، وبُغْضةً في قلوبِ الخلقِ».

ويعدِّدُ شمسُ الدين الإمامُ ابنُ القيمِ رحمه الله الآثارَ المترتبةَ على تركِ المعاصي ذكر منها:

إقامةَ المروءةِ وصونَ العرضِ، وحفظَ الجاهِ، وصيانةَ المالِ، ومحبـةَ الخلـقِ، وصـلاحَ المعـاشِ، وطيـبَ النفـسِ، وانشـراحَ

الصدرِ، وقلةَ الهمِ والغمِ والحزَنِ، وعزَّ النفسِ، واحتمالَ الأذىٰ، وتيسيرَ الرزقِ، وتيسيرَ ما يتعسرُ، وتسهيلَ الطاعاتِ، والثناءَ الحسنِ، والمهابةَ في القلوبِ، وصِغرَ الدنيا في القلبِ، وذوقَ حلاوةِ الطاعةِ والإيمانِ. اهـ. كلامُه رحمه اللهُ.

فاحذورا رحمكم اللهُ احتقارَ الذنوبِ واستصغارَها، فكلَّما استعظمَ العبدُ الذنبَ صَغُرَ عند اللهِ، وكلَّما استصغره كَبُرَ عندَ اللهِ. ولقد قال بعضُ السلفِ: لا تنظرْ إلى صِغَرِ الخطيئةِ ولكن انظرْ إلى عِظَمِ من عصيتَ.

الأحقـاد وفنـاء الأمم

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ نعمُه لا تُعدُّ، وإحسانه لا يُحدُّ، أحمدُه سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، إليه المستندُ وعليه المعتمدُ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المبعوثُ للأحمرِ والأسودِ، صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله وأصحابه القدوةِ في سلامةِ الصدورِ وطهارةِ القلوبِ والخُلُقِ الأمجدِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأصلحوا ذاتَ بينِكم، وأطيعوا اللهَ ورسولَه إن كنتم مؤمنين.

معاشرَ الإخوةِ: أمةُ الإسلامِ في بنائِها تقومُ بعدَ ـ الإيمانِ باللهِ ـ على عواطفِ الحبِّ المشتركِ، والودِّ الصافي، والبعدِ عن الحقدِ الكنودِ: «**مثلُ المؤمنين في توادِّهم وتعاطفِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرِ الجسدِ بالسهرِ والحمىٰ**»[1].

---

(1) أخرجه البخاري (١٠/٤٥٣ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/١٩٩٩، ٢٠٠٠ ـ ح٢٥٨٦) واللفظ له.

أمةُ الإسلام موصوفةٌ في كتابِ ربِّها من بعد سلفِها الأخيارِ من المهاجرينَ والأنصارِ في قولِ اللهِ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

أيُّها الإخوةُ في الله: حين تعيشُ هذه الأمةُ معتصمةً بكتابِ ربِّها، مستمسكةً بهدي نبيِّها محمدٍ ﷺ، تعيشُ سليمةً قلوبُها، مُبرَّأةً من وساوس الضغينةِ نفوسُها، بعيدةً عن ثورانِ الأحقادِ صدورُها. إذا رأتْ نعمةً في بعضِ فئاتِها أو في قطرٍ من أقطارِها سادَها الرضا، وأحسَّتْ بفضلِ اللهِ على إخوانِها، واستشعرتْ فقرَ خلائقِ اللهِ إلى اللهِ وتمثَّل أفرادُها بالذكرِ المحمدي: «**اللهمَّ ما أصبحَ بي من نعمةٍ أو بأحدٍ من خلقِك فمنك وحدَك لا شريك لك فلك الحمدُ ولك الشكرُ**»[1] أخرجه أبوداود في سننه بإسناد جيد من حديث عبدالله بن غنام.

وإذا مسَّ طائفةً منها ضرٌ أو لِحقَ بها أذىٰ أصابَها الإشفاقُ والحزنُ، وسألتْ ربَّها تفريجَ الكروبِ وغفرانَ الذنوبِ، وتعلقتْ بالدعاءِ المأثورِ: «**اللهم رضِّنا بقضائك، وباركْ لنا فيما قُدِّرَ لنا حتى لا نحبَّ تعجيلَ ما أخرتَ ولا تأخيرَ ما عجَّلتَ**»[2] أخرجه

(١) أخرجه أبوداود (٤/ ٣١٨ ـ ح٥٠٧٣) واللفظ له، والنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة. انظر السنن الكبرى (٦/ ٥ ـ ح٩٨٣٥)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (٣/ ١٤٣ ـ ح٨٦١)، والبغوي في شرح السنة (٥/ ١١٥ ـ ح١٣٢٨).

(٢) أخرجه ابن السني (٣٥٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفي سنده عيسى بن ميمون الواسطي ضعيف جداً.

ابن السني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

تلك هي أمةُ الحقِّ مع إخوانِها وأصحابِها في سرائِها وضرائِها، أما إذا غلبتْ الشهواتُ والحظوظُ، وطغتْ الغفلةُ على البصائرِ، وصحِبَ ذلك إعراضٌ عن اللهِ والدارِ الآخرةِ وتحكَّمتْ فيها السياساتُ المقيتةُ، وصارَ التطلُّع عندها إلى المناصبِ والزعاماتِ المجردةِ والمآربِ الشخصيةِ.. مرجتْ عندها الأمورُ، وحلَّتْ الحزازاتُ، وانتشرتْ الفُرقةُ، وانتثرتْ أحزاباً وشيعاً، يذيقُ بعضُها بأسَ بعضٍ.

إن الأحقادَ والضغائنَ وطغيانَ المآربِ الشخصيةِ - يا عبادَ الله - أدواءٌ خطيرةٌ، وأمراضٌ فتاكةٌ، إذا فشتْ في الأمةِ كانت نذيرَ هلاكِها، وإذا دبَّتْ في جماعةٍ كانت سبيل فنائِها، إنها مصدرُ كل عداءٍ، ومَنبعُ كلِّ شقاءٍ، هي السلاحُ البتارُ الذي يضربُ بها الشيطانُ القلوبَ فيمزقُها، والجماعاتِ فيفرقُها، تغرسُ الضغينةَ، وتُنبتُ العداوةَ، وتولِّدُ النفورَ، وتُفسِدُ الودَّ، وتقتلعُ المحبةَ، هادمةُ الدنيا، وحالقةُ الدين.

معاشرَ المسلمين: قد ييأسُ الشيطانَ من إيقاعِ المسلم في الشركِ والوثنيةِ، ولكنه لا يعجزُ عن إبعادِه عن ربِّه بزرعِ أسبابِ النفرةِ في طويتِه حتى يكون أضلَّ من الوثني المخرِّفِ.. وسيلتُه في ذلك إيقادُ نيرانِ العداوةِ في القلوبِ، حتى إذا اشتعلتْ استمتعَ بها الشيطانُ برؤيتِها وهي تُحرقُ حاضرَ الأمةِ ومستقبلَها، وتلتهم علاقاتِ الودِّ بينها، وتدفنُ فضائِلها، وتمحوْ محاسنَها، وتجلبُ اليأسَ إلى قلوبِ أجيالِها: «**إن الشيطانَ قد يئسَ أن يعبَده المصلون في جزيرةِ العربِ ولكنه لم ييأسِ في التحريشِ بينهم**..»[1] رواه

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٦ - ح٢٨١٢)، والترمذي (٤/ ٢٩١ - ح١٩٣٧)، =

مسلمٌ في صحيحِه من حديثِ جابر رضي الله عنه.

وإذا تنافرَ الودُّ وتمكَّنَ الشرُّ عادَ الناسُ إلى حالِ القسوةِ والعنادِ، يقْطعون ما أمرَ اللهُ به أن يُوصلَ ويُفسدونَ في الأرض. وإن الإيمانَ ليتسربُ من القلبِ الحقودِ كما يتسربُ الماءُ من الإناءِ المثلومِ.

ومن هنا - يا عبادَ اللهِ - فإن الحقدَ والضغينةَ غليانٌ شيطانيٌّ، وهياجٌ إبليسيٌّ. سبقَ به الشيطانُ الحاقدينَ حين أخذَ على نفسه عهداً عند ربِّه ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦ - ١٧].

إن من دلائلِ الصَّغَارِ وخسةِ الطبعِ.. ترسُّبَ الغلِّ في أعماقِ النفس؛ فلا يخرجُ منها بل يظَلُّ يموجُ في جوانبِها كما يموجُ البركَانُ المكتومُ. وكثيرٌ من أصحابِ القلوبِ الحاقدةِ لا يستريحون إلا إذا أرغَوا وأزبَدوا، وآذوا وأفسدوا، وتلذذوا بنشرِ المعايبِ، وانبلجتْ أساريرُهم بإذاعةِ المثالبِ.

يقولُ علماؤنا رحمهم الله: «إن الغيظَ إذا كُظِمَ لعجزِ صاحبه عن الانتقامِ والتشفي رجعَ إلى الباطنِ فاحتقنَ فصارَ حقداً، وعلامتُه دوامَ البغضِ والنفورِ. فالحقدُ ثمرةُ الغضبِ، والحسدُ من نتائجِ الحقدِ، والحقدُ أصلُ الشرِّ، ومن أضمرَ الشرَّ في قلبه أنبتَ له نباتاً مُرَّ المذاقِ، نماؤه الغيظُ، وثمرتُه الندمُ».

= وابن ماجه (٢/ ١٠١٥ - ح٣٠٥٥)، وأحمد (٣/ ٣١٣، ٣٥٤).

ولتعلموا رحمكم الله أن من لوازمِ الحقدِ ومظاهرِ الحسدِ، سوءَ الظنِّ، وتتبعَ العوراتِ، والهمزَ، واللمزَ، وتعييرَ الناسِ، وشيوعَ السبابِ، والتعريضَ أو التصريحَ بالمعايبِ النفسيةِ والبدنيةِ. وإن الحاقدين ليجدون في الغيبةِ مُتنفساً لأحقادِهم المكظومةِ وصدورِهم الفقيرةِ إلى المحبةِ والودِّ والصفاءِ.

يودُّ الحاقدُ لو أصبحَ أهلُ النِّعمِ محرومين، ويتمنىٰ لو باتوا ضائعينَ مشردينَ. إن لم ينطقْ ذلك بلسانِه فلتعرفنَّه في لحنِ القولِ وشَزَرِ النظراتِ، إذا رأى في أخيه نعمةً بُهِت، وإذا علِم له عثرةً شَمِت، لا ينقطع غمُّه، ولا يستريحُ قلبُه، ولا تسكنُ ثائرتُه.. ساخطٌ على ربِّه وعلى الناسِ، مُعذَّبُ النفسِ، مُنغَّصُ البالِ، دائمُ الهمِّ.

ولعمرُ اللهِ إن تلمَّسَ العيوبِ وإلصاقَها بالناس دليلُ خبثِ الطويةِ ودناءةِ الهمَّةِ. وإن التَّلهي بسردِ الفضائحِ وكشفِ الستورِ وإبداءِ السوءاتِ من سيما الحاقدين وحِيَلِ العاجزين. وإن وسائلَ الإعلامِ في بعضِ بلادِ المسلمين تحمِلُ من هذا وزراً كبيراً، وإثماً عظيماً.

والطريقُ الصحيحُ والمسلكُ السويُّ ـ أيها الإخوة المسلمون ـ أن مَنْ سمعَ شيئاً من هذا فلا يوسِّعُ الخرقَ على الراقعِ. فربَّ كلمةِ شرٍ تموتُ في مكانِها لو تُركتْ حيثُ قيلتْ، ولربَّ مقالةِ سوءٍ أيقظتْ فتنةً وسعَّرَتْ حرباً، لأن غِراً من الأغرارِ نقلَها أو حاقداً سيءَ الطويةِ نفخَ فيها؛ فأصبحتْ ناراً تنقلُ الويلاتِ وتنشر الخطوبَ.

ولماذا كلُّ هذا يا أمةَ محمدٍ؟ لماذا كلُّ هذا يا أهلَ الإيمان؟ وقد قسَّمَ اللهُ الأرزاقَ بين خلقِه فوسَّع على أقوام، وقَدَرَ رزقَه على آخرين، رفعَ بعضَهم فوق بعضٍ درجاتٍ ليتخذَ بعضُهم بعضاً سُخرياً، ورحمةُ ربِّك خيرٌ مما يجمعون. هو سبحانه البصيرُ بخلقِه، المحيطُ بشئونِ مُلكِه، وتلك سنتُه في الأولين والآخرين، ولن تجدُ لسنةِ اللهِ تبديلاً، ولن تجد لسنةِ الله تحويلاً.

وقد حاولتْ دولةٌ ـ عُدَّتْ من عُظمىٰ دولِ هذا العصرِ ـ أن تَخرجَ على سنةِ اللهِ في قسمةِ الأرزاقِ، وتفاضلِ الأقواتِ؛ فكان مصيرُها الفشلَ والضعفَ والتمزقَ هي ومن يدورُ في فلكِها ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [النساء: ٥٣ ـ ٥٥].

ووردَ في الخبرِ: «إن لنعمِ اللهِ أعداءً. قيل: ومن أولئك؟ قال: الذين يحسُدونَ الناسَ على مَا آتاهُم اللهُ من فضلِه».

وكلَّما ازدادتْ النعمُ كثرُ الحسادُ وازداد الناقمون، وقد يسُهل أن تُرضي الساخطين، إلا الحسودُ فلا يرضيه إلا زوالُ النعمةِ.

ولكن من لطفِ اللهِ وحكمتِه أن المحسودَ محفوظٌ، لا يضرُّه حسَدُ الحاسدينَ، ونِعَمُه باقيةٌ لا تُزيلها ضغائنُ الحاقدين، واللهُ واهبُ النعمِ وسالبُها، وهو أحكمُ الحاكمين. ولو كانت النعمُ تزولُ بالحسَدِ لما بقى في الدنيا محسودٌ لأن كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ.

فاتقوا اللهَ يرحمْكُم، واعرفوا نعمَ اللهِ عليكم، واشكروها وأصلحوا ذاتَ بينكم، وتوجهَّوا إلى ربّكم، واسألوه من فضلِه، وكونوا عبادَ اللهِ إخواناً.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا۟ مَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بِهِۦ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُوا۟ ۖ وَلِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبْنَ ۚ وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٣٢﴾﴾ [النساء: ٣٢].

الأحقاد والمذبحة اليهودية في ساحة المسجد الأقصى

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ الواحدِ الأحدِ، الفردِ الصمدِ، لم يلدْ ولم يولدْ، ولم يكنْ له كفواً أحدٌ. أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأعوذ به من شرِّ النفاثاتِ في العُقدِ ومن شرِّ حاسدٍ إذا حسد، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه مبعوثُ الحنيفيةِ السمحةِ والنهجِ الأرشدِ.

صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

أيُّها الإخوةُ: لقد هانتْ هذه الأمةُ حين ظهرَ فيها تفرقُ الكلمةِ، واختلافُ الأغراضِ، وتجاذبُ الأهواءِ، لقد برزتْ فيها الأحقادُ.. شُغِلَ بعضُهم ببعضٍ، انقسموا إلى قومياتٍ، وتفرقوا في دويلاتٍ. لهم في عالمِ السياساتِ مذاهبُ، ولهم في الاقتصادياتِ مشاربُ، ولهم في شعابِ الدنيا وجُهاتٌ ومنازعُ. استولتْ عليهم الفُرقةُ، ووقعتْ عليهم الدَّبَرةُ[1]، بل نهشَ بعضُهم بعضاً، وسلبَ بعضُهم حقوقَ بعضٍ، حتى صيحَ بهم من كلِّ

---

(١) الدَّبرة: الهزيمة.

جانبٍ فانصرفوا عن قضاياهم الكبرى، واستغلَّ الأعداءُ هذه الأجواءَ فزادوا من وَقودِ هذه النارِ.

في هذه الأجواءِ المظلمةِ والأحوالِ القاتمةِ يزدادُ الصهاينةُ في مقدساتِنا عتواً وفساداً وتقتيلاً وتخريباً، يريدون في زعمِهم أن يبنوا هيكَلهم المزعومَ على أنقاضِ ثالثِ المسجدين الشريفين، ألا ساءَ ما يزعمون. كذَبوا وخسِئوا. . العزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين، والذلةُ والصغارُ والمسكنةُ لمن غضِبَ الله عليه ولعنَه وجعل منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطاغوتَ أولئك شرٌّ مكاناً وأضلُّ عن سواءِ السبيلِ.

أيها المسلمون: واللهِ ثم واللهِ لا عزَّ لهذه الأمةِ ولا جامعَ لكلمتِها إلا كتابُ اللهِ وسنةُ رسولِه محمدٍ ﷺ فكفىٰ بالنعراتِ فرقةً. كفوا عن العصبياتِ والتواءاتِ السياساتِ؛ فما زادتْ أصحابَها إلا خسارا وخبالاً. ليس بغيرِ دينِ اللهِ معتصمٌ؛ به العزُّ والمنعةُ، وعليه وحدَه تجتمعُ الكلمةُ. ولن يكونَ لهذه الأمةِ ذكرٌ ومجدٌ إلا به ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٣٤].

لقد تبيَّنَ لكلِّ ذي لبٍّ أن النزاعَ مع هؤلاء الصهاينةِ نزاعُ هويةٍ ومصيرٍ، وإن حقوقَ الأمةِ لن تُنال بمثلِ هذا الخورِ. لقد أوضحتْ الانتفاضةُ كما أوضحتْ أفغانستان أن الجهادَ في سبيلِ اللهِ هو السبيلُ الأقومُ والطريقُ الأمثلُ لأخذِ الحقِّ والاعترافِ به، وأيقنَ المسلمون أن رايةَ الدين إذا ارتفعتْ تصاغرتْ أمامَها كلُّ رايةٍ.

بالجهادِ تُردُّ عادياتِ الطغيانِ، ويكونُ الدينُ كلُّه للهِ، ويبقىٰ دينُ محمدٍ ﷺ مصدِقاً لما بين يديه من الحقِّ ومهيمناً عليه.

إن حقاً على أهلِ الإسلامِ أن تربيَهم التجاربُ والوقائعُ، وتصقلَهم الابتلاءاتُ والمحنُ. من الابتلاءِ ما جلبَ عزّاً، وخلَّدَ ذِكْراً، وكتبَ أجراً، وحفظَ حقاً.

كيف تحلو الحياةُ لمن يضيِّع ديارَه، وإذا ضاع الحمىٰ فهل بعد ذلك من خسارة؟ ولتعلموا أن الكفاحَ في طريقٍ مملوءٍ بالعقباتِ الكئودِ عند أصحابِ الحقِّ والكرامةِ والصرامةِ ألذُّ وأجملُ من القعودِ والتخلفِ من أجلِ راحةٍ ذليلةٍ وحياةٍ حقيرةٍ لا تليقُ بهمم الرجالِ المطالبين بالحقوقِ.

فاتقوا الله رحمكم الله، وتناصروا بدين اللهِ، وخذوا بعزائمِ الأمورِ، واعتصموا بإخوةِ الإسلامِ؛ فالولاءُ للهِ ولرسولِه ولدينِه.

هذا وصلوا وسلموا على نبي الرحمةِ والملحمة نبيكم محمد بن عبدالله فقد أمركم بذلك ربكم فقال عز من قائل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

اللهم وصلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأزواجه وذريته وارض اللهم عن الصحابة أجمعين والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وعنا معهم بعفوك وكرمك يا أكرم الأكرمين. اللهم أعز الإسلامِ والمسلمين واحم حوزة الدين.

الرفق والتيسير في التعامل

الخطبة الأولى

إن الحمد للهِ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونؤمنُ به، ونتوكلُ عليه، ونثني عليه الخيرَ كلَّه، نشكره ولا نكفره، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، أنزل كتابَه بالحقِّ هدىً للناسِ ورحمةً وشفاءً لما في الصدورِ، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمدَاً عبدُه ورسولُه.. دينُه رفقٌ ورحمةٌ وتيسيرٌ في جميعِ الأمورِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يومِ النشورِ.

أما بعدُ:

أيها المؤمنون: بعثَ اللهُ نبيَّه محمداً ﷺ رحمةً وهدىٰ، وَسِع خُلُقُه الناسَ سهولةً ورفقاً، ونضَحَتْ يداه بالعطايا كرماً وجوداً، أبرُّهم قلباً، وأصدقُهم لهجةً، وأقربُهم رُحْماً.

وإن من أخصِّ خصائصه وأكرم سجاياه.. أن لازمته تلك الفضائلُ الزاكيةُ والأخلاقُ العاليةُ في أشدِّ الأوقاتِ وأحلكِ الظروفِ. شُجَّ رأسُه وكُسِرتْ رَبَاعيتُه في غزوةِ أحدٍ فقيل له في هذا الحالِ العصيبِ: ألا تدعوا على المشركين؟ فما هو إلا أن

تدفَّقَ رِفْقُه، وطغتْ رحمتُه. وفاضتْ طبيعتُه العاليةُ، وسجيتُه الكريمةُ بما يلتمسُ فيه العذرَ لهؤلاءِ فكان مما قال: «**اللهمَّ اهد قومي فإنهم لا يعلمون**»(١). وفي مقام آخرَ: «**إنما بعثتُ رحمةً ولم أُبعثْ لعَّاناً**»(٢) وصدقَ اللهُ العظيمُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

أيها المسلمون: إنها القلوبُ الكبيرةُ قلَّما تستجيشُها دوافعُ القسوةِ عن التعقلِ والحلمِ. إنها إلى العفوِ والصفحِ أقربُ منها إلى الانتقامِ والبطشِ.

ها هو نوحٌ عليه السلام ـ أبو الأنبياءِ ـ يقول في مجادلته لقومه: ﴿يَـٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَـٰلَةٌ وَلَـٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٦١﴾ أُبَلِّغُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا۟ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [الأعراف: ٦١ ـ ٦٣].

إنه جوابٌ ملؤه الرحمةُ والشفقةُ، والصدقُ في النصحِ، واللطفُ في الخطابِ.

وليسَ بعد طغيانِ فرعونَ من طغيانٍ وقد قال اللهُ لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٩٣ ـ ح٣٤٧٧)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (٣/ ٢٥٤ ـ ح٩٧٣)، والطبراني في الكبير(٦/ ١٢٠ ـ ح٥٦٩٤) وقال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح انظر المجمع (٦/ ١١٧) وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أحمد (١/ ٣٨٠، ٤٢٧)،

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٧ ـ ح٩٩٥٢).

﴿لَعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣ ـ ٤٤].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن الرجلَ العظيمَ كلَّما ارتفع إلى آفاقِ الكمالِ.. اتَّسعَ صدرُه، وامتدَّ حِلْمُه، وتطلَّبَ للناسِ الأعذارَ، والتمسَ لأغلاطِهم المسوغاتِ. وأخذَهم بالأرفقِ من حالِهم. أخرجَ البخاريُّ في صحيحِه من حديث أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قال: «بالَ أعرابيٌّ في المسجدِ فقام إليه الناسُ ليقعوا به، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**دَعُوه لا تُزْرموه**[1]، **وأَهرِيقوا على بولِه ذَنُوباً من ماءٍ ـ أي دلواً من ماء ـ فإنما بُعِثْتُم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين وسكِّنوا ولا تنفِّروا**»[2] زاد الترمذيُّ: ثم قال الأعرابيُّ: اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحمْ معنا أحداً، فقال له النبيُّ ﷺ: «**لقد تحجرتْ واسعاً**»[3].

أولئك هم رسلُ اللهِ عليهم الصلاة والسلام عنوانُ الرحمةِ والشفقةِ والقدوةِ في الصفحِ والمغفرةِ.

إن حقاً على المسلمين أن يستصحبوا الرفقَ واللينَ في الأمرِ كلِّه من غيرِ مداهنةٍ ولا مجاملةٍ. ومن غيرِ غَمْطٍ ولا ظُلمٍ.

إن على الأبِ الشفيقِ والأمِّ الرؤم، وإن على الأزواجِ وأصحابِ المسئولياتِ أن يرفُقُوا بمن تحتَ أيديهم، لا يأخذون

---

(١) لا تزرموه: أي لا تقطعوا عليه بوله.
(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ٥٤١ ـ ح٦١٢٨)، ومسلم (١/ ٢٣٦، ٢٣٧ ـ ح٢٨٤، ٢٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٥٢ ـ ح٦٠١٠)، وأبوداود (١/ ١٠٣ ـ ح٣٨٠)، والترمذي (١/ ٢٧٦ ـ ح١٤٧).

إلا بحقٍ، ولا يدفعون إلا بالحسنىٰ، ولا يأمرون إلا بما يُستطاعُ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۝٧﴾ [الطلاق: ٧].

ما كان الرفقُ في شيء إلا زانَه، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلا شانه، وإن الله يعطي على الرفقِ ما لا يعطِي على العُنفِ، بذلك صحَّت الأخبارُ عن الصادقِ المصدوقِ ﷺ.

أمةَ الرحمةِ والهدى: إن العقلَ والحكمةَ والمعرفةَ بطبائعِ الأمورِ تقتضي تَقَبُّلَ الميسورِ من أخلاقِ الناسِ، والرضا بالظاهرِ من أحوالِهم، وعدمَ التقصي على سرائرِهم، أو تتبعَ دخائِلهم، كما تقتضي قبولَ أعذارِهم، والغضَّ عن هفواتِهم، وحملَهم على السلامةِ وحسنِ النيةِ. إذا وقعتْ هفوةٌ أو حصلتْ زلة فليس من الأدبِ وليس من الخُلُقِ الحسنِ المسارعةُ إلى هتكِها والتعجلُ في كشفِها فضلاً عن التحدُّثِ بها وإفشائِها.

بل لقد قيل: اجتهدوا في سترِ العصاةِ فإن ظهورَ معاصيهم عيبٌ في أهلِ الإسلامِ.

كيف يسوغُ لمسلمٍ أن يتشاغلَ بالبحثِ عن العيوبِ ورجمِ الناس بها؟ بل لعله قدْ يُخفِي ما يعلمُ من صالحِ القولِ والعملِ.

هل وظيفةُ المسلمِ أن يلوكَ أخطاءَ الناس ويتتبعَ عثراتِهم، ويعمىٰ أن يرىٰ حسناتِهم، وكأنه لا يعرفُ ولا يَرىٰ إلا كفَّةَ السيئاتِ؟ أليس في عيوبِه ما يَشْغلُه عن عيوبِ الناسِ؟!.

أيها المؤمنون: إن المسلمَ الناصحَ شفوقٌ بإخوانِه، رفيقٌ بهم، يحبُّ لهم الخيرَ كما يحبه لنفسِه، ويجتهدُ لهم في النصحِ كما يجتهدُ لنفسه.

أما الفظُّ القاسي صاحبُ القلبِ الغليظِ.. فقد قضتْ سنةُ الله.. نفرةَ الناس منه، فلا تُقْبلُ منه دعوةٌ، ولا يسمعُ منه توجيهٌ، ولا يرتاحُ له جليسٌ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وعلى قدرِ ما يُمسكُ الإنسانُ نفسَه، ويكظِمُ غيظَه، ويملِكُ لسانَه تَعْظُم منزلتُه عند اللهِ وعند الناسِ.

وعلى قدرِ ما يتجاوزُ عن الهفواتِ، ويُقيلُ من العثراتِ.. تدومُ مودتُه ويأنَسُ الناسُ به. إنكم لن تَسَعوا الناسَ بأموالِكم ولكن تسعوهم بأخلاقِكم. يَسعُهم منكم بسطُ المحيا وطلاقةُ الوجهِ.

إن المخلصَ في المودةِ الصادقَ في المحبةِ لا يري لنفسه فضلاً على غيرِه، ولا يكونُ عوناً للشيطانِ على صاحبِه. رُوي أن أباالدرداءِ رضي اللهُ عنه مرَّ على رجلٍ قد أصابَ ذنباً والناسُ يسبُّونه فقال: أرأيتُم لو وجدتموه في قَليبٍ - أي في بئرٍ - ألم تكونوا مستخرجيه؟ قالوا: بلى. قال: فلا تسبُّوا أخاكم، واحمدوا اللهَ الذي عافاكم.

فاتقوا اللهَ رحمكم الله وأَجِلُّوا أقرانكم، واحترموا زملاءكم وارحموا إخوانكم. واعرفوا لأَهلِ الفضلِ فضلَهم، وغُضُّوا عن المقصرين، والقلوبُ مجبولةٌ على حبِّ من أحسنَ إليها وتودَّد إليها. فاعفوا واصفحوا ألا تحبونَ أن يغفرَ الله لكم.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٦].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الرفق والتيسير في التعامل

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جعلَ لكلِّ شيءٍ قدْراً، وأحاطَ بكلِّ شيءٍ خُبراً، وأسبلَ على خلقِه بلطفِه رحمةً وسِتراً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن القسوةَ في القلوبِ، والغِلَظَ في الإخلاقِ قد تكون في الإنسانِ دليلاً على نقصٍ كبيرٍ، كما أنها في تاريخِ الأممِ قد تكون علائِم فسادٍ خطيرٍ. فلا عجَبَ أن حذَّر منها القرآنُ الكريمُ واعتبرها علةَ الفسقِ عن أمرِ الله، وسرِّ الشرودِ عن صراطِه المستقيم يقول سبحانه: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦].

أما إذا زادَ الإيمانُ في القلبِ وعُمِرَت النفسُ بذكرِ اللهِ.. ازدادت السماحةُ وازدادَ الحلمُ، واتسعَ الصدرُ للناس، فلا يقابَلُ الجاهلُ بمثلِ جهلِه ولكنه قولٌ سلامٌ وإعراضٌ عن اللغو ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥].

فاتقوا اللهَ ربَّكم وخذوا بأحسنِ الأخلاقِ، وأخلصوا في القولِ والعملِ، وتواصوا بالصبرِ وتواصوا بالمرحمةِ.

الابتلاءات في الدنيا

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ مزيلِ الهمِّ، وكاشفِ الغمِّ، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، فهو مولى النعمِ، وصارفُ النِّقمَ.

وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، ذو الشرفِ الأسنىٰ والخُلقِ الأعظمِ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه وباركَ وسلَّم.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: شرٌّ ما مُنِيَتْ به النفوسُ يأسٌ يُميتُ القلوبَ، وقُنوطٌ تُظلمُ به الدنيا وتتحطَّمُ معه الآمالُ.

إن في هذه الدنيا مصائبَ ورزايا ومحناً وبلايا، آلامٌ تضيقُ بها النفوسُ، ومزعجاتٌ تورثُ الخوفَ والجزعَ. كم ترىٰ من شاكي. وكم تسمعُ من لوام. يشكو علةً وسقَماً، أو حاجةً وفقراً. متبرمٌ من زوجِه وولدِه، لُوامٌ لأهلِه وعشيرتِه. تَرىٰ مَنْ كسَدَت تجارتُه وبارتْ صناعتُه، وآخرُ قد ضاعَ جهدُه ولم يُدْرِكْ مرامَه.

إن من العجائبِ أيها المؤمنون: أن ترى أشباهَ رجالٍ قد اتُخمَتْ بطونُها شِبعاً ورِيّاً، وترىٰ أولي عزمٍ ينامون على

الطَّوىٰ[1]. إن فيها من يتعاظمُ ويتعالىٰ حتى يتطاولَ على مقامِ الربوبيةِ والألوهيةِ، وفيها من يستشهدون دفاعاً عن الحقِّ وأهلِ الحقِّ.

تلك هي الدنيا، تُضحِكُ وتُبكي، وتَجْمعَ وتشتِتِ. شدةٌ ورخاءٌ، وسراءٌ وضراءٌ. دارُ غرورٍ لمن اغترَّ بها، وهي عبرةٌ لمن اعتبرَ بها. إنها دارُ صدقٍ لمن صدَقَها، وميدانُ عملٍ لمن عَملَ فيها ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾ [الحديد: ٢٣].

تتنوعُ فيها الابتلاءاتُ وألوانُ الفتنِ، ويُبتلىٰ أهلُها بالمتضاداتِ والمتبايناتِ ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

ولكنْ إذا استحكمتْ الأزماتُ، وترادفتْ الضوائقُ، فلا مخرجَ إلا بالإيمانِ باللهِ، والتوكلِ عليه، وحسنِ الصبرِ. ذلك هو النورُ العاصمُ من التخبطِ، وهو الدرعُ الواقي من اليأسِ والقنوطِ.

إن مَنْ آمن بالله، وعرفَ حقيقةَ دنياه؛ وطَّنَ نفسَه على احتمالِ المكارِه وواجَه الأعباءَ مهما ثَقُلَتْ، وحَسُنَ ظنُّه بربِّه، وأمَّل فيه جميلَ العواقبِ وكريمَ العوائدِ. كل ذلك بقلبٍ لا تشوبه ريبةٌ، ونفسٌ لا تُزعزعها كربةٌ، مستيقناً أن بوادرَ الصفوِ لابدَّ آتيةٌ ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران: ١٨٦].

إن أثقَال الحياةِ وشواغلَها لا يُطيقُ حَمْلَها الضعافُ المهازيلُ.

---

(١) الطوى: الجوع.

لا ينَهضُ بأعبائِها إلا العمالقةُ الصبَّارُون أولو العزمِ من الناسِ.. أصحابُ الهممِ العاليةِ.

«أشدُّ الناس بلاءً الأنبياءُ ثمَّ الأمثلُ فالأمثلُ يُبتلىٰ المرءُ على حسب دينِه»[1] حديثٌ أخرجَه الترمذيُّ وغيرُه، وقال الترمذيُّ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وأخرجَ أحمدُ وأبويعلى في مسندَيهما والطبرانيُّ في الكبيرِ والأوسطِ من معاجمه عن رسولِ الله ﷺ قال: **«إن العبدَ إذا سبقتْ له من اللهِ منزلةٌ فلم يَبلُغْها بعملٍ.. ابتلاه اللهُ في جَسَده أو مالِه أو ولدِه ثم صبرَ على ذلك.. حتى يبلغَ المنزلةَ التي سبقت لَه من اللهِ عزَّ وجلَّ»**[2].

أيها المؤمنون: كم من محنةٍ في طيها مِنَحٌ ورحَماتٌ. ها هو يعقوبُ بن إسحاقَ بنِ إبراهيمَ عليهم السلام يضربُ المثلَ في الرضا عن مولاه والصبرِ على ما يلقاه صبراً جميلاً، بعدَه صبرٌ أجملُ مع الأخذِ بالأسبابِ والقوةِ في الأملِ يقولُ لأبنائِه في حالِه الأولى: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝١٨﴾ [يوسف: ١٨].

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٠ ـ ح٢٣٩٨)، والنسائي في الكبرى (٤/ ٣٥٢ ـ ح٧٤٨١)، وابن ماجه (٢/ ١٣٣٤ ـ ح٤٠٢٣)، وأحمد (١/ ١٧٢، ١٧٤).

(٢) أخرجه أبوداود (٣/ ١٨٣ ـ ح٣٠٩٠)، وأحمد (٥/ ٢٧٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٣٧٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/ ٣١٨ ـ ح٨٠١)، وأبويعلى في مسنده (١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣ ـ ح٦٠٩٥)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (٧/ ١٦٩ ـ ح٢٩٠٨).

ثم يقولُ في الحال الثاني وهو أعظمُ أملاً، وبربِّه أكثرُ تعلقاً؛ ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾﴾ [يوسف: ٨٣].

كلُّ ذلك من هذا الشيخِ الكبيرِ صاحبِ القلبِ الوجيعِ، ثم يقول: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُوا۟ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [يوسف: ٨٦].

ويقينه وقوةِ رجائِه أن أمرَ أبناءه ﴿يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُوا۟ فَتَحَسَّسُوا۟ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَا۟يْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يَا۟يْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

إن المؤمنَ الواثقَ لا يفقدُ صفاءَ العقيدةِ ونورَ الإيمان.. إن هو فقدَ من صافياتِ الدنيا ما فقدَ.

أما الإنسانُ الجزوعُ فإن له من سوءِ الطبعِ ما ينفره من الصبرِ، ويضِّيقُ عليه مسالكَ الفرجِ إذا نزلتْ به نازلةٌ أو حلَّتْ به كارثةٌ.. ضاقتْ عليه الأرضُ بما رَحُبَتْ، وتعجَّلَ في الخروجِ متعلقاً بما لا يضرُّهُ ولا ينفعُهُ.

إن ضعفَ اليقينِ عند هؤلاءِ يصدُّهم عن الحقِّ ويُضِلُّهم عن الجادةِ، فيخضَعون ويَذِلُّون لغيرِ ربِّ الأربابِ ومسببِّ الأسبابِ، يتملقونَ العبيدَ ويتقلبونَ في أنوعِ الملقِ ويَكيلونَ من المديحِ والثناءِ ما يعلمونَ من أنفسِهم أنهم فيه كذبةٌ أفاكون، بل قد يرقىَ بهم تملُّقُهم المقيتُ أن يطَعنوا في الآخرين ويقعوا في البُرآءِ من المسلمين. إن أيَّ مخلوقٍ مهما بلغَ من عزٍّ أو منزلةٍ فلن يستطيعَ قطعَ رزقٍ، أو ردَّ مقدورٍ، أو انتقاصاً من أجلٍ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ

رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ. . ﴾ [الروم: ٤٠].

وفي حديثٍ عن أبي سعيدٍ مرفوعاً: **«إن من ضعفِ اليقين أن تُرضي الناسَ بسخطِ اللهِ، وأن تحمدَهم على رزقِ اللهِ، وأن تذمَّهم على ما لم يؤتِكَ اللهُ، إن رزقَ اللهِ لا يجرُّه حرصُ حريصٍ ولا تردُّه كراهيةُ كارهٍ، وإن اللهُ بحكمتِه جعلَ الرَّوْح والفرحَ في الرضىٰ واليقين، وجعل الهمَّ والحزَنَ في الشكِ والسخطِ»**[1].

إن من فقدَ الثقةَ بربِّه اضطربتْ نفسُه، وساءَ ظنِّه، وكثُرتْ همومُه، وضاقتْ عليه المسالكُ، وعجَزَ عن تحمُّلِ الشدائدِ، فلا ينظرُ إلا إلى مستقبلٍ أسودَ، ولا يترقبُ ألا الأملَ المظلمَ.

أيها الإخوةُ في الله: هذه هي حالُ الدنيا، وذلك هو مسلكُ الفريقينِ، فعلام الطمعُ والهلعُ؟ ولماذ الضجرُ والجزعُ؟!.

أيها المسلمُ: لا تتعلقْ بما لا يمكنُ الوصولُ إليه، ولا تحتقرْ من أظهرَ اللهُ فضلَك عليه، واستيقنْ أن اللهَ هو العالمُ بشئونِ خلقِه، يُعزُّ من يشاءُ ويُذلُّ من يشاء. يخفضُ ويرفعُ، ويعطي ويمنعُ، هو أغنىٰ وأقنىٰ، وهو أضحكَ وأبكىٰ، وهو أماتَ وأحيا.

إن المؤمنَ لا تُبْطِره نعمةٌ، ولا تُجْزِعه شدةٌ.

«إن أمرَ المؤمنِ كلَّه خيرٌ، إن أصابتْه سراءُ شكرَ فكان خيراً له، وإن أصابتْه ضراءُ صبرَ فكان خيراً له، ولا يكونُ ذلك إلا

---

(١) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٠٦/٥) واسناده ساقط فيه محمد بن مروان السدي متهم بالوضع.

لمؤمنٍ»[1]، بهذا صحَّ الخبرُ عن المصطفىٰ ﷺ.

فاتقوا الله يرحمْكُم اللهُ واصبروا، واثبُتوا، وأَمِّلُوا، واكْلَفُوا من العملِ ما تطيقون، ولا تطغيَنَّكمُ الصحةُ والثراءُ، والعزةُ والرخاءُ، ولا تضعفنَّكم الأحداثُ والشدائدُ ففرجُ الله آتٍ ورحمتِه قريبٌ من المحسنين.

اللهمَّ إنا نعوذ بِك من جَهْد البلاءِ، ودَرَكِ الشقاءِ، وسوءِ القضاءِ، وشماتةِ الأعداءِ، ونسألك خشيتَك في الغيبِ والشهادةِ، وكلمةَ الحقِّ في الغضبِ والرضا، والقصدَ في الفقرِ والغنىٰ. وأحسنْ اللهمَّ عاقبتَنا في الأمورِ كلِّها، وأجِرْنا من خزيِ الدنيا وعذابِ الآخرةِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿مَا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ [فاطر: ٢ ـ ٣].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه. إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٩٩٥ ـ ح٢٩٩٩).

الابتلاءات في الدنيا

الخطبة الثانية

الحمدُ لله جعلَ لكلِّ شيء قَدْراً، وأحاطَ بكلِّ شيء خُبرا، أحمده سبحانه وأشكره فنِعمُه علينا تترىٰ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله خُص بالمعجزاتِ الكبرى، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، واعلموا «أن عِظَم الجزاءِ مع عِظَمِ البلاءِ، وأن اللهَ إذا أحبَّ قوماً ابتلاهم فمن رضيَ فله الرضىٰ، ومن سخِطَ فعليه السخَطُ»[(١)]، «وإذا أرادَ الله بعبدِه الخيرَ عجَّلَ له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أرادَ بعبدِه الشرَّ أمسك عنه بذنبِه حتى يُوافيَ به يومَ القيامةِ»[(٢)]. بهذا جاءتْ الأخبارُ عن المصطفىٰ المختارِ ﷺ.

الابتلاءاتُ في هذه الدنيا مكفراتٌ للذنوبِ.. حاطةٌ للخطايا، تقتضي معرفتُها الإنابةَ إلى اللهِ، والإعراضَ عن خلقِه. وهي رحمةٌ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٥١٩ ـ ٢٣٩٦)، وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٢/١٣٣٨ ـ ح٤٠٣١)، وأحمد (٥/٤٢٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٤/٥١٩ ـ ح٢٣٩٦)، وقال: حديث حسن غريب.

وهُدىٰ وصلواتٌ من المولىٰ الكريم: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٧].

فاتقوا الله ربّكم وأحسنوا الظنَّ به، وأمِّلوا فيما عنده، واعملوا صالحاً، ثم صلوا وسلموا على البشير النذير.

من دروس الهجرة

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وحدَه، نصرَ عبدَه، وأعزَّ جنده، وهزمَ الأحزابَ وحدَه، أحمده سبحانه وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد إلا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدىٰ ودينِ الحقِّ. . صبرَ وصابَر، وجاهدَ وهاجر، حتى ارتفعتْ أعلامُ الدينِ وحقَّ القولُ على الكافرين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهار وأصحابه الأخيار من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وبادروا بالأعمالِ الصالحةِ، فالأعمارُ سريعةُ الذهابِ. . أيامٌ وشهورٌ، وأعوامٌ سريعةُ المرورِ.

عبادَ اللهِ ها أنتم في مقتبلِ عامٍ هجريٍّ جديدٍ، جعله اللهُ عامَ خيرٍ وبركةٍ وأمنٍ وأمانٍ، وجمعَ فيه كلمةَ المسلمين على الحقِّ، وأعزَّ الإسلامِ وأهلَه، يُستعذَبُ فيه الحديثُ عن السيرةِ النبويةِ والهجرةِ المحمديةِ.

إن سيرةَ محمدٍ ﷺ بكلِّ ما فيها من مواقفَ ووقائعَ، محلٌ لكلِّ تأملٍ، وحقٌ لكلِّ تدبُّرٍ. تأملٌ يحركُ القلوبَ، ويستثيرُ الهممَ، ويقودُ إلى العملِ، تدبرٌ يزيدُ في الإيمانِ، ويُزكِّي الخلقَ، ويقوِّمُ المسيرةَ.

ليستْ السيرةُ قصةً تُتلىٰ في مناسباتٍ، ولا هِيَ بابتداعِ صلواتٍ وتسبيحاتٍ من غيرِ نظرٍ في دليلٍ ولا أثرٍ، ليست تأليفَ مدائحَ، وصياغةَ نعوتٍ تقودُ إلى غلوٍ ممنوعٍ. إن الرباطَ بالمصطفىٰ ﷺ أقوىٰ وأعمقُ وأوثقُ من هذه الروابطِ الملفّقةِ.

وإن البصيرَ بمسيرةِ الأمةِ أيها الإخوة يدركُ أن المسلمين ما جنحوا إلى هذه التعبيراتِ، وركنوا إلى تلك الأساليب إلا حين تركوا اللُّبابَ، وأعياهم حِمْلُ المسئوليةِ، وأثقلَهم عِظَمُ الأمانة، فاكتفوا بالخفيفِ من المظاهرِ والرسومِ.

إن الحبَّ الصادقَ للحبيبِ محمدٍ ﷺ والتفانيَ المطلوبَ في الإقتداءِ يستدعي العزماتِ الصادقةِ في الاستمساك بالأصولِ والتعلقَ بالحقائقِ، وإصلاحَ كلِّ الشأنِ على سننِ النبيِّ ﷺ وهديه.. علماً وعملاً، عبادة وسلوكاً، حرباً وسلماً.

إن الحبَّ رخيصٌ حين يكون زَعماً وكلاماً، ولكنه غالٍ حين يكونُ عَملاً وإقداماً ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ [آل عمران: ٣١].

أيها الإخوةُ في الله: إن الهجرةَ أحدُ المواقفِ العظيمةِ في هذه السيرةِ المباركةِ، وإن لها لَخبراً، وإن فيها لعِبَرا، والمقامُ ليسَ مقامَ استيعابٍ في السردِ، ولا هو بالوقوفِ عند كلِّ عبرةٍ.

غير أن ما يؤكِّدُه درسُ الهجرةِ: أن الدينَ هو السياجُ الحامي لكلِّ حقٍ في الأنفس والأموالِ والأرضِ والحريةِ والكرامةِ، إذا حُفظَ الدينُ حُفظتْ النفسُ وحُفظَ المالُ، بصدقِ العقيدةِ تُحفَظُ الأرضُ ويحفظُ الأهلُ.

أيها الإخوةُ: تُهجرُ الأوطانُ، ويُضحَّىٰ بالنفوسِ والمُهَجِ والثرواتِ من أجل الحفاظِ على الإيمانِ.

إن درسَ الهجرةِ ليؤكِّدُ بكلِّ وضوحٍ وجلاءٍ أن التفريطَ في العقيدةِ مآله هلاكُ النفوس وخرابُ الديارِ. إذا فُقِد الدينُ فلن يغنيَ من بعده وطنٌ ولا مالٌ ولا أرضٌ.

إن من سننِ اللهِ الثابتةِ أن القُوىٰ المعنويةَ هي الحافظةُ للقوىٰ الماديةِ. العقيدةُ والأخلاقُ والتربيةُ القويمةُ هي الوسائلُ الصحيحةُ للحصولِ على المكاسبِ العليا والحفاظِ عليها.

إن العبرةَ في الهجرةِ تُقرِّرُ أن الأمةَ الصحيحةَ في عقيدتِها.. الطاهرةَ في أخلاقِها.. المستقيمةَ في تربيتِها.. يغدو سلطانُها أكثرَ تماسكاً وأقوى منعةً وأطولَ بقاءً. وإن كانت مضطربةً في عقيدتِها فقيرةً في أخلاقِها منحرفةً في نُظُمِها ومبادئِها فإنها في طريقِ الاضمحلالِ تسيرُ، ومكتسباتُها نحوَ الزوالِ تنحدرُ.

إنَّ الهجرةَ ليست هروباً من واقعٍ، ولا نكوصاً عن مسئوليةٍ.. إنها في ذاتِها مشقةٌ وأذىٰ، ماذا بعد مفارقةِ الأهلِ والأوطانِ؟ الإخراجُ من الديارِ هو قرينُ القتلِ في كتابِ اللهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا۟ مِن دِيَٰرِكُم مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِّنْهُمْ﴾ [النساء: ٦٦] والمصطفىٰ ﷺ يقولُ وهو يُخْرَجُ من مكةَ: «**والله إنك لأحبُّ البقاعِ إلى اللهِ ولولا أني أُخْرِجتُ منكِ ما خرجتُ..**»[١].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٦٧٩ ـ ح٣٩٢٥) وقال: حديث حسن غريب صحيح، والنسائي في الكبرى (٢/ ٤٧٩ ـ ح٤٢٥٢، ٤٢٥٣، ٤٢٥٤)، وابن ماجه (٢/ ١٠٣٧ ـ ح٣١٠٨)، وأحمد (٤/ ٣٠٥)، والدارمي (٢/ ١٥٦ ـ ح٢٥١٣).

إن الهجرةَ في غايتِها فرارٌ بالدين، وتلمسٌ لطُرُقِ النصرِ، وأملٌ في حصولِ الفرجِ، وسعيٌ إليه.

أيها الإخوةُ في الله: ولقد تحقَّقَ مقصودُ الهجرةِ المباركةِ.. فلئن بذلَ المهاجرون رضوانُ اللهِ عليهم مع رسولِ اللهِ ﷺ ما بذلوا من تضحيةٍ وفداءٍ وهَجْرٍ للأهلِ والأوطانِ والأموالِ فقد قابلهم إخوانُهم الأنصارُ رضي الله عنهم بإيثارٍ منقطعِ النظيرِ لم يشهدْ له التاريخُ من مثيلٍ. أنصارٌ تبؤوا الدارَ والإيمانَ يحبون من هاجرَ إليهم ولا يجدون في صدورِهم حاجةً مما أوتوا ويؤثرون على أنفسِهم ولو كان بهم خصاصةٌ.

لقد برزتْ أخوةُ الإسلامِ وآثارُ الإيمانِ بين المهاجرين والأنصارِ عقيدةً وسلوكاً. أُخوَّةٌ تسامَتْ فوقَها كلُّ الأغراضِ والمادياتِ.. كانت برهاناً صادقاً على العقيدةِ الصافيةِ الخالصةِ.. وبدونِ رباطِ العقيدةِ لا يتمُّ تآخٍ، ولا تأتلفُ قلوبٌ، وطلبُ ذلك من غيرِ هذا الطريقِ وهمٌ وسرابٌ فهل يدركُ ذلك المسلمون؟؟.

بل ما هان المسلمون أفراداً وأُمماً إلا حين ضعُفتْ أواصرُ الإخوةِ بينهم. وتنكَّر أحدُهم لصاحبِه؛ بل لعلَّه أن يُنتقصَ أمامَه فلا ينتصرُ له. وهل كانت الذلةُ إلا من هذا التخاذلِ؟؟.

إذا كان الأمرُ كذلك أيها الإخوةُ في اللهِ وإذا كانتْ هذه إلماحاتٍ لبعضِ دروسِ الهجرةِ وعِبرِها.. تضحيةً وفداءً وإيثاراً، فلتعلموا أن لكم إخوةً حلت بهم هذه الأيامَ كروبٌ ناءتْ بها كواهلُهم، ونزلتْ بهم كوارثُ دهمتْهم في ديارِهم ومنازِلهم. إنهم إخوانُكم في السودانِ الشقيقِ، لقد حلَّ بهم ما علمتُم من جَراءِ

الأمطارِ والسيولِ، عضَّتْهم نوائبُ، وحلَّتْ بهم مصائبُ.

ولقد وجَّه إليكم النداءَ وليُّ أمرِ هذه البلادِ حفظه الله من بعد نداءِ أخوَّةِ الإسلام يستنهضُ هِمَمَكم، فبادرَ مسئولون، واستجابَ موسرون، فجادوا بما جادوا تقبَّلَ اللهُ منا ومنهم، ولازال إخوانُكم بحاجةٍ، فاعرفوا نعمَ اللهِ عليكم، وقدِّموا لأنفسكم من غير مَنٍّ ولا أذىٰ، فلقد أنعمَ الله عليكم نِعماً عظميةً وآلاءً جسيمةً أمناً وصحةً ورخاءً. أطعمكَم من جوعٍ وآمنكم من خوفٍ.

وقد جاء في الخبرِ: «**إن للهِ أقواماً اختصهم بالنعم لمنافع العباد يقرهم فيها ما بذلوها، فإذا منعوها نزعها منهم فحولها إلى غيرِهم**»(١).

إن كروبَ الدنيا قد تُثْقِلُ الأعناقِ بل قد تدقُّها حتى يحارَ المكروبُ في أمرِه، ولكن يخففُ عنه الوطأةَ ويهوِّن عليه الشدةَ تضامنُ أخوتِه معه. فلا تتركوهم رحمكُم اللهُ يتجرعونَ غُصَص المحنِ والابتلاءاتِ. قفوا إلى جانبِهم وشدُّوا من أزرِهم.. احملوا العبءَ معهم: «**مثلُ المسلمين في توادِّهم وتعاطفِهم**

---

(١) أخرجه الهيثمي في كتاب مجمع الزوائد في زوائد المعجمين (٥/ ٢١١ - ح٢٩٣٩) وفي مجمع الزوائد قال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبوعثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٨/ ١٩٢). وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥ - ح١٦٩٢).

وتراحمِهم كمثلِ الجسدِ الواحدِ إذا اشتكىٰ منه عضوٌ تداعىٰ له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمىٰ»[1]. تألُّمٌ يدفعُ الضوائقُ، ويرفعُ كابوسَ المحنةِ عن المعوزين، ويسعىٰ في سدِّ خَلةِ المحتاجين. فمن كان له فضلُ زادٍ فليعدْ به على من لا زادَ له، ومن كان له فضلُ ظهرٍ ـ أي مركوبٍ ـ فليعدْ به على من لا ظهرَ له، ولا تحقِروا من المعروفِ شيئاً، فمن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ عن مسلمٍ كُربةً فرجَ اللهُ عنه من كُرَبِ يومِ القيامةِ.

استفتحوا عامَكم بالمبادرةِ إلى الخيرات، والسعيِ في سَدِّ الخَلاتِ، تَقبّلَ اللهُ منا ومنكم.

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [التغابن: ١٦ ـ ١٧].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسنة نبيه محمد ﷺ. أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/٤٥٢ ـ ح٦٠١١)، ومسلم (٤/١٩٩٩، ٢٠٠٠ ـ ح٢٥٨٥) واللفظ له.

من دروس الهجرة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ شرحَ صدورَ المؤمنين لطاعتِه، وسهَّلَ لهم سُبُلَ الخيرِ، وأعانَ على ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله أنزل عليه الكتابَ واصطفاه لرسالتِه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجِه وسيرتِه.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون، فإن خيرَ الزادِ التقوىٰ، فما هي إلا أعمارٌ تُطوىٰ وآجالٌ تفنىٰ. كم من مؤملٍ قَعدَ به أملُه، وكم من مسوِّفٍ عاجلَه أجلُه. فاجتهدوا في العملِ، وأحسنوا إن اللهَ يحبُّ المحسنين.

واعلموا أن أمامَكم أياماً فاضلةً كان نبيُّكم محمدٌ ﷺ يخصُّها بصيامٍ ويحثُّ علي صيامِها. إنها يومُ عاشوراءُ ويومٌ قبله أو يومٌ بعده. يقول عبدُاللهِ بن عباس رضي الله عنهما: «ما رأيتُ النبيَّ ﷺ يتحرىٰ صيامَ يوم فضَّلَه على غيرِه إلا هـذا اليومَ يومَ عاشوراء»[1]. وتقولُ أمُّ المؤمنين حفصةُ رضي الله عنها: «أربعٌ لم

---

(١) أخرجه البخاري (٤/ ٢٨٧ ـ ح٢٠٠٦)، ومسلم (٢/ ٧٩٧ ـ ح١١٣٢).

يكن يدَعَهنَّ النبيُّ ﷺ صيامَ يوم عاشوراءَ وعشرَ ذي الحجةِ وثلاثةَ أيامٍ من كلِّ شهر وركعتان قبلَ الفجرِ»(١) أخرجه النسائي.

ومن أرادَ صيامَ هذا اليومِ فليصمْ يوماً قبله أو يوماً بعدَه لما صحَّ في الخبرِ عنه ﷺ: «**صوموا يومَ عاشوراءَ، خالفوا اليهودَ، وصوموا يوماً قبلَه ويوماً بعدَه**»(٢) وفي رواية: «**أو يوماً بعده**»(٣).

فبادروا بالأعمالِ الطيبةِ وسارِعوا إلى مغفرةٍ من ربِّكم وجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ أُعدتْ للمتقين.

---

(١) أخرجه النسائي (٤/ ٢٢٠ ـ ح٢٤١٦)، وأحمد (٦/ ٢٨٧)، وأبويعلى في مسنده (١٢/ ٤٦٩، ٤٧٦، ٤٧٧ ـ ح٧٠٤١، ٧٠٤٨، ٧٠٤٩)، وابن حبان في صحيحه انظر الاحسان (١٤/ ٣٣٢، ٣٣٣ ـ ح٦٤٢٢).

(٢) أخرجه البيهقي (٤/ ٢٨٧) وقال الهيثمي: رواه أحمد والبزار وفيه محمد بن أبي ليلى وفيه كلام. انظر مجمع الزوائد (٣/ ١٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٢٤١).

مسرىٰ الرسول وأطفال الانتفاضة

الخطبة الأولى

الحمدُ لله باركَ المسجدَ الأقصىٰ وما حولَه، وأقصىٰ من استقصىٰ عنه وأذلَّه. أحمدُه سبحانه وأشكرُه وأتوبُ إليه وأستغفرُه وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له من استهدىٰ بغيرِ هديه أعماه وأضلَّه، وفرَّق عليه شملَه. وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه أسرىٰ به من المسجد الحرامِ إلى المسجدِ الأقصىٰ، وعُرِجَ به إلى السماءِ فرأى من آياتِ ربِّه ما رأىٰ، ما ضلَّ وما غوىٰ، وما نطقَ عن الهوىٰ. رفع ربُّه في العالمين ذكرَه فأعلاه وأَجلَّه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.. كانوا أشداءَ على الكفارِ وعلى المؤمنين أذلةً. والتابعين ومن تبعهم بإحسان. بدعوتِهم وجهادِهم تتحدُ الكلمةُ وتُحمىٰ الديارُ وترتفعُ أركانُ الملَّةِ.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: في ظلالِ العزةِ بلوغُ الأماني، وفي الدفاعِ عن حوزةِ الدين وحياضِ الإسلام المجدُ العالي، والحديثُ عن معجزاتِ المصطفىٰ ﷺ وأخبارِه تحبُّه النفوسُ المؤمنةُ، وتأنسُ به قلوبٌ بالإيمانِ مطمئنةٌ. انكشفتْ به الغمةُ، وانجلتْ به الظلمةُ، ودينُه عدلٌ ورحمةٌ.

ولكن هل يكفي الحديثُ والسردُ والتغني بالذكرِ العابرِ. لقد تشابكتْ بأمةِ الإسلامِ في هذه الأعصارِ حلقاتُ المحنِ، وتقاذفتْها أمواجُ الفتنِ، ليس لها بغيرِ هذا الدين معتصمٌ، به عزُّها، وعليه تجتمعُ كلمتُها، ولن يكونَ لها ذكرٌ بغيره: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ۝٤٤﴾ [الزخرف: ٤٤].

في هذه الظروفِ والأجواءِ يتحدثُ الناسُ عن المعراجِ والإسراءِ، كيف يطيبُ الحديثُ عن هذه المعجزةِ الكبرىٰ والمسجدُ الأقصىٰ محلُّ الذكرىٰ ومسرىٰ الحبيبِ المصطفىٰ عثا فيه يهودُ، وعثوا في الأرضِ المباركةِ من حولِه هدماً وتخريباً وتقتيلاً وتشريداً؟؟ كيف يحلو الحديثَ وكأن المسلمينَ لم تنزل بهم نازلةٌ، ولم تبكِ فيهم باكيةٌ، ولم تُستَلبْ منهم مقدسات؟!.

أيها الإخوةُ في الله: لقد طغىٰ الصهاينةُ وعَثوا وداسوا ولوَّثوا.. العزةُ للهِ ولرسولِه وللمؤمنين، والذلُّ والصغارُ والمسكنةُ لمن غضِبَ اللهُ عليه ولعنَه وجعلَ منهم القردةَ والخنازيرَ وعبدَ الطاغوتَ، نقضةُ العهودِ والمواثيقِ، يحرفون الكِلَم عن مواضعِه. سماعون للكذبِ أكالونَ للسحتِ، ملعونون على ألسنةِ أنبياءِ الله ورسلِه، يريدون في الأرضِ علواً وفساداً، يوغِلون فيها عتواً واستكباراً. إستعْدَوا أممَ الأرضِ ولم يكن لهم فيما اغتصبوه من حقٍّ، ولكن تآمرُ قوىٰ الكفرِ على أمةِ الإسلامِ تجزئةً وتقسيماً وتفرقةً وتدميراً.

ولقد أكدتْ الأحداثُ وأثبتتْ الوقائعُ أنهم لا ينصاعونَ لمساوماتٍ، ولا يَصْدُقون في محادثاتٍ. الخيانةُ خُلُقُهم،

والكذبُ مطيتُهم، والدسائسُ في السراديبِ المظلمةِ مسلكُهم.

أيها المؤمنونَ: هذا حالٌ من الذكرىٰ.

ولكن في وَسَطِ المدلَهمِّ من هذه الخطوبِ، وفي خِضَمِّ المعاناةِ، ومن أعماقِ بحرِ التيهِ بَرَقتْ بارقةٌ من أملٍ، فشبتْ ناشئةٌ من أطفالٍ وشبابٍ، في إرادةٍ قويةٍ مصممةٍ، معتصمةٍ بالله مستهديه بهديه ـ بإذن الله ـ تتجاوزُ صعابَ الطريقِ في إعدادٍ متواصلٍ، واستعدادٍ متكاملٍ، تتشابكُ فيها السواعدُ، وتتحدُ فيها الكتائبُ. إنها انتفاضةُ الأقصىٰ والأرضِ المباركةِ مِنْ حولِه، ثباتٌ وصبرٌ، وقوةٌ وتحملٌ، وتمسكٌ بالثوابتِ، وإصرارٌ على النصرِ والشهادةِ من أجلِ قمعِ الباطلِ وقلعِه.

لقد أعادتْ سواعدُ الأطفالَ للقضيةِ أهميتَها، وأحيتْ الآمالَ في النصرِ واستعادةِ الحقِّ. ومن الابتلاءِ ما جلبَ عِزاً وخلَّدَ ذِكراً وكَتبَ أجراً. يخرجُ الوليدُ ممسكاً بالحجارةِ فيقذفُ بيدِه الصغيرةِ مدرَّعةً أو سيارةً. وربَّ قذيفةٍ بحجرٍ خيرٌ من ألفِ قذيفةٍ من كلامٍ.

بأكُفِّهم الغضةِ دكَّوا حصوناً وقطعوا جسوراً. إن العصيَّ في أيدي الشيوخِ والعجائزِ قاومتْ مدرعاتِ الطغاةِ وآلياتِ الغاصبين. ارتفعتْ بهم الرؤوسُ، واعتزتْ بهم النفوسُ. إنهم بتلك الحجارةِ صنعوا هذه الانتفاضةَ الجبارةِ، استعرتْ الصخورُ لهيباً يحرقُ الأعداءَ ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾﴾ [الحشر: ١٣].

إنها أحجارٌ كريمةٌ أنبتتْ كرامةً كثُرَ عطاؤُها، وتوالتْ

تضحياتُها، شهداءُ وجرحىٰ ومطرودون وأسرى. كان هذا الشبابُ الغضُّ حطبَها الجزلَ، وكان الجهادُ الحقُّ حاديَها المسموعَ، ولسوفَ يحترقُ الغزاةُ والأعداءُ في سعيرِها مادامتْ معتصمةً بربِّها مستمسكةً بدينِه.

أمةَ الإسلام في مشارقِ الأرضِ ومغاربِها: وهذا حالٌ من الذكرىٰ آخرُ. لَقد تبينَ لكلِّ ذي لبٍّ أن النزاعَ مع هؤلاءِ الصهاينةِ نزاعُ هويةٍ ومصيرٍ، وأوضحتْ الانتفاضةُ كما أوضحتْ قبلَها ومعها أفغانستانُ المسلمةُ أن الجهادَ هو السبيلُ الأقومُ والطريقُ الأمثلُ لأخذِ الحقِّ والاعترافِ به. وأيقن المسلمون أنَّ رايةَ الدينِ إذا ارتفعتْ تصاغرتْ أمامَها كلُّ رايةٍ.

إنَّ حقاً على أهلِ الإسلام أن تربيَهم التجاربُ والوقائعُ، وتصقلَهم الابتلاءاتُ والمحنُ. إن الأمرَ كلَّه للهِ، بيدِه مصائرُ الأمورِ، وكلُّ شيءٍ يجري في طريقِه المرسوم حتى يبلغَ أجلَه المحتومَ، والموتُ أو القتلُ أمرٌ لا مفرَّ من ملاقاتِه في موعدٍ لا استقدامَ فيه ولا تأخيرَ، وكلُّ موعدٍ في هذه الدنيا قريبٌ، وكلُّ متاع فيها قليلٌ: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٧ ـ ٧٨].

كيف يكون حالُ أهلِ الإسلام حين يرضىٰ بالقعودِ أولو الطولِ والمقدرةِ ممن يملكونَ وسائلَ الجهادِ والبذلِ. لا يذودونَ عن حُرمةٍ، ولا ينتصرون لكرامةٍ، ولا يستشعرون صَغاراً ولا ذِلةً. وإن وراء حبِّ الدعةِ وإيثارِ السلامةِ سقوط الهمةِ وذلةَ النفسِ،

وانحناءَ الهامةِ والتنكصَ عن المواجهةِ.

وكيف تحلوُ الحياةُ لمن يضيِّعُ ديارَه، وإذا ضاعَ الحِمىٰ ذهبتْ كلُّ التضحياتِ خسارةً.

وإنه لكثيرٌ أولئك الذين يتساقطون في الطريقِ الصاعدِ إلى الآفاقِ الكريمةِ.. يضعفُون لطولِ الطريقِ، ويجبنون عند لقاءِ العدوِّ، فيتخلفون عن ركبِ العزةِ، ويُخْلِدون إلى الأرضِ، ويرضون بالمطالبِ الرخيصةِ، يعيشون على هامشِ الحياةِ، وقد يظنون أنهم حققوا مطالبَ، أو نالوا منافعَ وهم لم يدفعوا الثمنَ الغالي.. أما الثمنُ القليلُ فلا يُشترىٰ به إلا النزرُ الرخيصُ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

إن الكفاحَ في الطريقِ المملوءِ بالعقباتِ الكئودِ لدى ذي الجدِّ والكرامةِ ألذُّ وأجملُ من القعودِ والتخلفِ من أجلِ راحةٍ ذليلةٍ لا تليقُ بهمم الرجال.

أمةَ الجهادِ: هذا هو الحالُ وتلك هي الذكرىٰ.

فماذا جنى المسلمون من تركِ التناصرِ بالإسلامِ والأخذِ بعزائمِ الأمورِ؟ وماذا كسبوا من انحسارِهم في دعواتٍ إقليميةٍ ضيقةٍ وعنصريةٍ منتنةٍ؟ لقد ضاعوا وأضاعوا لا يجدون تجاوباً لقضاياهم العادلةِ، بل إنهم يرون إعراضاً عريضاً وتعتيماً مقيتاً، والأدهىٰ والأمرُّ أنهم يرون إجحافاً ووقوفاً مع الخصمِ وتغليباً لمصالحِ

إقليميةٍ محدودةٍ واعتباراتٍ عرقيةٍ جاهليةٍ. وفي كلِّ ذلك بعدٌ عن الولاءِ للهِ ولرسولِه ولدينِه. وتنكُّرٌ لأخوَّةِ الإسلامِ.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [تبارك: ٢٠].

اللهم ربَّنا عزَّ جارُك وجلَّ ثناؤك وتقدَّست أسماؤك.. اللهم لا يُردُّ أمرُك، ولا يُهزمُ جندُك سبحانك وبحمدِك.. اللهم انصرْ جندَك وأيِّدْهم في فلسطينِ وأفغانستانَ وفي كلِّ مكان، اللهم آمن خوفَهم، وفُكَّ أسرَهم، ووحِّدْ صفوفَهم، وحقِّق آمالنا وآمالَهم، اللهم احفظْ دينَهم، وعقيدتَهم، ودماءَهم، وانصرْهم على عدوِّك وعدوِّهم.

اللهم فرِّج همَّ المهمومين، وفكَّ أسرَ المأسورين وكنْ للأراملِ واليتامىٰ والمساكين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين. اللهم هذا الدعاءُ ومنك الإجابةُ.

وأقول قولي هذا ـ وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه.. إنه هو الغفور الرحيم.

مسرىٰ الرسول وأطفال الانتفاضة

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وعدَ المؤمنين الصادقين بالنصرِ والتمكينِ. أحمده سبحانه وأشكره وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له. القويُّ المتين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليلُه، وأمينُه على وحيه، قامت به الحجةُ، وارتفعتْ به الملةُ، وبلغَّ البلاغَ المبين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين وأصحابه الغزِّ الميامين، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يومِ الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا الله أيها المؤمنون، واعلموا أن أحسنَ الحديثِ كتابُ اللهِ، وخيرَ الهدي هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: على الرغم من ثبوتِ الإسراءِ والمعراجِ وشهرةِ ذلك في الكتابِ والسنةِ إلا أن تحديدَ وقتِ وقوعِه بالسنةِ أو الشهرِ أو اليومِ مما اختلف فيه أهلُ العلم ونقلةُ الأخبارِ والسيرِ اختلافاً كثيراً. وما كان هذا الاختلافُ على الرغمِ من شهرةِ الواقعةِ إلا لِما استقرَّ لدى الصحابةِ والسلفِ الصالحِ رضوانُ اللهُ عليهم من أن معرفةِ وقتِ حدوثِ مثلِ هذه الوقائعِ لا يترتبُ عليه

أمرٌ دينيٌ، إذ المقصودُ هو الاعتبارُ والتأسي، وهذا غيرٌ مرتبطٍ بزمنٍ.

فالمناسباتُ في تاريخِ الإسلامِ كثيرةٌ، وكلُّها أحداثٌ جِسامٌ، وانتصاراتٌ عظام، يفرحُ بها كلُّ مؤمنٍ، وينشرحُ لها صدرُ كلِّ مسلم من البعثةِ والهجرةِ والفتح، والغزواتِ الفاصلةِ في تاريخِ الإسلام كلِّه، في عهدِ النبي ﷺ وعهودِ أئمةِ الهُدىٰ من بعدِه. ولم يكَنْ من السنةِ أن تُتَّخذَ عيداً يتحراه الناسُ ليفعلوا فيه ما يفعلونَه تقرباً وتعبداً من غيرِ دليلٍ. وقد وقفتْ القرونُ المفضلةُ المشهودُ لها بالخيريةِ عند هذه الحدِّ فلم تكنْ تَعْمَدُ إلى إحياءِ ذكرىٰ الحوادثِ الإسلاميةِ ولم تتخذْ من الأيامِ المفضلةِ أعياداً تخصُّها بتجمعٍ أو عبادةٍ من غيرِ دليلٍ ولا مستندٍ، ولا شك قطعاً أن الخيرَ فيماً ذهبوا إليه، والصوابَ فيما وقفوا عنده، والاقتداءُ بهم فيه سلامةُ الدين يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ: «... **إنه من يعشْ منكم فسيرىٰ اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين المهديِّين تمسكوا بها وعَضُّوا عليها بالنواجذِ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإن كلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[1] رواه أبوداودَ والترمذيُّ وغيرُهما من حديثِ العرباضِ بن ساريةَ.

فاتقوا اللهَ يرحمْكُم اللهُ، وسيروا على ما سارَ عليه النهجُ الأولُ، فلن يَصْلُحَ آخرُ هذه الأمةِ إلا بما صَلَح به أولُها.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٣ ـ ح٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح، وأبوداود (٤/ ٢٠٠، ٢٠١ ـ ح٤٦٠٧)، وابن ماجه (١/ ١٥، ١٦ ـ ح٤٢).

غزوة تبوك وواقع الأمة

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ، نحمده، نستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا. من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه، بلَّغ الرسالةَ وأدىٰ الأمانةَ ونصحَ الأمةَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، فتقوىٰ اللهِ جِماعُ الخيراتِ، ومعدنُ البركاتِ.

عبادَ اللهِ: الحديثُ عن سيرةِ المصطفىٰ ﷺ حديثٌ تحبُّه النفوسُ المؤمنةُ وتأْنَسُ به قلوبٌ بالإيمانِ مطمئنةٌ، فحبُّه في شغافِ الأفئدةِ مغروسٌ، وتوقيرُه مشربةٌ به النفوسُ. بأبي هو وأمي ﷺ.

ولكن هل يكفي الحديثُ والسردُ، والتغنِّي بالذكرِ العابرِ؟ وهل يُجْدِي مثلُ هذا؟ وقد تشابكتْ بأمةِ الإسلامِ في هذه الأعصارِ حلقاتٌ من المحنِ، وتقاذفتها أمواجٌ من الفتنِ. وصِيْحَ بهم من كلِّ جانبٍ، وتداعىٰ عليهم الأكَلَةُ. في هذه الظروفِ

يتحدَّثُ الناسُ عن الإسراءِ والمعراجِ.

والحديثُ عن المناسبةِ والنظرِ في واقعِ الأمةِ ـ أوضاعٌ عالميةٌ متلاحقةٌ ـ يقتضي التذكيرَ بواقعةٍ جهاديةٍ من وقائعِ العهدِ النبويِّ الميمون.. مواقفُ نبويةٌ في صحبٍ كرامٍ.. في قضايا الأمةِ المهمةِ. إنها إحدىٰ وقائعِ رجبٍ في السنةِ التاسعةِ من الهجرةِ، تلكم هي غزوةُ تبوكَ. غزوةُ القوةِ والبلاءِ والعسرةِ.

معاشرَ المسلمين: استقرَّ الإسلامُ في الجزيرةِ، فُتحتْ مكةُ، وانطلقتْ الأنوارُ من الجبالِ والصحاري، أخذتْ الأفواجُ تِلوَ الأفواجِ تدخلُ في دينِ اللهِ، وتلاشتْ الوثنيةُ في بلادِ العربِ. تلقىٰ أعداءُ اللهِ من الرومِ وغيرِهم أنباءَ تلك الانتصاراتِ وما كانوا عنها غافلين. ومن ثَمَّ صاروا يَجْمعون جُموعَهم، ويمكرون مكرَهم، ويدُسُّون دسائسَهم وما أشبَه الحالَ ـ أيها الإخوةُ ـ بمواقفِ المعاصرين من أعداءِ اللهِ من التوجهاتِ الإسلاميةِ المباركةِ.

لقد كان بداياتُ التحرشِ بدولةِ الإسلام الفتيةِ في واقعةِ مؤتةَ، والتي كان سببُها قتلَ مبعوثِ رسولِ اللهِ ﷺ إلى عظيمِ بُصرىٰ. فقابلَ ثلاثةُ آلافٍ من المسلمين مائتي ألفٍ من الرومِ وأعوانِهم.

أيُّ عزةٍ هذه؟ وأيُّ قوةٍ تملأُ جوانحَ أتباعِ محمدٍ ﷺ ؟؟ إنها دولةُ الإسلامِ الناشئةُ تقفُ في وجهِ دولةِ الكفرِ مهما كانتْ عظَمَتُها.

إن مواجهةَ الأعداءِ لا يُشترَطُ فيها دائماً تكافؤُ القوىٰ الظاهريةِ بين المؤمنين وأعدائِهم. يكفي المؤمنينَ أن يُعِدُّوا ما استطاعوا من

القُوىٰ، وأن يثقوا باللهِ ثم يثبتُوا ويَصبروا. يقولُ عبدُاللهِ بنُ رواحةَ رضي الله عنه لأصحابِه في غزوةِ مؤتَة: «واللهِ ما نقاتلُ الناسَ بعددٍ ولا قوةٍ ولا كثرةٍ، وما نقاتلُهم إلا بهذا الدينِ الذي أكرمَنا اللهُ به. فانطلقوا فإنما هي إحدىٰ الحسنيين: إما ظهورٌ ـ أي انتصارٌ ـ وإما شهادةٌ».

وإن لكم أيها المسلمون في جهادِ أفغانستانَ ضدَّ دولةٌ عظمىٰ لشاهداً حاضراً، وأقرَّ اللهُ الأعينَ بأطفالِ الحجارةِ[1].

أيها الإخوةُ: لم يكن الأعداءُ ليركَنوا إلى السكونِ، ولم يكونوا ليصرِفوا أنظارَهم عن دولةِ محمدٍ ﷺ، لقد أجمَعوا أمرَهم وشركاءَهم، وأعملوا مكرَهم ودسائسَهم.

يقولُ عمرُ رضي الله عنه: كنا نتخوفُ ملكاً من ملوكِ غسانَ ذُكر لنا أنه يريدُ أن يسيرَ إلينا. فقد امتلأتْ صدورنا منه. وفي لفظٍ: كنا نتحدثُ أن آلَ غسان تنتعلُ النعالَ لغزونا.

وقد كان الأنباطُ الذي يَقْدَمون إلى المدينةِ من الشامِ يبيعونَ الزيتَ وغيرَه يُحدِّثون أن هِرقلَ قد هيأ جيشاً عظيماً قوامُه أربعونَ ألف مقاتلٍ، وأجلَبَ معه قبائلَ من مُتنَصِّرَةِ العربِ ورزَق جُندَه رَزْقَ سنةٍ أي صرفَ لهم مرتباتِ سنةٍ كاملةٍ.

هذه من أخبارِ مظاهرِ الاستعدادِ العسكريِّ.

أما المكرُ والدسائسُ فمنه ما انكشفَ من حالِ المنافقينَ ومسجدِ الضرارِ، وكرِ المؤامراتِ تفريقاً بين المؤمنين، وإرصاداً

---

(١) وهي المعروفة بالانتفاضة في الكفاح الفلسطيني.

لمن حاربَ اللهَ ورسولَه.

ومن الدسائسِ ما جاءَ في خبرِ كعبِ بن مالكٍ حين أمرَ النبيُّ ﷺ بهجرِه وهجرِ صاحبيه لما تخلّفوا عن الغزوةِ، فقد جاء كعباً كتابٌ من ملكِ الرومِ يقول فيه: أما بعدُ فإنه قد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعلْك اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مَضْيَعةٍ، فالْحقْ بنا نواسِكَ. قال كعبٌ فعلمتُ أن هذا من البلاءِ، فتيممتُ التنورَ فسَجَرتُها.

أمةَ الإسلامِ: هذا هو دَيدْنُ أعداءِ اللهِ في الغابرِ والحاضرِ في كلِّ زمانٍ وفي كلِّ مكانٍ يتحسسونَ الانباءَ ويترصدون المداخلَ. وكم من أقدامٍ في مثلِ هذا قد زلَّتْ، وكم من رجالٍ في مثل هذه الأوحالِ قد انزلقتْ. أما كعبٌ فيمَّمها التنورَ وسَجَرَها، وكم في الأمةِ من مثلِ كعبٍ؟؟.

معاشرَ الإخوةُ: بلغَ رسولَ اللهِ ﷺ تلك الاستعداداتُ والجموعُ فأمرَ بالخروجِ إليهم، ولم ينتظرْ حتى يُداهموا المدينةَ. فندبَ عليه الصلاةُ والسلامُ أصحابَه، وكان الوقتُ صيفاً بلغ فيه الحرُّ مداه، والناسُ في عُسْرٍ من العيشِ. وقد طابتْ ثمارُ المدينةِ، ولم يكنْ من عادتِه ﷺ إذا همَّ بغزوة إلا ورَّىٰ[1] بغيرِها إلا ما كان من هذه الغزوةِ، فقد أعلنها وبين وجهتَها ليتأهبُّوا أُهبتَهم ويأخذوا عُدَّتهم. فإنهم يستقبلون سفراً بعيداً ومفازاً شديداً وعدوّاً كثيراً.

لقد كان فيها من مظاهرِ الابتلاءِ والامتحانِ ما كشف سوءاتِ المنافقين، وتجلّىٰ به صدقُ الصادقين، وإيمانُ المؤمنين. تنزَّلتْ

(١) ورَّىٰ: من التورية وهي أن يذكر شيئاً يريد غيره.

فِي ذلك سورةٌ كاملةٌ من طِوَالِ السورِ تفضحُ المخلَّفين والقاعدين وتُشيدُ بجهادِ المجاهدينَ وفوزِ الطائعين.

لقد استجاب المؤمنون لنداءِ رسولِهم ﷺ، فجاء ذوو اليسارِ منهم بكثيرٍ مما عندهم، فعثمانُ رضي الله عنه جاءَ بثلاثمئةِ بعيرٍ بأحلاسِها وأقتابِها وبألفِ دينارٍ حتى قال رسولُ الله ﷺ: «**ما ضرَّ عثمان ما عملَ بعد اليوم**»[1].

وجاء أبوبكرٍ بمالِه كلِّه، وكان أربعةَ آلافِ درهم، وجاء عمرُ بنصفِ مالِه، وجاءَ عبدالرحمنِ بنُ عوفٍ بمئتي أوقيةٍ فضةً، وجاءَ العباسُ بمالٍ كثيرٍ، وتتابعَ الناسُ بصدقاتِهم قليلِها وكثيرِها حتى كان منهم من يأتي بالمدِّ والمدَّينِ من الطعام لا يستطيعُ غيرَها، وجاء النساءُ بما قدِرْن عليه من صدقاتٍ وحُليٍّ وخلاخلٍ وقُرُطٍ وخواتِمَ:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾ [التوبة: ٤١].

وكان نصيبُ المنافقين الاستهزاءَ واللمزَ ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة: ٧٩].

وجاءَ البكّاءون من المؤمنين يطلبون من رسولِ الله ﷺ ظهوراً يركبونَها فقال لهم: ﴿لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٨٥ ـ ح٣٧٠١) وقال: حديث حسن غريب، وأحمد (٥/ ٦٣).

لقد عانىٰ المسلمون في هذه الرحلةِ جهوداً شاقةً، وأتعاباً جسيمةً حتى كان الثلاثةُ يتعاقبون على بعيرٍ واحدٍ. . أصابَهم عطشٌ شديدٌ حتى نحروا بعضَ إبلِهم ليشربوا مما في بطونِها وربما أكلوا أوراقَ الشجرِ حتى تورَّمتْ شفاهُهم.

روى الأمامُ أحمدُ في مسنده عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنه قالَ: لما كانتْ غزوةُ تبوكَ أصابَ الناسَ مجاعةٌ فقالوا يا رسولَ اللهِ لو أذنتْ لنا فنحرنا نواضحَنا[1] فأكلْنا وادَّهنَّا فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**افعلوا**». فجاء عمرُ فقال يا رسولَ اللهِ: إنهم إنْ فعلوا قلَّ الظَّهرُ، ولكن ادعُهم بفضْلِ أزوادِهم، ثم ادعُ لهم بالبركةِ لعل اللهَ يجعلُ فيه ذلك. فدعا عليه الصلاةُ والسلامُ بِنِطْعٍ (أي بجلدٍ) فبسطَه، ثم دعاهم بفضلِ أزوادِهم فجعلَ الرجلُ يجيءُ بكفٍّ من الذرةِ والآخرُ بكفِّ التمرِ والآخرُ بالكسرةِ حتى اجتمعَ على النِّطعْ من ذلك شيءٌ يسيرٌ، ثم دعا عليه بالبركةِ ثم قال لهم: «**خذوا في أوعيتِكم**» قال فأخذوا في أوعيتِهم حتى ما تركوا من المعسكرِ وعاءً إلا ملأوا وأكلوا حتى شبعوا وفَضَلَتْ منه فضلةٌ. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أشهدُ ألا إله إلا اللهُ وأني رسولُ الله لا يَلْقىٰ اللهَ بها عبدٌ غيرُ شاكٍّ فتُحجبُ عنه الجنةُ**»[2].

ووصلَ النبيُّ ﷺ تبوكَ ومعه ثلاثون ألفاً من المسلمين ولكنَّه لم يلقَ كَيْداً، واندحرَ الرومُ إلى داخلِ ديارِهم وضربَ الجزيةَ على أهلِ تلكَ الديارِ، ثم رجعَ إلى المدينةِ فوصِلَ إليها في

---

(١) إي إبلنا.

(٢) أخرجه مسلم (١/٥٦ ـ ح٢٧)، وأحمد (٣/١١).

رمضانَ من السنةِ نفسِها.

تلك هي الغزوةُ ـ أيها الإخوةُ ـ والعِبَرُ فيها كثيرةٌ، والدروسُ منها عظيمةٌ.. والدرسُ الجامعُ في ذلك ـ والمسلمون يمرون بالظروفِ المعاصرةِ، والمتغيراتِ المتسارعةِ والدرسُ الجامعُ ـ أيها الإخوةُ ـ يكونُ من محرابِ الجهادِ.

من محرابِ الجهادِ تنطلقُ قوافلُ المجاهدين والشهداءِ، وبالجهادِ تُرَدُّ عادياتِ الطغيانِ فيكونَ الدينُ كلُّه للهِ.. جهادٌ بالمالِ، والنفسِ، وباللسانِ، والسِّنانِ، ويبقىٰ دينُ محمدٍ ﷺ مُصدِّقاً لما بين يديه من الحقِّ ومُهيمناً عليه.

كيف يكونُ حالُ أهلِ الإسلامِ حين يرضىٰ بالقعودِ أولو الطولِ والقادرون الذين يملكون وسائلَ الجهادِ والبذلِ؟ لا يذودون عن حرمةٍ، ولا ينتصرون لكرامةٍ، ولا يحسُّونَ بصَغَارٍ ولا ذلةٍ. كيف تحلوُ الحياةُ لمن يضيِّع ديارَه؟! ماذا جنى المسلمون من تركِ التناصرِ بالإسلامِ والأخذِ بعزائِم الأمور؟ ماذا كَسَبوا من انحسارِهم في دعواتٍ إقليميةٍ ضيقةٍ وعنصريةٍ منتنةٍ؟! لقد ضاعوا وأضاعوا والعالمُ يَتَّحِدُ من حولِهم. ماذا يُرجىٰ من أمةٍ فتكتْ بها أمراضُ النفاقِ والدعاوىٰ الجوفاءِ، عِلَلُ التعاظم الأجوف بالظهورِ المزورِ؟؟ ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾ [تبارك: ٢٠].

اللهم ربَّنا عزَّ جارُك وجلَّ ثناؤُك وتقدَّستْ أسماؤُك، اللهم لا يُردُّ أمرُك، ولا يُهزمُ جندُك، سبحانَك وبحمدِك، اللهمَّ انصرْ جندَك، وأيِّدهم في فلسطين وأفغانستانَ وفي كلِّ مكانٍ.

اللهمَّ آمنْ خوفَهم وفُكَّ أَسْرَهم ووحِّدْ صفوفَهم وحقِّقْ آمالَنا وآمالَهم، اللهم احفظْ دينَهم ودماءَهم، وانصرْهم على عدوك وعدوِّهم. اللهم فرِّجْ همَّ المهمومين، وفُكَّ أسرَ المأسورين، وكنْ للأراملِ واليتامىٰ والمساكين، واشفِ مرضانا ومرضىٰ المسلمين، اللهم هذا الدعاءُ ومنك الإجابةُ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة. فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

غزوة تبوك وواقع الأمة

الخطبة الثانية

الحمد للهِ باركَ المسجدَ الأقصىٰ وما حولَه، وأقصىٰ من استقصىٰ عنه وأذلَّه، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره.. من استهدى بغير هديه أعماه وأضلَّه وفرَّقَ عليه شملَه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه أَسرىٰ به من المسجدِ الحرامِ إلى المسجدِ الأقصىٰ، فما ضلَّ وما غوىٰ وما نطقَ عن الهوىٰ.. رفَع ذِكْرَه وأعلاه وأجَلَّه، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.. أشداءُ على الكفارِ وعلى المؤمنين أذلةٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان.. بدعوتِهم وجهادِهم تتحدُ الكلمةُ، وتُحمىٰ الديارُ وترتفع أركانُ الملَّةِ.

أمابعـدُ:

لقد بذلَ الأعداءُ جُهدَهم لصرفِ هذه الأمةِ عن دينِها، فأبعدوا أهلَ الإسلامِ عن كلِّ طريقٍ جادٍّ، ونفخوا في القومياتِ الإقليميةِ والنعراتِ الجاهليةِ، وقطَّعوا حبالَ الأُخوةِ الجامعةِ، وسَعَوا في إضعافِ العقائدِ والفضائلِ، وأغرقوا الميادينَ بالشهواتِ والشبهاتِ.

وما كانتْ قبلةُ المسلمين واحدةً إلا ليكون التوجُه كلُّه واحداً،

وما ارتفع الأذانُ من المآذنِ إلا ليرتفعَ صوتُ الحقِّ.

إن نكبةَ الأخِ امتحانٌ لمروءةِ أخيه، ومحنةَ شعبٍ من شعوبِ المسلمين امتحانٌ لضمائرِ المسلمين جميعاً: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥].

وما يتسلَّلُ العدوُّ إلا من خلالِ الصفوفِ المنافقةِ، ولا يكون عَدْوىٰ الضعفِ والخبالِ والتفرقةِ إلا من قبلِ أصحابِ المسالك الملتويةِ ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [التوبة: ٤٧].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وأَجْمِعُوا أمرَكم، وتفقَّدوا إخوانِكم، فلئنْ كان الأسلافُ فتحوا الأقاليمَ والممالكَ فافتحوا أيديَكم بالسخاءِ والبذلِ للمحتاجينَ من إخوانِكم في فلسطين وأفغانستانَ وكلِّ محتاجٍ.

موقف صدق

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ العزيزِ الغفارِ، مُقلِّبِ القلوبِ والأبصار، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، نعمُه تَتْرىٰ وفضلُه مدرارٌ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رفعَ الأغلالَ والآصارَ، وكشفَ بإذن ربِّه غشاوة البصائرِ، وقذىٰ الأبصارِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه المصطَفَيْنَ الأخيارِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وعظِّموا أمرَه واجتنبوا نهيَه.

أيها الإخوةُ: إن في الكتبِ لخَبَرا، وإن في السِّيَرِ لعِبَرا. قصةٌ من قَصَصِ المصطفىٰ ﷺ، موقفُ صدقٍ من مواقفِ الصَّحبِ البررةِ. قلمُ الكاتبِ ولسانُ الخطيبِ مهما أوتيا من براعةٍ أو حاولا من بلاغةٍ عاجزان عن وصفِ تلك الحادثةِ في محنتِها وابتلاءَاتِها، فيْ صدق رجالِها، وإيمانِ أصحابِها. فيها ابتلاءُ هجرِ الأقربين، وبلاءُ تزلُّفِ المناوئين. قصةٌ كلُّها عِبرٌ وعَبَرات.. مواقفُ الصدقِ والصبرِ في صحبِ محمدٍ ﷺ مثالُ المتانةِ في البناءِ والصفاءِ في العنصُرِ، وأنموذجُ الصدقِ في اللهجةِ، والإخلاصِ في الطاعةِ،

والقدوةِ في الصبرِ على البلاءِ، والشكرِ على السراءِ. إنها قصةُ الثلاثةِ الذين خُلِّفوا في غزوةِ تبوكَ حينَ ضاقتْ عليهم الأرضُ بما رحُبَتْ وضاقتْ عليهم أنفسُهم.

آياتٌ وأحداثٌ تذرِفُ منها الدموعُ، وتخشعُ لها القلوبُ. كان الأمامُ أحمدُ رحمه اللهُ لا يُبكيه شيءٌ من القرآنِ كما تُبكيه هذه الآياتُ، وحديثُ كعبِ بن مالكٍ في تفصيلِ أخبارِها.

أيها المسلمون: استنفرَ النبيُّ ﷺ المسلمين لملاقاةِ بني الأصفرِ حين بَلَغَه إعدادُهم للعدوانِ على أهلِ الإسلام. إنها دولةُ الرومِ - إحدىٰ أعظمِ دولتين في زمنِها - حين أحسَّتْ بعلوِّ شأنِ الإسلام في الجزيرةِ منبثقاً من بين جبالِها، منطلقاً من صَحاراها، فُتِحتْ مكةُ فأخذتْ الأفواجُ تلوَ الأفواجِ تدخلُ في دينِ اللهِ، فتحرَّكت الرومُ بعسكرِها وفكرِها ودسائسِها.

استنفرَ النبيُّ ﷺ الأصحابَ، فكان التهيؤُ في أيامٍ قائظةٍ، وظروفٍ قاسيةٍ.. في جهدٍ مضنٍ، ونفقاتٍ باهظةٍ. إنه جيشُ العسرةِ، وإنها لغزوةُ العسرةِ.

وصْفُها في كتابِ اللهِ استغرقَ آياتٍ طِوالاً.. في أنباءِ الطائعينَ والمثبِّطين، والمخلِصين والقاعدين. يجيءُ المعذِّروه ليؤذنَ لهم، ويتولَّى البكاءونَ بفيضِ دموعِهم حزَناً ألَّا يجدوا ما ينفقون.

اسمعوا رحمكم اللهُ إلى الوصفِ الصادقِ الدقيقِ لقصةِ الخطيئةِ والتوبةِ من كعبِ بن مالكٍ أحدِ الثلاثةِ، رضوان اللهُ عليهم وعلى الصحابةِ أجمعين.

والقصةُ مُثْبَتةٌ في الصحيحين وغيرِهما[1]. يقولُ كعبُ بن مالكٍ رضي الله عنه: «وكان من خبري حينَ تخلَّفتُ عن رسولِ الله ﷺ في غزوةِ تبوكَ أنِّي لم أكنْ قطُّ أقوىٰ ولا أيسرَ منِّي حين تخلَّفتُ عنه في تلك الغزوةِ. واللهِ ما جمعتُ قبلَها راحلتين قطُّ حتى جمعتُهما في تلك الغزوةِ. ولم يكنْ رسولُ الله ﷺ يريدُ غزوةً إلا ورَّىٰ بغيرِها حتى كانتْ تلك الغزوةِ فغزَاها رسولُ اللهِ ﷺ في حرٍّ شديدٍ، واستقبلَ سَفراً بعيداً ومفازاً، واستقبلَ عدداً كثيراً، فجلَّىٰ للمسلمين أمرَهم ليتأهبُّوا أهبةَ غزوِهم، فأخبرَهم بوَجْهِهِم الذي يريد، والمسلمون مع رسولِ اللهِ كثيرٌ.. فقلَّ رجلٌ يريدُ أن يتغيبَ إلا ظنَّ أن ذلك سيخفىٰ ما لم ينزلْ فيه وحيٌ من اللهِ. وغزا رسولُ اللهِ ﷺ تلك الغزوةَ حين طابتْ الثمارُ والظلالُ فأنا أصَعْرُ ـ أي أمْيلُ وأرْغبُ ـ فتجهَّزَ رسولُ اللهِ ﷺ والمسلمون معه، وطفقتُ أغدو لكي أتجهَّزَ معه فأرجعُ ولم أقضِ شيئاً.. فلم يزلْ ذلك يتمادىٰ بي حتى أسرعُوا وتفارَطَ الغزوُ، فهممتُ أن أرتحلَ فأُدْرِكُهم فياليتي فعلتُ».

أيها الإخوةُ: ويأخذُ الندمُ من كعبٍ مأخذَه، وتبلغُ المحاسبةُ مبلغَها فتراه يقول: «فطفقْتُ إذا خرجتُ في الناس بعد خروجِ رسولِ اللهِ ﷺ يُحزنُني أني لا أرىٰ لي أسوةً إلا رَجلاً مغموصاً عليه في النفاقِ أو رجلاً ممن عذرَ الله تعالىٰ في الضعفاءِ».

يستمرُّ رضي اللهُ عنه في سردِ القصةِ حتى قالَ: «... فلما

---

(1) أخرجه البخاري (٧/ ٧١٧ ـ ح٤٤١٨)، ومسلم (٤/ ٢١٢٠، ٢١٢١، ٢١٢٢ ـ ح٢٧٦٩).

بلغني أن رسولَ اللهِ ﷺ قد توجه قافلاً من تبوكَ حضرني بَثِّي - أي شدةُ الحزنِ - فَطَفِقْتُ أتذكرُ الكذبَ وأقولُ: بم أخرج من سخطِه غداً؟ وأستعينُ على ذلك بكلِّ ذي رأي من أهلي. فلما قيلَ إن رسولَ اللهِ ﷺ قد أَظلَّ قادماً راحَ عني الباطلُ حتى عرفتُ أني لم أنجُ منه بشيءٍ أبداً فأجمعتُ صِدْقَه».

وقدمَ رسولُ اللهِ ﷺ وجاءه المخلفون بأعذارِهم فقبلَ منهم، ووَكَلَ سرائرَهم إلى اللهِ. قال كعبٌ: «حتى جئتُ فلما سلمتُ تَبَسَّمَ تبسُّمَ المغضبِ، ثم قال: «**تعالَ**»، فجئتُ أمشي حتى جلستُ بين يديه فقال لي: «**ما خَلَّفك؟ ألم تكنْ قد ابتعتَ ظهراً - أي اشتريتَ مركوباً؟**» قال: قلتُ: يا رسولُ اللهِ إني لو جلستُ عند غيرِك من أهلِ الدنيا لرأيتُ أني سأخرجُ من سخطِه بعذرٍ؛ لقد أُعطيتُ جدَلاً، ولكنني والله لقد علمتُ لئن حدَّثْتُك اليومَ حديثَ كذبٍ ترضى به عنى ليوشكنَّ اللهُ يُسخِطُك عليَّ، وإن حدثْتُك حديثَ صدقٍ تجدُ عليَّ فيه إني لأرجو فيه عقبىٰ اللهِ عز وجل. والله ما كان لي من عذرٍ. واللهِ ما كنتُ قطُّ أقوىٰ ولا أيسرَ مني حين تخلفتُ عنك. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أما هذا فقد صدَقَ، فقم حتى يقضيَ اللهُ فيك**».

ثم جاء إلى كعبٍ رجالٌ من بني قومِه يراودونه الاعتذارَ كما اعتذرَ المخلفون، قال كعبٌ: فلا زالوا بي حتى هممتُ أن أرجعَ فأُكذِّبَ نفسي عند رسولِ اللهِ ﷺ حتى علمتُ بخبرِ الرجلينِ الآخرين مُرارةَ بنِ الربيعِ العَمْري وهلالِ بنِ أميةَ الواقفي وهما رجلان صالحان من أهلِ بدرٍ فيهما أسوةٌ، قال كعب: «ونهى رسولُ اللهِ ﷺ عن كلامِنا... فاجْتنبَنا الناسُ... حتى تنكَّرتْ لي

في نفسي الأرضُ فما هي بالأرضِ التي أعرفُ، فلبثنا خمسين ليلة. فأما صاحباي فاستكانا وقعدَا في بيوتهما يبكيان، وأما أنا فكنتُ أشبَّ القوم وأجْلَدَهم، فكنت أخرجُ فأشهدُ الصلاةَ مع المسلمين، وأطوفُ في الأسواقِ فلا يكلِّمُني أحدٌ. . ».

وطالتْ على كعبٍ الجفوةُ، وعَظُم الابتلاءُ وضاقتْ المسالكُ حتى قصدَ ابنَ عمِّه أباقتادةَ في حائطٍ له مُتَسوِّراً عليه الحائطَ فناشدَه مكرراً المناشدةَ: هل تعلمني أُحِبُّ اللهَ ورسولَه فكان الجواب: اللهُ ورسولُه أعلم، ففاضتْ عينا كعبٍ، ويشتدُّ البلاءُ فإذا هو بنَبَطِيٍّ من نبطِ الشامِ يسأل أهلَ السوقِ بالمدينةِ: مَنْ يَدُلُّ على كعبِ بن مالكٍ؟ قال كعبٌ: «فطَفِقَ الناسُ يشيرون له إليَّ حتى جاءني فدفعَ إليَّ كتاباً من ملكِ غسانَ. . . فقرأتُه فإذا فيه: أما بعدُ فإنه قد بلغنا أن صاحبَك قد جفاك، ولم يجعْلكَ اللهُ بدارِ هوانٍ ولا مضيعةٍ فالْحقْ بنا نواسِك. فقلت حين قرأتُها: وهذا أيضاً من البلاءِ فتيممتُ التنورَ فسَجَرْتُها».

أمةَ الإسلام: هذا هو ديدنُ أعداءِ اللهِ في الغابرِ والحاضرِ يتحسسونَ الأنباءَ ويترصدون المداخلَ. وكم من أقْدامٍ في مثلِ هذا قد زَلَّتْ، وكم من رجالٍ في مثلِ هذه الأوحالِ قد انزلقتْ. أما كعبٌ فيمَّم بها التنورَ وسَجَرهَا، ولا يزالُ البلاءُ به رضي الله عنه حتى جاءَه رسولُ من عندِ رسولِ الله ﷺ يأمرْه باعتزالِ امرأتِه.

وبعد خمسين ليلةً من الهَجْرِ والمقاطعةِ يقولُ كعبٌ: «فبينا أنا جالسٌ على الحالِ التي ذكرَ اللهُ تعالىٰ منا قد ضاقتْ عليَّ نفسي وضاقتْ عليَّ الأرض بما رَحُبَتْ. . . » تنزلُ التوبةُ وتأتي البُشرىٰ، بُشرىٰ حسنِ العُقْبىٰ، بشرى العودةِ إلى صفِّ المسلمين،

بشرى يركُضُ بها الفارسُ ويهتفُ بها الراكبُ، على مثلِها تكون التهاني، ولمثلِها تكون الخِلَعُ والجوائزُ.

يقولُ كعبٌ: «فلما جاءني الذي سمعتُ صوتَه يبشرُني نزعتُ له ثوبَيَّ فكسوتُهما إياه ببشراه، واللهِ ما أملكُ غيرَهما، واستعرتُ ثوبين فلبستهما، وانطلقتُ أتأمَّمُ رسولَ اللهِ ﷺ يتلقاني الناسُ فوجاً فوجاً يهنئونَني بالتوبةِ».. فلما سلمتُ على رسولِ اللهِ ﷺ قال وهويبرقُ وجهُه من السرورِ: «**أبشر بخيرِ يوم مرَّ عليك مُذْ ولدتْكَ أمُّك**» فقلت: أمن عندكَ يا رسولَ الله أم من عندِ اللهِ؟ قال: «**لا بلْ من عندِ اللهِ عزَّ وجلَّ**».

أمةَ الإسلامِ: هؤلاءِ هم رجالُ الصِّدْقِ، رجالُ محمدٍ ﷺ ... رجالٌ صدقوا ما عاهدوا اللهَ عليه.. خرجوا من مدرسةِ النبوةِ. صُدُقٌ في الحديثِ، وصُدُقٌ في الموقفِ.. صُبْرٌ عند اللقاءِ، واعترافٌ بالخطيئةِ، وقبولٌ في حالِ الرضا والغضبِ من غيرِ تنميقِ عباراتٍ لأجلِ تلفيقِ اعتذاراتٍ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٧ ـ ١١٩].

موقف صدق

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ فتحَ بابَ التوبةِ للمذنبين، ووعدَ بحُسْنِ العاقبةِ للصادقين، أحمده سبحانه وأشكره وأتوب إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له الملكُ الحقُّ المبين، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه وخليلُه إمامُ المتقين، وقائدُ الغرِّ المحجلين، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعدُ:

فلم تنته قصةُ كعبٍ بعدُ... لم تقفْ عند البشارةِ بالتوبةِ والتهنئةِ بالقبولِ. لقد جلسَ كعبٌ بين يدي رسولِ اللهِ ﷺ وقال: يا رسول الله؛ إن من توبتي أن أنْخَلِعَ من مالي صدقةً إلى اللهِ وإلى رسولِه، فقال عليه الصلاةُ والسلامُ: أمسِكْ عليك بعضَ مالِك فهو خيرٌ لك، فأمسَكَ سهمَه الذي بخيبر. وقال: يا رسولَ اللهِ؛ إن اللهَ تعالىٰ إنما أنجاني بالصدقِ، وإن من توبتي أن لا أحدِّثَ إلا صدْقاً ما بقيتُ. فوالله ما علمتُ أحداً من المسلمين أبلاه اللهُ تعالىٰ في صدقِ الحديثِ منذ ذكرتُ ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ أحسنَ مما أبلاني اللهُ تعالىٰ، والله ما تعمَّدْتُ كِذْبةً منذ قلتُ ذلك لرسولِ اللهِ ﷺ إلى يومي هذا. وإني لأرجو أن يحفَظني اللهُ تعالى فيما بقي... والله ما أنعمَ اللهُ علي من نعمةٍ قطُّ بعد إذ هداني الله

للإسلام أعظمُ في نفسي من صِدْقي رسولَ الله ﷺ أن لا أكون كذبتُه فأهلِكَ كما هلكَ الذين كذبوا. إن الله تعالىٰ قال للذين كذبوا حين أُنزلَ الوحيُ شرَّ ما قال لأحد. قال الله تعالىٰ: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥ ـ ٩٦].

فاتقوا الله أيها المسلمون، اتقوا الله وكونوا مع الصادقين، توبوا إلى ربِّكم واصْدُقوا، وقولوا قولاً سديداً يصلحْ لكم أعمالَكم، ويغفرْ لكم ذنوبكم ومن يطع اللهَ ورسولَه فقد فازَ فوزاً عظيماً.

بين يدي رمضان

الخطبة الأولى

الحمد للهِ ما تعاقبَ الجديدان وتكررت المواسمُ. أحمده سبحانه وأشكره شكرَ الصائم القائمِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيِّدَنا ونبيِّنا محمداً عبدُه ورسولُه حميدُ الشِّيَمِ وعظيمَ المكارم، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه كانوا على نهج الهدى معالمَ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

معـاشـرَ الإخـوة: تُطـوى الليـالـي والأيـامُ، وتنصـرمُ الشهـورُ والأعوامُ، فمن الناس من قضى نحبَه ومنهم من ينتظر، وإذا بلغ الكتابُ أجلَه فلا يستأخرونَ ساعةً ولا يستقدمون.

ومن يَعِشْ فإنه يرى حُلواً ومراً؛ فلا الحلُو دائمٌ، ولا المرُّ جاثمٌ، والليلُ والنهارُ متعاقبان، والآلام تكونُ من بعدِ زوالِها أحاديثَ وذِكرىٰ. ولا يبقى للإنسانِ إلا ما حمَلَه زاداً للحياةِ الأخرىٰ.

يشبُّ الصغيرُ، ويهرمُ الكبيرُ، وينظرُ المرءُ ما قدمت يداهُ، وكلٌّ يجري إلى أجلٍ مُسمىٰ.

قعدَتْ بالمؤملين آجالُهم عن بلوغِ آمالِهم. وَعَدُوا أنفسهم

بالصالحاتِ فعاجلَهم أمرُ الله. كلُّ الناس يغدو في أهدافٍ وآمالٍ ورغباتٍ وأماني، ولكن أين الحازمونَ وأين الكيسون؟؟.

أيها المسلمون: لقد أظلَّكم شهرٌ عظيمٌ مباركٌ كنتم قد وعدتُم أنفسَكم قبله أعواماً ومواسمَ، ولعل بعضاً قد أمَّلَ وسوَّفَ وقصَّر فها هو قد مُدَّ له في أجلِه وأُنسيءَ له في عمره فماذا عساه فاعلٌ؟؟.

إن بلوغَ رمضانَ نعمةٌ كبرىٰ، يقدِّرُها حقَّ قدرِها الصالحون المشمرون.

إن واجبَ الأحياءِ استشعارُ هذه النعمةِ واغتنامُ هذه الفرصةِ. إنها إن فاتتْ كانت حسرةً ما بعدها حسرة، أي خسارةٍ أعظمُ من أن يدخُلَ المرءُ فيمن عناهم المصطفىٰ ﷺ بحديثِه على منبرِه في مساءلةٍ بينه وبين جبريلَ الأمين: «**من أدركَ شهرَ رمضانَ فلم يُغْفرَ له فدخلَ النارَ فأبعدَه اللهُ قل آمين فقلت آمين**»[1].

من حُرِمَ المغفرةَ في شهرِ المغفرةِ فماذا يَرْتَجي؟؟.

إن بلوغَ الشهرِ أمنيةٌ كانت يتمناها نبيُّكم محمدٌ ﷺ ويسألُها ربَّه حتى كان يقول: «**اللهمَّ بارك لنا في رجبَ وشعبانَ وبلِّغنا رمضانَ**»[2].

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (ص٢٨٠ ـ ح٦٤٦)، وابن حبان انظر الاحسان (٣/ ١٨٨ ـ ح٩٠٧)، والترمذي (٥/ ٥١٤، ٥١٥ ـ ح٣٥٤٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب، والحاكم (٤/ ١٥٣، ١٥٤) وصححه ووافقه الذهبي، والطبراني (٢/ ٢٤٣، ٢٤٤ ـ ح٢٠٢٢)، وأحمد (٢/ ٢٥٤)، وقال الهيثمي: رواه الطبراني بأسانيد وأحدها حسن انظر المجمع (٨/ ١٣٩).

(٢) أخرجه عبدالله بن أحمد في المسند (١/ ٢٥٩)، والبزار انظر كشف الأستار (١/ ٤٥٧ ـ ح٩٦١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣/ ٣٧٥ ـ ح٣٨١٥) وقال الهيثمي: رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه زائدة بن أبي الرقاد وفيه كلام =

إن العملَ الجدَّ لا يكون على تمامِه ولا يقوم به صاحبُه على كمالِه إلا حينَ يتهيأ له تمامَ التهيؤِ، فيستثيرُ في النفسِ همَّتَها، ويحدوه الشوقُ بمحبةٍ صادقةٍ ورغبةٍ مخلصةٍ.

وفي مقامِ الاستقبالِ والترحيبِ بشهرِ رمضانَ المعظمِّ يقولُ عليه الصلاةُ والسلامُ مخاطباً أصحابَه وأمتَه من بعدهم: «**أتاكم رمضانُ سيدُّ الشهورِ فمرحباً به وأهلاً**»[1].

وفي حديثِ عبادةَ: «**أتاكم شهرُ رمضانُ، شهرُ بركةٍ، يغشاكم اللهُ فيه برحمتِه، ويحطُّ الخطايا، ويستجيبُ الدعاءَ. ينظرُ اللهُ إلى تنافُسِكم فيه ويباهي بكم ملائكتَه، فأَرُوْا اللهُ من أنفسِكم خيراً. فإنَّ الشقيَّ من حُرِم رحمةَ اللهِ**»[2].

في استقبالِ شهرِ الصومِ تجديدٌ لِطَيْفِ الذكرياتِ، وعهودِ الطُّهرِ والصفاءِ والعفةِ والنقاءِ.. ترفُّع عن مزالقِ الإثمِ والخطيئةِ. إنه شهرُ الطاعاتِ بأنواعِها؛ صيامٌ وقيامٌ، جودٌ وقرآنٌ، وصلواتٌ وإحسانٌ، تهجدٌ وتراويحٌ، وأذكارٌ وتسبيحٌ. له في نفوسِ الصالحين بهجةٌ، وفي قلوبِ المتعبدينَ فرحةٌ، وحسبُكُم في فضائِله أن أولَه رحمةٌ وأوسَطه مغفرةٌ وآخرَه عتقٌ من النارِ. رُبَّ ساعةِ قبولٍ أدركَتْ عبداً فبلغَ بها درجاتِ الرضىٰ والرضوانِ.

= وقد وُثق. انظر المجمع (٢/ ١٦٥، ٣/ ١٤٠).

(١) أخرجه البيهقي مرفوعاً في شعب الإيمان (٣/ ٣١٤ ـ ح٣٦٣٧) وقال: في اسناده ضعف، وأخرجه موقوفا على ابن مسعود (٣/ ٣١٥) وقال الهيثمي: رواه البزار وفيه يزيد بن عبدالملك النوفلي انظر المجمع (٣/ ١٤٠).

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الكبير وفيه محمد بن أبي قيس ولم أجد من ترجمه انظر المجمع (٣/ ١٤٢).

في الصيامِ تتجلى عند الصائمين القُوىٰ الإيمانيةُ، والعزائمُ التعبديةُ؛ يَدَعون ما يشتهون، ويصبرون على ما لا يشتهون. في الصيامِ يتجلىٰ في نفوسِ أهلِ الإيمانِ الانقيادُ لأوامرِ اللهِ، وهجرُ الرغائبِ والمشتهياتِ، يدَعَون رغائبَ حاضرةً لموعدِ غيبٍ لم يروه، إنه قيادٌ للشهواتِ وليس انقياداً لها.

في النفوسِ نوازعُ شهوةٍ وهوىٰ، وفي الصدورِ دوافعُ غضبٍ وانتقامٍ، وفي الحياةِ تقلُّبٌ في السراءِ والضراءِ، وفي دروبِ العمرِ خطوبٌ ومشاقٌّ، ولا يُدافَعُ ذلك إلا بالصبرِ والمصابرةِ، ولا يُتحمَّلُ العناءُ إلا بصدقِ المنهجِ وحسنِ المراقبةِ.

وما الصومُ إلا ترويضٌ للغرائزِ، وضبطٌ للنوازعِ، والناجحون ـ عند العقلاءِ ـ هم الذين يتجاوزون الصعابَ، ويتحملون التكاليفَ، ويصبرونَ في الشدائدِ. تَعْظُم النفوسُ، ويعلو أصحابُها حين تتركَ كثيراً من اللذائذِ، وتنفطمُ عن كثيرٍ من الرغائبِ، والراحةُ لا تُنالُ بالراحةِ، ولا يكونُ الوصولُ إلى المعالي إلا على جسورِ التعبِ والنصبِ، ومن طلبَ عظيماً خاطرَ بعظيمتِه[1]، وسلعةُ اللهِ غاليةٌ، وركوبُ الصعابِ هو السبيلُ إلى المجدِ العالي. . . والنفوسُ الكبارُ تتعبُ في مرادِها الأجسامُ.

إن عُبَّادَ المادةِ وأربابَ الهوىٰ يعيشون ليوم حاضرٍ. . يُطلقون لغرائزِهم العِنانَ. . إذا أحرزوا نصيباً طلبوا غيرَه. شهواتُهم مسعورةٌ، وأهواءُهم محمومةٌ، ونفوسُهم مأفونةٌ: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [الحجر: ٣].

---

(١) العظيمة: النفس والمهجة.

يجعلونَ مكاسبَهم وَقوداً لشهواتِهم وحطباً لملذاتِهم. ويومَ القيامةِ يتجرعون الغُصَّةَ: ﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [غافر: ٧٥].

وما فسدتْ أنظمةُ الدنيا إلا حينَ تولَّتْ عن توجيهاتِ الديانةِ وتعليماتِ الملةِ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ [محمد: ٢٢].

إنها الأنعامُ السوائبُ والضوالُّ من البهائمِ تفعلُ ما تحبُّ وتدعُ ما يضايقُها، لا تَنازُعَ عندها بين شهواتٍ وواجباتٍ.

وحينما يقودُ الإنسانَ رشدُهُ فإنه يُحْكِمُ رغائبَه، وإلا فهو إلى الدوابِّ أقربُ، بل إنه منها أضلُّ ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٣ ـ ٤٤].

ولعلكم بهذا أيها الإخوةُ تدركونَ أسراراً من التشريعِ في الصيامِ. فهو الضبطُ المُحكَمُ للشهواتِ، والاستعلاءُ على كثيرٍ من الرغباتِ. إنه زادُ الروحِ ومتاعُ القلبِ.. تسمو به هِمَمُ المؤمنين إلى ساحاتِ المقربين.. يرتفعُ به العبدُ عن الإخلادِ إلى الأرضِ ليكونَ أهلاً لجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرضُ.

عبادَ الله: جديرٌ بشهرٍ هذه بعضُ أسرارِه، وتلكَ بعضُ خِصاله أن يَفرحَ به المتعبدون، ويتنافسَ في خيراتِه المتنافسون.

أين هذا من أناسٍ استقبالُهم له تأفُّفٌ، وقدومُه عليهم عبوسٌ؟.

لقد هرم فيه أقوامٌ فزلتْ بهم أقدامٌ. اتبعوا أهواءَهم، فانتهكوا الحرماتِ، واجترأوا على المعاصي، فباءوا بالخسارِ والتبارِ.

في الناس من لا يعرفُ من رمضانَ إلا الموائدَ وصنوفَ المطاعمِ والمَشاربِ، يقضي نهارَه نائماً، ويقطِّعُ ليله هائماً. وفيهم مَنْ رمضانُه بيعٌ وشراءٌ، يشتغلُ به عن المسابقةِ إلى الخيراتِ، وشهودِ الصلواتِ في الجماعاتِ. فهل ترىٰ أضعفَ همةً وأبخسَ بضاعةً ممن أنعمَ اللهُ عليه بإدراكِ شهرِ المغفرةِ ثم لم يتعرضْ فيه للنفحاتِ؟؟.

أمةَ الصيامِ والقيام: اتقوا اللهَ؛ وأكرموا هذا الوافدَ العظيمَ، جاهدوا النفوسَ بالطاعاتِ. ابذلوا الفضلَ من أموالِكم في البرِّ والصلاتِ، استقبلوه بالتوبةِ الصادقةِ والرجوعِ إلى اللهِ. جدِّدوا العهدَ مع ربِّكم، وشدُّوا العزمَ على الاستقامةِ، فكم من مؤمِّلٍ بلوغَه أصبح رهينَ القبورِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٨٥].

بين يدي رمضان

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ جعلَ الصيامَ جُنَّةً، وسبباً موصلاً إلى الجنةِ، أحمد سبحانه وأشكره هدىً وَيسَّرَ فضلاً منه ومِنَّةً. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه.. جعلنا على أوضحِ محجةٍ وأقومِ سُنَّةٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه.. نفوسُهم بالإيمانِ مطمئنَّةٌ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ عبادَ الله، فها هو من طالتْ غيبتُه قد قَرُبَ، فيا غيومَ الغفلةِ تقشَّعي، ويا قلوبَ المشفقيـن اخْشعي، ويا جـوارحَ المتهجدين اسجُدي لربِّك واركعي، وبغيرِ جِنانِ الخلدِ أيها الهمُمُ العاليةُ لا تقنَعي.

طوبىٰ لمن أجابَ وأصابَ، وويل لمن طُرِدَ عن الباب.

ها هو الشهرُ الكريمُ يَحِلُّ بالساحاتِ، فاستعدوا واجتهدوا، فهي المواسمُ والفرصُ، فما أكرمَ اللهُ أمةً بمثلِ ما أكرمَ به أمة محمدٍ ﷺ. في هذا الشهرِ، ذنوبٌ مغفورةٌ، وعيوبٌ مستورةٌ، ومضاعفةٌ للأجورِ، وعتقٌ من النارِ.

يجوعُ الصائمُ وهو قادرٌ على الطعامِ، ويعاني من العطشِ وهو

قادرٌ على الشرابِ، لا رقيبَ عليه إلا اللهُ، يدعُ طعامَه وشرابَه وشهوتَه لأجلِ اللهِ تباركَ وتعالىٰ.

الألسنةُ صائمةٌ عن الرفثِ والجهلِ والصخبِ، والآذانُ معرضةٌ عن السماع المحرَّم، والأعينُ محفوظةٌ عن النظرِ المحظورِ، والقلوبُ كَافَّةٌ لا تَعزمُ على إثم أو خطيئةٍ. في النهارِ عملٌ وإتقانٌ. وفي الليلِ تهجدٌ وقُرآنٌ. صحةُ للأجسادِ، وتهذيبٌ للنفوس، وضبطٌ للإراداتِ، وإيقاظٌ لمشاعرِ الرحمةِ، وتدريبٌ على الَصبرِ والرضا، واستسلامٌ للهِ ربِّ العالمين.

فاجتهدوا رحمكم اللهُ واعرفوا لشهرِكم فضلَه، وأمِّلوا وأبشروا.

في ختام رمضان وبهجة العيد

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ وفَّقَ من شاءَ لطاعتِه فكان سعيُهم مشكوراً، ثم أجزلَ لهم العطاءَ والمثوبةَ فكان جزاؤُهم موفوراً. أحمده سبحانَه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفرُه إنه كان حليماً غفوراً. وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلَّىٰ وصامَ واجتهدَ في عبادةِ ربِّه حتى تفطرتْ قدماه؛ فكان عبداً شكوراً، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فحصيلةُ المؤمن في دنياه عمرٌ محدودٌ بالساعاتِ والثواني، وكسبُه المبذولُ رصيدٌ مدَّخرٌ بالأعمالِ المنجزاتِ من غيرِ كسلٍ أو تواني. يتقلَّبُ في عُمُرِ الحياةِ بقدرِ ما كُتِبَ له من فسحةٍ، ويكدحُ فيها لينالَ أكبرَ المغانمِ. ومدارُ السعادةِ في طولِ العُمُرِ وحسنِ العملِ. ومن كانتْ حصيلتُه ملأىٰ بالخيرِ من مختلفِ صنوفِه فليهنأْ وليستمسِكْ ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس: ٥٨].

وأما من كان غارقاً في الشهواتِ والنزواتِ؛ فقد طالَ عناؤُه، وعظُم شقاؤُه، ومن نوقشِ الحسابَ هلكَ.

ولقد كان من وافرِ حظِّ أمةِ الإسلامِ وعنوانِ سعادتِها وكرامةِ اللهِ

لها تهيئةُ فرصِ الكسبِ المبرورِ لصرفِ لحظاتِ العمُرِ وسويعاتِ الحياةِ في دروبِ الطاعاتِ ومسالكِ الخيراتِ.. سعيٌ حثيثٌ للتزودِ من الباقياتِ الصالحاتِ. ذلكم هو شهرُ الخيرِ والبرِّ، شهرُ رمضانُ، شهرُ هذه الأمةِ، نزلَ فيه كتابُها، وتحقَّق فيه كثيرٌ من انتصاراتِها، قطعَ اللهُ فيه دابرَ الوثنيةِ، وقوَّضَ بنيانَها، شهرُ صيامٍ وقيامٍ، وذكرٍ وتَبتُّلٍ، شهرُ عملٍ وجهادٍ، وجدٍّ واجتهادٍ، زادٌ لما بعده من الشهور، أخذٌ للعُدةِ في مستقبلِ الأيامِ. يجتهدُ فيه أقوامٌ جعلوا رضا اللهِ فوقَ أهوائِهم، وطاعتَه فوقَ رغباتِهم، أذعنوا لربِّهم في كلِّ صغيرٍ وكبيرٍ، يتوقُّون الذنوبَ ويخافونَها كما يخافونَ ألدَّ الأعداءِ.

من صامَ نهارَ هذا الشهرِ، وصلى ورداً من ليلِه، وقامَ بما افترضَ اللهُ عليه، وغضَّ بصرَه، وحفظَ سائرَ جوارِحه، وحافظَ على الجمعةِ والجماعةِ فقد صامَ الشهرَ، وعظُمَ رجاؤه بالفوزِ بجائزةِ الربِّ. أيُّ عقلٍ أو حزمٍ عند من يُدرك مواسمَ الفضلِ ثم لا يُنافسُ فيها؟؟ مسكينٌ كلَّ المسكنةِ مَنْ أدركَ هذا الموسمَ العظيمَ ثم لم يظفرْ من مغانمه بشيءٍ، ما حجبَه إلا الإهمالُ والكسلُ، والتسويفُ وطولُ الأملِ.

والأدهىٰ من ذلك والأَمرُّ أن يوفَّقَ أناسٌ لعملِ الطاعاتِ والتزودِ في فرصِ الخيراتِ حتى إذا ما انتهىٰ الموسمُ نَقَضوا ما أبرَموا، وعلى أعقابِهم نكَصوا، واستدبروا الطاعاتِ بالمعاصي، واستبدلوا الذي هو أدنىٰ بالذي هو خيرٌ. تلك هي النكسةُ المرديةُ، والخسارةُ الفادحةُ.

أين دروسُ الصلاحِ والطُّهرِ والاستقامةِ والتُّقىٰ من هذا الشهرِ

الكريمِ؟؟.

إن استدامةَ العبدِ على النهجِ المستقيم، والمداومةَ على الطاعةِ من غيرِ قَصْرٍ على وقتٍ معينٍ أو شهرٍ مخصوصٍ أو مكانٍ فاضلٍ من أعظمِ البراهينِ على القبولِ: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩] ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

نعم - أيها المؤمنون - هل رأيتُم أعظمَ مقتاً من الكسلِ بعدَ الجدِّ، والتواني بعد العزمِ، ولكنْ أشدُّ منه من تنكَّبَ السبيلَ فعادَ إلى حَمْأة[1] الصَبَواتِ[2] والهفواتِ، ومقارفةِ الآثام بعد إذ نجَّاه اللهُ منها، فيدخلَ في غمرةِ السهو ولُجةِ اللهوِ، ويغدو بعد الحزم والعزمِ متردياً في مهاوي الرَّدىٰ، وكأنه منفكٌّ من أسرٍ أو منطلقٌ من عقالٍ.

ألا فاتقوا اللهَ عبادَ الله، وأروه من أنفسِكم خيراً، فمن كان مُجِدَّاً فليزددْ، ومن كان مقصراً فليَقْصُرْ. من غلبَه هوىً أو تشاغَل بلهوٍ فليبادرْ بالتوبةِ النصوحِ، وليَعْظُمْ رجاؤُه بربِّه، فأبوابُ التوبةِ مشرعةٌ، ومولاه يناديه: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

وإنَّ من مظاهرِ الإحسانِ في خواتيمِ هذا الشهرِ الكريمِ وتوديعِه بحُسْنِ الختامِ إخراجَ زكاةِ الفطرِ، حيثُ تأتلفَ القلوبُ

---

(١) حَمْأة: كدر.
(٢) الصبوات: جمع صبوة وهي الانحراف.

ويتعاطفُ الغنيُّ مع الفقيرِ. فُرِضتْ طهرةً للصائم، وطُعْمةً للمساكين، وما اشتكىٰ فقيرٌ إلا بقدرِ ما قصَّرَ غنيٌّ. . ومقدارُها صاعٌ من طعامٍ من غالبِ قوتِ البلدِ كالأرزِ والبرِّ والتمرِ عن كلِّ مسلمٍ.

ووقتُ إخراجِها الفاضلُ يومُ العيدِ قبلَ الصلاةِ، ويجوزُ تقديمها قبلَ ذلك بيومٍ أو يومين.

فأخرجُوها رحمكم اللهُ طيبةَ بها نفوسُكم، تُكَفُّ بها يدُ المسكينِ عن الطلبِ، ويستغني بها من غيرِ مسألةٍ. ويشاركُ إخوانَه بهجةَ العيدِ، فالعيدُ موسمُ بهجةٍ بعد أداءِ الفريضةِ. . ابتهاجٌ بالتوفيقِ لأداءِ شهرِ الصومِ.

وقد قيلَ: من أرادَ معرفةَ أخلاقِ الأمةِ فليراقبْها في أعيادِها، إذ تنطلقُ فيه السجايا على فطرتِها، وتبرزُ العواطفُ والميولُ والعاداتُ على حقيقتِها. والمجتمعُ السعيدُ الصالحُ هو الذي تسمو أخلاقُه في العيدِ إلى أرفعِ ذروةٍ، وتمتدُّ فيه مشاعرُ الإخاءِ إلى أبعدِ مدىٰ، حيث يبدو في العيدِ متماسكاً متعاوناً متراحماً، تخفُقُ فيه القلوبُ بالحبِّ والودِّ والبرِّ والصفاءِ.

إن العيدَ في الإسلامِ ـ أيها الإخوةُ ـ غبطةٌ في الدينِ والطاعةِ، وبهجةٌ في الدنيا والحياةِ، ومظهرُ القوةِ والإخاءِ. إنه فرحةٌ بانتصارِ الإرادةِ الخيِّرةِ على الأهواءِ والشهواتِ، وبالخلاصِ من اغواءاتِ شياطينِ الإنس والجنِّ، والرضا بطاعةِ المولىٰ، والوعدِ الكريمِ بالفردوسِ والنجاةِ من النارِ.

في الناس ـ أيها الإخوةُ ـ من تطغىٰ عليه فرحةُ العيدِ فتستبدَّ بمشاعرِه ووُجْدانِه لدرجةٍ تنسيه واجبَ الشكرِ والاعترافِ بالنعمِ،

وتدفعُه إلى الزهوِّ بالجديدِ، والإعجابِ بالنفس حتى يبلغَ درجةِ المخيلةِ والتباهي والكبرِ والتعالي. وما علمَ هذا أن العيدَ قد يأتي على أناس قد ذلوا من بعدِ عزٍّ؛ فتهيجَ في نفوسِهم الأشجانُ، وتتحركَ في صدورِهم كثيرٌ من الأحزانِ.. ذاقوا من البؤس ألواناً بعد رغدِ العيشِ، وتجرعوا من العلقَم كيزاناً بعدَ وفرةِ النعيم. فاعتاضُوا عن الفرحةِ بالبكاءِ، وحلَّ محلَّ البهجةِ الأنينُ والعناءُ.

كم من يتيم ينشدُ عطفَ الأبوةِ الحانيةِ، ويتلمَّسَ حنانَ الأمِّ الرؤومِ، يرنو إلى من يمسحُ رأسَه ويخفِّفُ بؤسَه، كم من أرملةٍ توالتْ عليها المحنُ فقدتْ عشيرَها، تذكَّرتْ بالعيدِ عِزّاً قد مضىٰ تحت كنفِ زوجٍ عَطُوفٍ. كلُّ أولئك وأمثالُهم قد استبدلوا بعدَ العزِّ ذلاً، وبعدَ الرخاءِ والهناءِ فاقةً وفقراً.

فحقٌّ على كلِّ ذي نعمةٍ ممن صامَ وقامَ أن يتذكرَ هؤلاءِ فَيرَعىٰ اليتامىٰ، ويواسي الأيامىٰ، ويرحمَ أعزاءَ قومٍ قد ذلُّوا. كم هو جميلٌ أن تظهرَ أعيادُ الأمةِ بمظهرِ الواعي لأحوالِها وقضاياها، فلا تَحولُ بهجتُها بالعيدِ دونَ الشعورِ بمصائبِها التي يرزخُ تحتها فئامٌ من أبنائِها حيثُ يجبُ أن يطغىٰ الشعورُ بالإخاءِ قوياً، فلا تُنسىٰ أفغانستانُ ولا فلسطينُ وأراضي في المسلمين أخرىٰ منكوبةٌ بمجاهديها وشهدائِها، بيتاماها وأراملِها، بأطفالِها وأسرَاها. يستجدونَ أُممَ الأرضِ لقمةً أو كساءً وخيمةً وغطاءً وفي المسلمين أغنياءٌ وموسرون.

وكم هو جميلٌ كذلك أن يُقارنَ الاستعدادَ للعيدِ وفرحتِه وبهجتِه استعدادٌ لتفريجِ كُربةٍ، وملاطفةِ يتيمٍ، ومواساةِ ثَكلىٰ، يقارنُه تفتيشٌ عن أصحابِ الحوائجِ فإن لم تستطعْ خيلاً ولا مالاً؛

فأسعفْهم بكلمةٍ طيبةٍ، وابتسامةٍ حانيةٍ، ولفتةٍ طاهرةٍ من قلبٍ مؤمنٍ.

إنك حين تأسُو جراحَ إخوانِك إنما تأسو جِراحَك، وحين تَسدُّ حاجةَ جيرانك إنما تسدُّ حاجةَ نفسك ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٦].

أيها الإخوةُ في اللهِ: إن الابتهاجَ بالعيدِ نعمةٌ لا يستحقُّها إلا الشاكرون، وما الشكرُ عليها إلا صمودٌ لنوائبِ الدهرِ، ويقظةٌ لدسائسِ العدوِّ، وعمارةٌ للأرضِ بنشرِ دينِ اللهِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢].

اللهم فلكَ الحمدُ ولك الشكرُ بلَّغتنا رمضانَ فاقبلْه منَّا، وأَعِنَّا علىٰ ذكرِك وشُكرِك وحسنِ عبادتِك.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

في ختام رمضان وبهجة العيد

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريكَ له، له الحمدُ في الآخرةِ والأولى، وأشهدُ أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه، الرسولُ المصطفىٰ والنبيُّ المُجتبىٰ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأصفياءِ وأصحابِه الأتقياءِ، والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ، وسار على نهجِه واقتفىٰ.

أما بعـدُ:

أيها المؤمنون: فمن القلوبِ قلوبٌ معلقةٌ بربِّها.. منصرفةٌ إليه.. تعملُ بطاعتِه، وتبتغي مراضيَه، وتجتهدُ في ذكرِه وشكرِه وحسنِ عبادتِه على الدوامِ حتى قال قائلهم: «كل يومٍ لا يُعصىٰ اللهُ فيه فهو عيدٌ، وكلُّ يومٍ يُقَطِّعُه المؤمنُ في طاعةِ مولاه وذكرِه وشكرِه فهو عيدٌ».

ومن هنا أيُّها الإخوةُ فإن أعيادَ المسلمين يشاركُ فيها حقَّ المشاركةِ ويبتهجُ فيها صدقُ الابتهاجِ أهلُ الطاعاتِ من الصائمينَ والقائمينَ والركعِ السجودِ، أما من لم يصمْ عاصياً للهِ، ولم يقمْ بما أوجبَ الله عليه فلا عيدَ له ولا بهجةَ.

العيدُ مناسبةٌ لاطلاقِ الأيدي الخيِّرَةِ في مجالِ الخيرِ حيث تعلوُ

البسمةُ الشفاهَ وتغمُر البهجةُ القلوبَ.

مناسبةٌ لتجديدِ أواصرِ الرَّحمِ في الأقرباءِ، والودِّ مع الأصدقاءِ، تتقاربُ القلوبُ على المحبةِ، وتجتمعُ على الألفةِ وترتفعُ عن الضغائنِ.

فاتقوا الله أيها المؤمنون، وودِّعوا شهرَكم، وابتهجوا بعيدِكم؛ بالبقاءِ على العهدِ وإتباعِ الحسنةِ الحسنةَ؛ فذلك من علاماتِ قبولِ الطاعاتِ، وقد ندبَكم نبيُّكم محمدٌ ﷺ بأن تُتْبعوا رمضانَ ستاً من شوالٍ، فمن فعلَ ذلكَ فكأنمَّا صامَ الدهرَ كلَّه. تقبَّلَ اللهُ منا ومنكم الصيامَ والقيامَ وسائرَ الطاعاتِ، وأعادَ علينا وعلى أمةِ الإسلامِ هذا الشهرَ بالقبولِ والغفرانِ، والصحةِ والسلامِ، والأمنِ والأمانِ، وعزِّ الإسلامِ وارتفاعِ رايةِ الدينِ ودحْرِ أعداءِ الملةِ.

سلاح المؤمـن

الخطبة الأولى

الحمدُ لله ينيرُ البصائرَ، ويوقظُ الضمائرَ لا إله إلا هو الوليُّ الحميدُ، أحمده سبحانه وأشكرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له يدبِّرُ الأمرَ من السماءِ إلى الأرضِ وهو الحكيمُ الخبيرُ. وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله هدىً إلى الحقِّ وأوضحَ المحجةَ وأنقذَ من الضلالةِ صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

أيها المسلمون: لقد طغتْ المادياتُ على كثيرٍ من الخلقِ فتنكروا لربِّهم، ووهنتْ صلتهم به، وقَصَروا نظرَهم على الأسبابِ الظاهرةِ، وقد علموا أن للهِ فوق تدبيرِهم تدبيراً، وله من وراءِ وسائِلهم وأسبابِهم أمراً وتأثيراً. وحين حصلتْ هذه الغفلةُ ووهنتْ هـذه الصلـةُ سـادتْ مـوجـاتُ القلـقِ والاضطـرابِ، وعـمَّ الهلـعُ والخوفُ من المستقبلِ وعلى المستقبلِ، تخلَّوا عن ربِّهم فتخلى الله عنه ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ضعفتْ الصلةُ بنورِ اللهِ، وأُهْملَ جانبُ الروحِ، وحصلَ الذُّهولُ عن أدواءِ النفوسِ ومرققاتِ القلوبِ، فَضلَّت تلك الفئاتُ عن التوَجُّهِ إلى بارئِها مُنزِلِ السكينةِ وواهبِ الطمأنينةِ.

أيها الإخوةُ في اللهِ: ليستْ الحياةُ صورةَ اللحمِ والدم وامتلاءَ العضلاتِ، ولا باكتنازِ الجسمِ وقوةِ الحركاتِ، فهذه قوالبُ يشتركُ فيها بنو آدمَ مع السباعِ وبهيمةِ الأنعامِ. الحياةُ حياةُ القلوب، حياةُ الصلةِ باللهِ، والاستجابةُ لأوامرِه، والانزجارُ عن نواهيه: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

أما المقطوعون عن اللهِ البعيدون عن شرعِه فهم أهلُ الاضطرابِ والقلقِ والخوفِ والهلعِ على الحاضرِ وعلى المستقبلِ، فتراهم لا يتورعون عن قتلٍ ولا ختلٍ ولا إفكٍ ولا غشٍ قستْ قلوبُهم، ومرجتْ عهودُهم، وتزعزتْ نفوسُهم.

أيها الإخوةُ: لما رأى المتيقظون هؤلاءِ وهؤلاءِ، ورأوا سطوةَ الدنيا بأهلِها وخداعَ الأملِ لأربابِه، وتُمكُّنَ الشيطانِ، والانقيادَ لهوىٰ النفوس، لجأوا إلى حصنِ الإيمانِ وسلاحِ الدعاءِ، فرُّوا إلى جنابِ اللهِ، والتجأوا بحماه. لقد أدركوا أن الخلائقَ فقراءُ إلى اللهِ، هل من خالقٍ غيرُ اللهِ يرزقُكم من السماءِ والأرضِ!! ومن يهدي من أضلَ اللهُ!! من لم يتفضلْ اللهُ عليه بالهدايةِ والإيمانِ ومغفرةِ الذنوبِ فهو الهالكُ في الدنيا والآخرةِ.

ولقد أدركوا فيما أدركوا أن المَفْزَعَ في هذا الخضمِّ من الحيرةِ والتذبذبِ والخوفِ والقلقِ... لقد أدركوا أن المفزَعَ بعد الإيمانِ هو الدعاءُ، السلاحُ الذي يُستدْفَعُ به البلاءُ، ويُردُّ به شرُّ القضاءِ، وهل شيءُ أكرمُ على اللهِ من الدعاءِ؟ كيفَ واللهُ سبحانه يحبُّ ذلك من عبدِه وانطراحِه بين يديه، والتوجُّهِ بالشكوىٰ إليه، بل

أمرَ عباده بالدعاءِ ووعدَهم الإجابةَ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وفي الحديثِ القدسيِّ عند مسلمٍ وغيرِه عن أبي ذرٍ رضي الله عنه: «**يا عبادي كلُّكم ضالٌ إلا مَن هديتُه فاستهدوني أهدِكم. يا عبادي كلُّكم جائعٌ إلا من أطعمتُه فاستطعموني أطعمْكم. يا عبادي كلُّكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسوني أكسُكُم. يا عبادي إنكم تخطِئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغفرْ لكم**»[1].

لقد غفلَ عن هذا كثيرٌ ممن قَصَروا نظرَهم على المادياتِ، فكَلَّت[2] بصائرهم، وعَشَتْ[3] أبصارهم عن إدراكِ سننِ اللهِ سبحانه وعجيبِ صنعِه ولطيفِ أسرارِه.

أيها المسلمون: إن التضرعَ إلى اللهِ، وإظهارَ الحاجةِ إليه، والاعترافَ بالافتقارِ إليه من أعظمِ عُرىٰ الإيمانِ، وبرهانُ ذلك الدعاءُ والإلحاحُ في السؤالِ.

يقولُ أمير المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: إني لا أحملُ همَّ الإجابةِ ولكنْ أحملُ همَّ الدعاءِ فإذا ألهمتْ الدعاءَ علمتْ أن الإجابةَ معه. ويقولُ مطِّرفُ بن عبدِاللهِ: تفكرتُ في

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ح٢٥٧٧).

(٢) كلَّت: أي ضعفت.

(٣) عشت: ضعف إبصارها.

جماعِ الخيرِ، فإذا الخيرُ كثيرٌ، صيامٌ وصلاةٌ وغيرُها، وكلُّ ذلك بيدِ اللهِ... وأنت لا تقدرُ على ما في يدِ اللهِ إلا أن تسألَهُ فيُعطيكَ، فإذا جماعُ الخيرِ الدعاءِ. وفي صحيح الحاكمِ عن أنس رضي الله عنه مرفوعا: «**لا تعجَزوا عن الدعاءِ فإنه لن يهلَكَ معَ الدعاءِ أحدٌ**»(١).

ولقد زخرتْ كتبُ السنةِ بأنواعٍ من الدعاءِ تجعلُ المسلمَ في صلةٍ بربِّه، وحرزٍ من عدوِّه؛ يُقضَىٰ أمرُه، ويُكفىٰ همَّه. في كلِّ مناسبةٍ دعاءٌ، في اليقظةِ والمنامِ، والحركةِ، والسكونِ قياماً وقعوداً وعلى الجنوبِ، ابتهالٌ وتضرعٌ في كلِّ ما أهمَّ العبدَ، وهلْ إلى غيرِ اللهِ مفرٌّ! أم هل إلى غيرِه ملاذٌ؟؟.

دخلَ النبيُّ ﷺ المسجدَ ذاتَ يوم فرأىٰ فيه رجلاً من الأنصارِ يقال له أبوأمامةَ، فقال له النبيُّ ﷺ: «**إني أراك جالساً في المسجدِ في غيرِ وقتِ صلاةٍ**» قال: همومٌ لزمتني وديونٌ يا رسولَ الله. قال رسولُ اللهِ ﷺ: «**أفلا أعلمُك كلاماً إذا قلتَه أذهبَ اللهُ همَّك وقضىٰ عنك دينَك؟**» قلت: بلىٰ يا رسولَ الله قال: «**قل إذا أصبحتَ وإذا أمسيتَ اللهم إني أعوذ بِك من الهمِّ والحزَنِ، وأعوذ بك من العجزِ والكسلِ، وأعوذ بك من الجبنِ والبخلِ، وأعوذ بك من غلبةِ الدينِ وقهرِ الرجالِ**»، قال: ففعلتُ ذلك فأذهبَ الله تعالىٰ همِّي وغمِّي، وقضىٰ عني ديني»(٢) أخرجه أبوداودَ في سننِه من حديثِ أبي سعيدٍ الخدري.

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٤٩٤) وقال: صحيح الاسناد وتعقبه الذهبي فقال: لا أعرف عمراً تعبت عليه.

(٢) أخرجه أبوداود (٢/ ٩٣ ـ ح١٥٥٥).

وعند أبي دوادَ أيضاً وابنِ ماجهْ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «**من لزِمَ الاستغفارَ جعَلَ اللهُ له من كلِّ ضيقٍ مخرجاً ومن كلِّ همٍّ فرجا ورزقَه من حيثُ لا يحتسبُ**»[1].

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، وتعلقوا بربِّكم، وأحسِنوا الظنَّ به، واعرفوا سننَ اللهِ عزَّ وجلَّ، وابتعدوا عن أسبابِ قسوةِ القلوبِ، ولا تغلبنّكم غفلةٌ، أو تُقْعدْكم شبهةٌ. فإن للدعاءِ أثرَه في تحقيقِ الرغائبِ، ودفعِ المصائبِ، وحصولِ الطمأنينةِ، ونزولِ السكينةِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾
[غافر: ١٣ ـ ١٤].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه، وبسنة نبيه محمدﷺ، وألهمنا الدعاء والتسبيح والاستغفار.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

---

(١) أخرجه أبوداود (٢/ ٨٥ ـ ح١٥١٨)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥ ـ ح٣٨١٩)، وأحمد (١/ ٢٤٨)، والحاكم (٤/ ٢٦٢) وصححه وتعقبه الذهبي فقال: الحكم فيه جهالة.

سلاح المؤمـن

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ وفَّق من شاءَ من عبادِه إلى المسارعةِ في الخيراتِ. وألهمَهم دعاءَه رغباً ورهَباً فكانوا له خاشعين، أحمدُه سبحانه وأشكرُه، وأتوبُ إليه وأستغفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله؛ هدىٰ إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المسلمون، واعلموا أن سبحانه بفضلِه وكرمِه يجيـبُ الـدعـاءَ، ويُحقِّـقُ الـرجـاءَ، ويكشـفُ البلـوىٰ. غيـر أن لاستجابةِ الدعاءِ شروطاً وآداباً لا بدَّ من تحقُّقِها، ومراجعةِ النفس فيها منها: أعظمُها ولبُّها: إخلاصُ التوحيدُ لله فإن الله لا يغفرُ أَنَ يشركَ به ويغفرُ ما دون ذلك لمن يشاءُ، وفي الحديثِ: **«ومن لقيني بقُرابِ الأرضِ خطيئة ثم لا يشركُ بي شيئاً لقيته بمثلها مغفرةً»**[1].

ومـن أعظـمِ دواعـي الإجـابـةِ: حضـورُ القلـبِ، وقـوةُ الـرجـاءِ

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٠٦٨ ـ ٢٦٨٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥٥ ـ ح٣٨٢١)، وأحمد (٥/١٥٣).

في اللهِ، فقد أخرجَ الترمذيُّ من حديثِ أبي هريرة عن النبيِّ ﷺ قال: «**ادعوا اللهَ وأنتم موقِنون بالإجابةِ، وإن الله تعالىٰ لا يقبلُ دعاءً من قلبٍ غافلٍ لاهٍ**»[١] وقال يحي بنُ معاذٍ: «من جمعَ اللهُ قلبَه في الدعاءِ لم يُرَدَّ دعاءَه».

ومن آدابِ الدعاءِ ألا يستعظمَ العبدُ ذنبَه، فذنوبُه ولو عظُمتْ فعفوُ اللهِ أوسعُ، ومغفرتُه أعظمُ، ورحمتُه أكبرُ.

وفي حديثِ أنس عند الترمذيِّ وغيرِه أن رسولَ اللهِ ﷺ قال: قال اللهُ تعالىٰ: «**ياَ ابن آدمَ إنك ما دعوتَني ورجوتَني غفرتُ لك على ما كان منكَ ولا أبالي. يا ابن آدمَ لو بلغتْ ذنوبُك عَنانَ السماءِ ثم استغفرتَني غفرتُ لكَ ولا أبالي**»[٢].

والاستغفارُ التامُّ الذي يُرجىٰ معه المغفرةُ ما جانب الإصرارَ على الذنبِ، وقارنَه إقلاعٌ وندمٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٨٣ ـ ح٣٤٧٩) وقال: حديث غريب، وأحمد (٢/ ١٧٧)، والحاكم (١/ ٤٩٣) وقال: مستقيم الاسناد وتعقبه الذهبي فقال: صالح المري متروك.

(٢) أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٢ ـ ح٣٥٤٠) وقال: حديث غريب وفي نسخ أخرى حسنه.

صنائع المعـروف

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه ونستهديه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهده اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهدُ ألا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه هدىً إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيمٍ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابِه وأزواجِه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فقد جرتْ سنةُ اللهِ تباركَ وتعالىٰ في البشرِ أن جعلَ بعضَهم لبعضٍ سُخرياً، لا تتمُّ لهم سعادتُهم إلا بالتعاونِ والتواصلِ، ولا تستقرُّ حياتُهم إلا بالتعاطفِ وفشّو المودةِ. يرفقُ القويُّ بالضعيفِ، ويُحسنُ المكثرُ على المقلِّ. ولا يكون الشقاءُ ولا يحيقُ البلاءُ إلا حين يفشو في الناسِ التقاطعُ والتدابرُ، لا يعرفون إلا أنفسَهم، ولا يعترفون لغيرِهم بحقٍّ.

معاشرَ الإخوةِ: عزيزٌ على النفسِ الكريمةِ المؤمنةِ أن ترىٰ مسكيناً بَليتْ ثيابُه حتى تكادَ تُرىٰ عورَتُه، أو تبصر حافيَ القدمين أدمتْ حجارةُ الأرضِ أصابَعه وقطَّعتْ عقِبيه، أو تلحظَ جائعاً يمدُّ عينيه إلى شيءِ غيرِه فينقلبُ إليه البصرُ وهو حسيرٌ.

حين تفشو مثلُ هذه الأحوالِ، ثم لا يكترثُ القادرون، ولا يهتمُّ الموسرون فكيف يكونُ الحالُ؟ وأين وازعُ الإيمانِ؟.

ولكنَّ اللهَ برحمتِه حين خلقَ المعروفَ خلقَ له أهلاً، فحبَّبه إليهم، وحبَّب إليهم إسداءَه، وجهَّهم إليه كما وجَّه الماءَ إلى الأرضِ الميتةِ فتحيا به ويحيا به أهلُها. وإن اللهَ إذا أرادَ بعبدِه خيراً جعلَ قضاءَ حوائجِ الناسِ على يديه. ومن كَثُرتْ نعمُ اللهِ عليه كَثُر تعلقُ الناسِ به، فإنَ قام بما يجبُ عليه للهِ فيها فقد شكَرَها وحافظَ عليهاَ، وإن قصَّر وملَّ وتبرَّم فقد عرَّضَها للزوالِ ثم انصرفَت وجوهُ الناسِ عنه.

وقد وردَ في الحديثِ: «**إن للهِ أقواماً اختصَّهم بالنعمِ لمنافعِ عبادِه يقرُّها فيهم ما بذلوها، فإذا منَعوها نزَعها منهم فحوَّلها إلى غيرِهم**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**ما من عبدٍ أنعمَ اللهُ عليه نِعْمَةً وأسبغَها عليه ثم جعلَ حوائجَ الناسِ إليه فتبرَّم فقد عرَّض تلك النِّعمَ للزوالِ**»(٢).

---

(١) أخرجه الهيثمي في كتاب مجمع البحرين في زوائد المعجمين (٥/ ٢١١ - ح٢٩٣٩) وفي مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الأوسط والكبير وفيه محمد بن حسان السمتي وثقه ابن معين وغيره وفيه لين ولكن شيخه أبوعثمان عبدالله بن زيد الحمصي ضعفه الأزدي (٨/ ١٩٢). وقال المنذري: رواه ابن أبي الدنيا والطبراني في الكبير والأوسط ولو قيل بتحسين سنده لكان ممكنا. انظر الترغيب والترهيب (٣/ ٣٩١)، وحسنه الألباني بمجموع طرقه انظر السلسلة الصحيحة (٤/ ٢٦٤، ٢٦٥- ح١٦٩٢).

(٢) قال الهيثمي: رواه الطبراني في الأوسط واسناده جيد انظر مجمع الزوائد (٨/ ١٩٢).

وإن في دينِ اللهِ ـ يا عبادَ اللهِ ـ شرائعَ محكمةً لتحقيقِ التواصلِ والترابطِ، تربِّي النفوسَ على الخيرِ، وترشدُ إلى بذلِ المساعداتِ وصنائعِ المعروفِ.

ففي الخبرِ الصحيح عنه ﷺ: **«من نفَّسَ عن مؤمنٍ كربةً من كُربِ الدنيا نفَّسَ اللهُ عنه كربةً من كُربَ يوم القيامةِ، ومن يسَّرَ على معسرٍ يسر اللهُ عليه في الدنيا والآخرةِ، ومن سترَ مُسلماً ستره اللهُ في الدنيا والآخرةِ، واللهُ في عونِ العبدِ ما كان العبدُ في عونِ أخيه»**(1).

وفي الصحيحين أيضاً: **«المسلمُ أخو المسلمُ لا يظلمُه ولا يُسلمُه، ومن كان في حاجةِ أخيه كان اللهُ في حاجتِه، ومن فرَّجَ على مسلم كربةً فرَّجَ الله عنه كربةً من كُربِ يوم القيامةِ، ومن سترَ مُسلماً سترَه اللهُ يوم القيامةِ»**(2).

ولِعظمِ الأمرِ ودقَّته ـ أيها الإخوةُ ـ فقد قال أهلُ العلم إن تفريجَ الكروبِ أعظمُ من تنفيسِها إذ التفريجُ إزالتُها، أما التنفيسُ فهو تخفيفُها، والجزاءُ من جنسِ العملِ، فمن فرجَ كربةَ أخيه فرجَ اللهُ كربتَه، والتنفيسُ جزاؤُه تنفيسٌ مثلُه.

والتيسيرُ على المعسرِ في الدنيا جزاؤُه التيسيرُ من عُسْرِ يوم القيامةِ، وحسبُك في يوم قال فيه ربُّ العزةِ: ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر: ٩ ـ ١٠].

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٧٤ ـ ح٢٦٩٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ١١٦/ ـ ح٢٤٤٢)، ومسلم (٤/ ١٩٩٦ ـ ح٢٥٨٠).

وفي صحيح مسلم: **«من سرَّه أن ينجيَه اللهُ من كربِ يومِ القيامةِ فلينفسْ عن معسرٍ أو يضعْ عنه»**(١)، **«ومن أنظرَ معسراً أو وضعَ عنه أظلَّه اللهُ في ظلِّه يومَ لا ظلَّ إلا ظلُّه»**(٢).

والمؤمنُ للمؤمنِ كالبنيان يشدُّ بعضُه بعضا. وأحبُّ الخلقِ إلى اللهِ أنفعُهم لعبادِه. وصنائعُ المعروفِ تقي مصارعَ السوءِ.

ولقد قال بعضُ الحكماءِ: أعظمُ المصائبِ أن تَقدرَ على المعروفِ ثم لا تصنعُه.

والغبطةُ - أيها الأحبةُ - فيمن يسَّرَ اللهُ له خدمةَ الناسِ وأعانه علي السعيِ في مصالحِهم.

يقولُ عليٌّ رضي الله عنه: يا سبحانَ اللهِ ما أزهدَ كثيراً من الناس في الخيرِ!!! عجبتُ لرجلٍ يجيئُه أخوه لحاجتِه فلا يرىٰ نفسَه للخيرِ أهلاً!!! فلو كنا لا نرجو جنةً ولا نخافُ ناراً ولا ننتظرُ ثواباً ولا نخشىٰ عقاباً لكان ينبغي لنا أن نطلبَ مكارمَ الأخلاقِ.. فإنها تدلُّ على سُبُلِ النجاحِ؟؟ فقام رجلٌ فقال: يا أميرُ المؤمنين: أسمعتَه من رسولِ اللهِ ﷺ؟ قال: نعم، وما هو خيرٌ منه: «لقد أُتينا بسبايا طيٍّ.. كان في الناس جاريةٌ حسناءُ تقدمتْ إلى رسولِ اللهِ ﷺ وقالتْ يا محمدُ: هلكَ الوالدُ، وغابَ الوافدُ، فإن رأيتَ ألا تخليَ عنِّي فلا تشمتْ بي أحياءَ العربِ، فإني بنتُ سيدِ قومي؛ كان أبي يفكُّ العاني، ويحمْي الذِّمارَ،

---

(١) أخرجه مسلم (٣/١١٩٦ - ح١٥٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٣٠٢ - ح٣٠٠٦)، والترمذي (٣/٥٩٩ - ح١٣٠٦) وقال: حديث حسن صحيح غريب واللفظ له.

ويَقْرِيْ الضيفَ، ويُشبعُ الجائعَ، ويَفرِّجُ عن المكروبِ، ويطعمُ الطعامَ، ويُفشي السلامَ، ولم يَردَّ طالبَ حاجةٍ قطُّ، أنا بنتُ حاتَم الطائي فقال النبيُّ ﷺ : **«يا جاريةُ هذه صفةُ المؤمن. خلُّوا عنها؛ فإن أباها كان يحبُّ مكارِمَ الأخلاقِ»**[1].

وإن دروبَ الخيرِ ـ أيها المسلمون ـ كثيرةٌ وحوائجُ الناس متنوعةٌ. إطعامُ جائعٍ، وكُسوةُ عاري. . عيادةُ مريضٍ، وتعليمُ جاهلٍ. . وإنظارُ معسِرٍ، وإعانةُ عاجزٍ، وإسعافُ منقطعٍ. . تطردُ عن أخيكَ هماً، وتزيلُ عنه غماً. . تكْفُلُ يتيماً، وتواسي أرملةً. . تُكرِمَ عزيزَ قوم ذلَّ، وتشكرُ على الإحسانِ، وتغفرُ الإساءةَ. تسعى في شفاعةٍ حسنةٍ تفكُّ بها أسيراً، وتحقِنُ به دماً وتَجُرُّ بها معروفاً وإحساناً.

كلُّ ذلك تكافلٌ في المنافعِ وتضامنٌ في التخفيفِ من المتاعبِ. . تنفيسٌ للكروبِ، ودَفعٌ للخطوبِ. . . وتصبيرٌ في المضائقِ، وتأمينٌ عند المخاوفِ، وإصلاحٌ بين المتخاصمين، وهدايةٌ لابن السبيلِ. فإن كنتَ لا تملك هذا ولا هذا فادفعْ بكلمةٍ طيبةٍ وإلا. . فكفَّ أذاكَ عن الناسِ.

أخرجَ الترمذيُّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«تبسُّمُكَ في وجهِ أخيكَ صدقةٌ، وأمرُكَ بالمعروفِ ونهيكُ عن المنكرِ صدقةٌ، وإرشادُكَ الرجلَ في أرضِ الضلالِ لكَ**

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٥/ ٣٤١)، وابن كثير في البداية والنهاية (٥/ ٧٧)، وقال: هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جداً عزيز المخرج.

صدقةٌ، وإماطتُك الحجرَ والشوكَ والعظمَ عن الطريقِ لك صدقةٌ، وإفراغُك من دلوِكَ في دلوِ أخيكَ صدقةٌ»[1].

نعم أيها الإخوةُ: كلُّ معروفٍ صدقةٌ، وأهلُ المعروفِ في الدنيا هم أهلُ المعروفِ في الآخرةِ. والصدقةُ تطفىءُ غضبَ الربِّ، وصلةُ الرحمِ تزيدُ في العُمُرِ. والمالُ إن لم تصنعْ به معروفاً أو تقضي به حاجةً وتدخرُ لكَ به أجراً فما هو إلا لوارثٍ أو لحادثٍ. وصنائعُ البرِّ والإحسانِ تُسْتَعبدُ بها القلوبُ.

والشحيحُ البخيلُ كالحُ الوجهِ يعيشُ في الدنيا عِيشةَ الفقراءِ ويحاسبُ يومَ القيامةِ حسابَ الأغنياءِ، فلا تكنْ أيها الموسرُ القادرُ خازناً لغيرِك.

أيها الإخوةُ الأحبابُ: إن صفوَ العيشِ لا يدومُ، وإن متاعبَ الحياةِ وأرزاءَها ليست حِكْراً على قومٍ دون قومٍ، وإن حسابَ الآخرةِ لعسيرٌ، وخذلانُ المسلمِ شيءٌ عظيمٌ.

والمسلمونُ هانوا أفراداً وهانوا أمما حين ضعُفتْ فيهم أواصرُ الأخوةِ، ووهتْ فيه حبالُ المودةِ. عندما تستحكمُ الأنانياتُ ويسودُ حبُّ الذاتِ تقعُ الآفاتُ القاتلةُ، وتَحيقُ الدوائرُ المهلكةُ، وتستغلِقُ المسالكُ على أصحابِ الضوائقِ.

بل إن بعضَ غلاظِ الأكبادِ وقساةِ القلوبِ ينظرون إلى الضعيفِ والمحتاجِ وكأنه قذىً في العينِ.. يُزلِقونَه بأبصارِهم في نظراتٍ كلُّها اشمئزازٌ واحتقارٌ. ألا يعتبرُ هؤلاء بأقوامٍ دارَ عليهم الزمانُ

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/٢٩٩ ـ ح١٩٥٦) وقال: حديث حسن غريب.

وعدَتْ عليهم العوادي واجتاحتْهم صروفُ الليالي. . . فاستدارَ عزُّهم ذلاً، وغناهم فقراً، ونعيمُهم جحيماً؟؟؟.

فاتقوا الله رحمكم اللهُ وأصلحوا ذاتَ بينِكم، ولتكنْ النفوسُ سخيةً، والأيدي بالخيرِ نديةً، واستمسكوا بعُرىٰ السماحةِ وسارعوا إلى سدادِ عَوَزِ المُعْوِزين، ومن بذلَ اليومَ قليلاً جناه غداً كثيراً. . تجارةُ مع اللهِ رابحةٌ، وقرضٌ لله حسنٌ مردودٌ إليه أضعافاً مضاعفةً. . إنفاقٌ بالليلِ والنهارِ والسرِّ والعلنِ: ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

نفعني الله وإياكم بالقرآن العظيم وبهدي رسولِه الكريمِ، وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

صنائع المعـروف

الخطبة الثانية

الحمد للهِ عظيمِ الشأنِ قديمِ الإحسانِ، أحمدُه سبحانه وأشكره على ما أولىٰ من جزيلِ الفضلِ والامتنانِ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسولُه، سيدُ ولدِ عدنانِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان.

أما بعـدُ:

فاتقوا الله أيها المسلمون، واحفظوا لإخوانِكم حقوقَهم، واعرفوا فضلَ اللهِ عليكم. فمن وُفِّقَ لبذلِ معروفٍ أو أداءِ إحسانٍ فليكنْ ذلك بوجهٍ طلْقٍ ومظهرٍ بشوشٍ، وليحرَص على الكتمانِ قدرَ الإمكانِ ابتغاءِ الإخلاصِ، وحفاظاً على كرامةِ المسلمِ.

ويبلغُ الأدبُ غايتَه حين يعلمُ باذلُ المعروفِ أن ما يقدمُه هو حقٌّ لهؤلاءِ ساقَه اللهُ على يديهِ فلا يريدُ منهم جزاءً ولا شُكوراً. وقد رُويَ أن رجلاً جاء لبعضِ أهلِ الفضلِ يستشفعُ به في حاجةٍ فقضاها له فأقبلَ الرجلُ يشكرُه فقال له علامَ تشكرنا؟ ونحن نرىٰ أن للجاه زكاةً كما أن للمالِ زكاةً. أما من أتبع إحسانَه بالمنِّ والأذى فقد محقَ أجرَه، وأبطلَ ثوابَه. فاتقوا اللَّهَ يرحمُكم اللهُ وابذلوا الفضلَ والمعروفَ بوجهٍ طلقٍ وقصدٍ حسنٍ تستقمْ الأحوالُ وتتنزلْ البركاتُ ويَحِلَّ التوفيقُ.

بين الابتلاء ورفع راية الجهـاد

الخطبة الأولى

إن الحمدَ للهِ نحمده ونسعتينه ونستغفره ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه، ونشكره ولا نكفرُه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهدِه اللهُ فلا مضلَّ له ومن يضللْ فلا هاديَ له، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسوله، بعثه بالهدى ودين الحقِ ليظهَرهُ على الدينِ كلِّه، فبلَّغَ الرسالةَ، وأدىٰ الأمانةَ، ونصحَ الأمةَ، وبَلَّغَ البلاغَ المبينَ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله الأطهارِ وأصحابِه الأخيارِ والتابعين ومن تبعهم بإحسانٍ ما تعاقبَ الليلُ والنهارُ.

أما بعـدُ:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢)﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠ ـ ٧١].

معاشرَ الإخوةِ في اللهِ: البلايا والمحنُ محكٌّ تَكْشِفُ عما في القلوبِ، وتُظْهِرُ مكنوناتِ الصدورِ. ينتفي بها الزيفُ والرياءُ، وتنكشفُ الحقيقةُ بكلِّ جلاءٍ.. تطهيرٌ لا يبقىٰ معه زيفٌ ولا دَخَلٌ، وتصحيحٌ لا يبقىٰ فيه غبشٌ ولا خللٌ.

إن الشدائدَ والنوازلَ تستجيشُ مكنونَ القوىٰ وكوامنَ الطاقاتِ. تفتحُ في القلوبِ منافذٌ ما كان ليعلَمَها المؤمنُ من نفسِه إلا حينَ تَعرَّضَ للابتلاءِ. عند الحوادثِ يتميزُ الغبشُ من الصفاءِ، والهلعُ من الصبرِ، والثقةُ من القنوطِ.

إنها محكٌّ لا يخطىءُ، وميزانٌ لا يظلمُ. والرخاءُ في ذلك كالشدةِ. والمؤمنُ الصادقُ ثابتٌ في السراءِ والضراءِ. ولقد يظنُّ الإنسانُ في نفسِه قبلَ البلاءِ القدرةَ والشجاعةِ والتجردَ والنزاهةَ والبعدَ عن الشحِّ والحرصِ، فإذا نزلتْ النازلةُ ووقعتْ الواقعةُ تبيَّنَ من بكىٰ ممن تباكىٰ، وأدرَكَ المرءُ أنه كان بحاجةٍ إلى تمحيصٍ ومراجعةٍ، وأن من الخيرِ له أن يعتَبِرَ ويتعظَ ويستدركَ قبل أن يكونَ عبرةً ويقعَ ضحيةً.

﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤].

إن من حكمةِ اللهِ في الابتلاءِ أن تستيقظَ النفس ويرقَّ القلبُ بعد طولِ غفلةٍ، فيتوجهُ الخلائقُ إلى ربِّهم؛ يتضرعون إليه ويطلبون رحمتَه وعفوَه. إعلانٌ تامٌ للعبوديةِ للهِ وحدَه، وتسليمٌ كاملٌ للهِ ربِّ العالمين.. إنابةٌ واستكانةٌ تصلحُ بها حياتُهم

ومعاشُهم. . يتصلون بربِّهم، ويتحررون من شهواتِهم وأهوائِهم.

ومن ثمَّ يجدون في ظلِّ الضراعةِ والإنابةِ الاستكانةَ والطمأنينةَ والراحةَ والأملَ في الفرجِ والوعدَ بالبُشرىٰ: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء: ٨٧ ـ ٨٨].

﴿ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ﴿٩٨﴾ ﴾ [يونس: ٩٨].

وكفىٰ بالتضرعِ ـ أيها المسلمون ـ دليلاً على الرجوعِ إلى اللهِ، ولجوءاً إليه، وأملاً في الفرجِ من عنده، وحرزاً واقياً من الغفلةِ. فلا يُرجىٰ في الشدائدِ إلا اللهُ، ولا يُقصدُ في المُلِّماتِ سواه، ولا يُلاذُ إلا بجنابِه، ولا تُطلبُ الحوائجُ إلا من بابِه. المفزَعُ إليه حين تهتزُّ الأَسْنادُ كلُّها ويخلو القلبُ إلا للهِ وحدَهُ. . لا سندَ إلا سندُه، ولا حولَ إلا باللهِ، ولا قوةَ إلا باللهِ، لا ملجأَ منه إلا إليه، ما شاءَ كانَ وما لم يشأْ لم يكنْ، هو المتصرفُ في الملكِ ولا معقِّبَ لحكمِهِ.

نعم أيها الإخوةُ: في البلاءِ يتجلىٰ توكُّلُ المتوكلين، ومن وجدَ في قلبِه اعتماداً على غيرِ ربِّه فليراجعْ إيمانَه. يقولُ سعيدُ بنُ المسيَّبِ: «التوكلُ على اللهِ جِماعُ الإيمانِ».

وأصدقُ من ذلك وأبلغُ قولُ الحقِّ تبارك وتعالىٰ: ﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [المائدة: ٢٣].

وليُعلمْ علمَ اليقينِ أن المؤمنَ مكفيٌّ سوءَ البلاءِ ما استقامَ

علىٰ أمرِ اللهِ، محفوظٌ من كيدِ الأعداءِ ما اعتصمَ باللهِ.

وإن الناظرَ ـ أيها الإخوةُ ـ فيما أصابَ المسلمينَ من ابتلاءِ هذه الأيامَ[1] يرىٰ اختلافاً في مواقفِ الناس. . من صابرٍ ثابتٍ، ومن جزعٍ خائفٍ. ظهرَ في بعضِ مسالكِ أقوامٍ تعلقٌ بغيرِ اللهِ واعتمادٌ علىٰ أسبابٍ ومادياتٍ لا تغني عنهم من الله شيئاً. ومنهم آخذٌ بالأسبابِ علىٰ وجهِها، معتمدٌ على ربِّه فيما وراءَ ذلك، فربُّنا من وراءِ كلِّ شيءٍ محيطٌ.

ومن هنا ـ معاشرَ الأحبةِ ـ فحقيقٌ بالأمةِ أن تعيَ حالَها وتنظرَ في واقعِها لمستقبلِها.

إن ما ظهرَ في المسلمينَ بعامةٍ والناشئةِ بخاصةٍ في كثيرٍ من بلادِ الإسلام في العصورِ المتأخرةِ من وهنٍ وحبِّ الدنيا وكراهةِ الموتِ كانَ نتيجةَ أمورٍ كثيرةٍ قام بها وجلبَها أعداءُ الأمةِ المتربصون بها من آثارِ الغزو الثقافيِّ في مناهجِ التربيةِ والتعليمِ والإعلامِ، والإغراقِ في الشهواتِ، وتوهينِ العقائدِ والفضائلِ التي تَعْصِمُ من الدنايا، وإبعادِ الإسلام شكلاً وموضوعاً عن كلِّ مجالٍ جادٍّ، والنفخِ في كلِّ نزعةٍ محلَيةٍ أو شخصيةٍ من أجلِ تمزيقِ الأُخوَّةِ الجامعةِ وتوهينِ الرباطِ بين جماعاتِ المسلمين.

لقد حقَّقَ الأعداءُ من جرَّاءِ ذلك كثيراً من مراداتِهم. إن الناشئةَ في كثيرٍ من بلادِ المسلمين يُذادون عن كتابِ اللهِ ذوداً. . دينُهم تُعكَّرُ منابعُه، وتاريخُهم تُشَوهُ مصادرُه. إنك ترىٰ فتياناً يضحكون

(١) كان هذا في فترة غزو العراق للكويت.

ولا يبكون، ينطلقون إلى المنتدياتِ يلعبون، ويتجمعون في أماكن اللهوِ يعبثون. إن أُولَىٰ الهزائمِ هزيمةُ الإيمانِ في القلوبِ والجَدْبُ في المُثُلِ والأخلاقِ.

إن الرقيبَ ليلمحُ أجساماً تتحركُ في مآربِ الدنيا، وطَغاماً[١] كثيراً من الكبارِ والصغارِ، نسوا اللهُ فأنساهم أنفسَهم. إنهم غثاءُ السيلِ الموصوفُ، ومجموعُ الأصفارِ لا يُنتجُ عدداً ذا قيمةٍ.

في هذه الظروفِ، وفي ثنايا هذا الابتلاءِ توجهتْ دعوةُ وليِّ الأمرِ في هذه البلادِ ـ يحفظُه اللهُ ويرعاه ويُمِدُّهُ بتوفيقِه وتأييدِه ـ لناشئتِنا للانخراطِ في صفوفِ الجهاد والمجاهدين... دفاعاً عن المقدساتِ والحرماتِ، ويحسن أن يُدركَ أبناؤنا بهذه المناسبةِ أن أجيال النصرِ تُصنعُ صُنعاً على نورٍ من اللهِ وهدي مصطفاه محمدِ بنِ عبدِاللهِ ﷺ...

لا يصنعها قومٌ انحلُّوا من دينِهم وتنكروا لتاريخِهم.. لا يصنعُها إلا الأيدي المتوضئةُ المتطهرةُ دون الأيدي الملوثةِ بأنواعِ من التلويثاتِ. فأخلصوا للهِ نيتكم وأحسنوا على هَدْيِ الإسلامِ عملَكم.

يحسنُ أن يُدْرِكَ أبناؤنا أن الرجولةَ المنشودةَ وُصِفَ بها في كتابِ ربِّنا صنفان من الأمةِ:

أولهما: صاحبُ النجدةِ والقوةِ وباذلُ التضحيةِ حين طلبِها، نموذجُها أنسُ بنُ النضرِ حين قالَ لرسولِ اللهِ ﷺ: «أما واللهِ لئن

---

(١) الطغام: الكثرة من الناس التي لا فائدة فيها.

التقينا بالمشركينَ ليَريَنَّ اللهُ ما أصنعُ» إنها يمينٌ صادرةٌ ممن قد امتلأتْ نفسُه ثقةٌ وتصميماً. يمينٌ من ورائِها إيمانٌ عميقُ الأغوارِ، لقد ثبتَ هذا الرجلُ في أُحدٍ حتى قُتلَ، إنه وأمثالَهُ هم الجديرون بوصفِ الرجولةِ الحقَّةِ الكاملةِ في قولِ ربِّنا عزَّ وتباركَ: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

أما الصنفُ الثاني من الرجالِ الكُمَّلِ ـ يا جنودَ الحقِّ: فهم مقيمو الصلاةِ المتعلقون بالمساجدِ الذاكرونَ اللهَ بالغدوِّ والآصالِ أصحابُ الأيدي المعطاءةِ، والضمائرِ الحيةِ، والمحاسبةِ الصادقةِ:

﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [النور: ٣٦ ـ ٣٨].

هذا هو مسلكُ التربيةِ للناشئةِ، وإن أملَنا في ربِّنا لكبيرٌ أن يكثرَ فينا هؤلاءِ الرجالِ.

أيُّ رجولةٍ هذه التي ترفضُ المشقَّاتِ، وتعشَقُ الملذاتِ، وتحسَبُ الشِّبعَ والزينةَ وكمالَ الأجسامِ المجردَ هو مثلُها الرفيعُ!!!.

أيها الرجالُ: إن هذه الأمةَ أمةُ جهادٍ ومجاهدةٍ، والجهادُ فيها أرفعُ العباداتِ أَجْرا. اسمعوا إلى هذا التحريضِ النبوي: «قيل يا رسولَ اللهِ: ما يعدلُ الجهادَ في سبيلِ اللهِ؟ قال: «**لا تستطيعونه؛**

فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثاً. كلُّ ذلك يقولُ: **لا تستطيعونَه**، ثم قال: «**مثلُ المجاهدِ في سبيلِ اللهِ كمَثَلِ الصائمِ القائمِ القانتِ بآياتِ اللهِ لا يفترُ من صلاةٍ ولا صيامٍ حتى يرجعَ المجاهدُ في سبيلِ اللهِ**»(١) مخرَّجٌ في الصحيحين واللفظُ لمسلم.

والمصطفىٰ ﷺ يخبرُ عن نفسه ويقولُ: «**والذي نفسي بيدِه لودِدْتُ أن أغزوَ في سبيلِ اللهِ فأُقْتلَ، ثم أغزوَ فأُقْتلَ، ثم أغزوَ فأُقتلَ**»(٢) خرجاه في الصحيحين من حديثِ أبي هريرةِ رضي الله عنه.

وفي مقابلِ ذلك هُدِّدَ المتخلفون والمتثاقلون عن الجهادِ في سبيلِ اللهِ ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ٩٣].

ما أقعدهم وما خلَّفهم إلا حبُّ الحياةِ والتعلقُ باللذائذِ، وكلُّ متاعٍ في الدنيا قليلٌ، وكلُّ أجلٍ فيها قريبٌ. ومعلومٌ أن وراءَ حُبِّ الدعةِ وإيثارِ السلامةِ سقوطَ الهمةِ وانحناءَ الهامةِ، والتهرُّبَ من المواجهةِ، والرضا بالقعودِ مع الضعَفَةِ من النساءِ والأطفالِ والمرضىٰ وأشباهِهِم.

والعجيبُ الغريبُ ـ أيها الإخوةُ ـ أن الوعيدَ الذي يتهددُ القاعدين قد يُدرِكُهم في الدنيا قبل الآخرةِ. إنه عذابُ الذلةِ، وغلبةُ الأعداءِ، والخسرانُ في النفوسِ والأموالِ.. أضعافُ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٦ ـ ح٢٧٨٥)، ومسلم (٣/ ١٤٩٨ ـ ح١٨٧٨) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري (٦/ ٢٠ ـ ح٢٧٩٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٦ ـ ح١٨٧٦) واللفظ له.

ما يفقِدونه في الجهادِ، وإنهم لَيقدِّمون على مذابحِ الذُّلِّ أضعافَ ما تتطلبُه منهم الكرامةُ والعزةُ.

وما من أمةٍ تركتْ الجهادَ إلا ضربَ اللهُ عليها الذُّلَّ فدَفَعتْ مُرغمةً صاغرةً لأعدائِها أضعافَ ما كان يتطلبُه جهادُ الأعداءِ.

فاستجيبوا أيها الشبابُ لداعي الجهادِ، وارتفعوا عن حياةِ الراحةِ والدَّعَةِ، ولا ترضوا بالعيشِ على هامشِ الحياةِ. ومن دفعَ ثمناً غالياً فقد اشترىٰ ذا قيمةٍ، ولا يُشترىٰ بالقليلِ إلا التافهُ الرخيصُ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

بين الابتلاء ورفع راية الجهاد

الخطبة الثانية

الحمدُ للهِ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وأشهدُ ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد في الآخرة والأولى، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المبعوثُ بالرحمةِ والملحمةِ والهدىٰ، ﷺ وعلى آله وصحبه والتابعين ومن سار على هديِهم واقتفى.

أما بعـدُ:

أيها الإخوةُ في اللهِ أيها الشبابُ: إن فريضةَ الجهادِ لا تنتظرُ تكافؤَ العددِ والعُدةِ الظاهرةِ بين المؤمنين وعدوِّهم، فيكفي المؤمنين أن يُعِدُّوا ما استطاعوا من القُوىٰ وأن يتقوا الله، ويثقوا بنصره، ويثبتوا، ويصبروا: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

والانتصـارُ علـى النفـس وشـواتِهـا هـو أُولـىٰ عُـدَدِ النصـرِ والاستعدادِ، انتصارٌ على الشحِّ والغيظِ والذنبِ، والرجوعُ إلى اللهِ والالتصاقُ بركنِه الركين.

والأعداءُ ما كانوا أعداءً إلا لمخالفتِهم أمرَ اللهِ. وإذا اشترك الفريقان في المعصيةِ والمخالفةِ فليس هناك مزيةٌ.

إن المؤمنَ حين يعادي ويعاركُ ويجاهدُ فهو إنما يعادي للهِ ويعاركِ للهِ ويجاهدُ في سبيلِ اللهِ.

التوبة وسعة رحمــة الله

الخطبة الأولى

الحمدُ للهِ يغفرُ الزلاتِ، ويُقيلُ العثراتِ، يقبلُ التوبةَ عن عبادِه ويعفـو عـن السيئـاتِ. أحمـدُه سبحـانـه وأشكـرُه، وأتـوبُ إليـه وأستغفرُه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن سيدَنا ونبينا محمداً عبده ورسوله المؤيدُ بالمعجزاتِ. صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـد:

فاتقوا الله عبادَ اللهِ، استقيموا إليه واستغفروه.

أيها المؤمنون: يحيطُ بابن آدمَ أعداءٌ كثيرٌ.. من شياطينِ الأنس والجنِ، يُحسِّنون القبيحَ، ويُقبِّحون الحسنَ، ينضمُّ إليهم النفسُ الأمـارةُ بـالسوءِ، والشيطـانُ، والهـوىٰ... يَـدْعـونَـه إلـى الشهـواتِ، ويقـودُونَـه إلـى مهـاوي الرَّدىٰ. ينحـدرُ فـي مـوبقـاتِ الذنوبِ صغائِرها وكبائِرها، ينساقُ في مغرياتِ الحياةِ، وداعياتِ الهوىٰ، يصاحبُ ذلك ضيقٌ وحرجٌ وشعورٌ بالذنبِ والخطيئةِ فيوشكُ أن تنغلقَ أمامَه أبوابُ الأملِ، ويدخلَ في دائرةِ اليأسِ من رَوْحِ اللهِ والقنوطِ من رحمةِ اللهِ.

ولكنَّ اللهَ العليمَ الحكيمَ، الرؤوفَ الرحيمَ، الذي يعلمُ من خَلقَ

وهو اللطيفُ الخبيرُ؛ فتحَ لعبادِهِ أبوابَ التوبةِ، ودلَّهم على الاستغفارِ وجعلَ لهم من أعمالِهم الصالحةِ كفاراتٍ، وفي ابتلاءاتِهم مُكفراتٍ. بل إنه سبحانه بفضلِه وكرمِه يبدلُ سيئاتِهم حسناتٍ: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾﴾ [النساء: ٢٧ ـ ٢٨].

أيها الإخوةُ في اللهِ: لقد جعلَ الله في التوبةِ ملاذاً مكيناً وملجأً حصيناً، يلجُه المذنبُ مُعترفاً بذنبِه، مُؤملاً في ربِّه، نادماً على فعلِه، غيرَ مُصرٍّ على خطيئتِه، يحتمي بحمىٰ الاستغفارِ، يُتبعُ السيئةَ الحسنةَ؛ فيكفرُ اللهُ عنه سيئاتِه، ويرفعُ من درجاتِه.

التوبةُ الصادقةُ تمحو الخطيئاتِ مهما عظُمتْ حتى الكفرَ والشركَ ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ..﴾ [الأنفال: ٣٨]. وقتلةُ الأنبياءِ ممن قالوا إن اللهَ ثالثُ ثلاثةٍ وقالوا إن اللهَ هو المسيحُ بنُ مريم ـ تعالىٰ اللهُ عما يقولونَ علواً كبيراً لقد ناداهم المولى بقوله: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧٤﴾﴾ [المائدة: ٧٤].

فتحَ ربُّكم أبوابَه لكلِّ التائبين، يبسطُ يدَه بالليلِ ليتوبَ مسيءُ النهارِ، ويبسطُ يدَه بالنهارِ ليتوبُ مسيءُ الليلِ، وخاطبَكم في الحديثِ القدسيِّ: «**يا عبادي إنكم تخطئون بالليلِ والنهارِ وأنا أغفرُ الذنوبَ جميعاً فاستغفروني أغفرْ لكم**» وفي التنزيل: ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣] ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠] ومن ظنَّ أن ذنباً لا يتسعُ لعفوِ اللهِ فقد ظنَّ بربِّه ظنَّ السَوْءِ. كم من عبدٍ

كان من إخوانِ الشياطين فمنَّ اللهُ عليه بتوبةٍ محتْ عنه ما سلفَ؛ فصارَ صوامً قواماً قانتاً للهِ ساجداً وقائماً يحذرُ الآخرةَ ويرجو رحمةَ ربِّه.

أيها المؤمنون: من تدنَّسَ بشيءٍ من قَذَرِ المعاصي فليبادرْ بغَسْلِه بماءِ التوبةِ والاستغفارِ؛ فإن اللهَ يحبُّ التوابين ويحبُّ المتطهرين.

جاء في الصحيحين من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«إذا أذنبَ عبدٌ فقال: ربِّ إني عملتُ ذنباً فاغفرْ لي فقال اللهُ: عَلِمَ عبدي أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذُ بالذنبِ قد غفرتُ لعبدي، ثم أذنبَ ذنباً آخرَ فذكرَ مثلَ الأولَ مرتين أُخْريين حتى قال في الرابعةِ: فليعملْ ما شاءَ»**[1]، يعني مادام على هذه الحالِ كلَّما أذنبَ ذنباً استغفر منه غيرَ مصر.

وجاء رجلٌ إلى النبي ﷺ وهو يقولُ: واذنوباه مرتين أو ثلاثاً فقال له النبي ﷺ: **«قلْ اللهم مغفرتُك أوسعُ لي من ذنوبي، ورحمتُك أرجىٰ عندي من عملي، ثم قال له: أعِدْ فأعاد، ثم قال له: أعِدْ فأعادَ فقال: قُمْ فقد غفرَ اللهُ لك»**[2]. أخرجه الحاكم في صحيحه من حديثِ جابرِ رضي الله عنه، وأخرجَ أيضاً من حديثِ عقبةَ بن عامرٍ رضي الله عنه أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ اللهِ: أحدُنا يذنبُ، قال: **«يُكتبُ عليه»**. قال: ثم يستغفرُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٤ ـ ح٧٥٠٧)، ومسلم (٤/ ٢١١٢ ـ ح٢٧٥٨).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ٥٤٤، ٥٤٥) وقال: حديث رواته عن آخرهم مدنيون ممن لا يعرف واحد منهم بجرح ووافقه الذهبي.

منه. قال «**يُغفرُ له ويتابُ عليه**». قال: فيعودُ فيذنبُ. قال: «**يكتبُ عليه**». قال: ثم يستغفرُ منه ويتوبُ. قال: «**يغفرُ له ويثابُ عليه. ولا يملُّ اللهُ حتى تملُّوا**»(١).

وسُئلَ عليٌّ رضي اللهُ عنه عن العبدِ يذنبُ؟ قال: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ. قيل: فإن عاد؟ قال: يستغفرُ اللهَ ويتوبُ. قيل: حتى متى؟ قال: حتى يكونَ الشيطانُ هو المحسورَ.

وقيل للحسنِ رحمهُ اللهُ: ألا يستحي أحدُنا من ربِّه يستغفرُ من ذنوبِه ثم يعودُ ثم يستغفرُ ثم يعودُ؟ فقال: ودَّ الشيطانُ لو ظَفِرَ منكم بهذا، فلا تَمَلُّوا من الاستغفارِ.

إلى جانب التوبةِ والاستغفارِ ـ أيها الإخوةُ ـ تأتي الأعمالُ الصالحةُ من الفرائضِ والتطوعاتِ تُكَفَّرُ بها السيئاتُ، وتُرفعُ بها الدرجاتُ. طهارةٌ وصيامٌ وصدقاتٌ وحجٌ وجهادٌ وغيرُها.

من تطهَّرَ في بيتِه ثم مشىٰ إلى بيتٍ من بيوتِ اللهِ يَقضِي فريضةً من فرائضِ اللهِ كانت خَطْوتاه إحداهُما تَحطُّ خطيئةً والأخرىٰ ترفعُ درجةً، والصلواتُ الخمسُ والجمعةُ إلى الجمعةِ كفاراتٌ لما بينهنَّ ما لم تُغْشَ الكبائرُ. ومن توضَّأَ فأحسنَ الوُضُوءَ ثم أتى الجمعةَ فاستمعَ وأنصتَ غُفِرَ له ما بينَه وبينَ الجمعةِ وزيادةُ ثلاثةِ أيامٍ؛ أخرجَ كلَّ ذلك مسلمٌ في صحيحِه من أحاديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه. وهذا بابٌ واسعٌ لا يكادُ يقعُ تحتَ حصرٍ

---

(١) أخرجه الحاكم (١/ ٥٩، ٤/ ٢٥٧) وقال: صحيح الاسناد ووافقه الذهبي.

من طلبِ الرزقِ، وإطعامِ الطعامِ، وحُسْنِ الخلقِ، والسماحةِ في التعاملِ، وطلبِ العلمِ، وقضاءِ الحوائجِ، وحضورِ مجالسِ الذكرِ، والرحمةِ بالبهائمِ، وإماطةِ الأذىٰ. فأَبْشروا وأَمِّلُوا وأحسِنوا الظنَّ بربِّكم.

يضافُ إلى ذلكَ يا عبادَ اللهِ ما يصيبُ المسلمَ من البلايا في النفسِ والمالِ والولدِ، وما يعرضُ له من مصائبِ الحياةِ ونوائبِ الدهرِ، فهي كفاراتٌ للذنوبِ، ماحياتٌ للخطايا، رافعاتٌ للدرجاتِ.

في خبرِ الصحيحين: «**ما من مصيبةٍ تصيبُ المسلمَ إلا كفَّرَ اللهُ بها حتى الشوكةَ يُشاكُها**» وفي رواية: «**إلا رفعَ اللهُ بها درجةً وحطَّ عنه بها خطيئةً**»(١).

وفي الموطأِ والترمذيِّ من حديثِ أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ: «**ما يزالُ البلاءُ بالمؤمنِ والمؤمنةِ في نفسِه وولدِه ومالِه حتى يلقىٰ اللهَ وما عليه خطيئةٌ**»(٢)، وفي روايةِ الموطأِ: «**ما يزالُ المؤمنُ يُضَارُّ في ولدِه وحامَتِهِ (أي أقربائِه وخاصَّتِه)، حتى يلقىٰ اللهَ وليسَ عليه خطيئةٌ**»(٣).

أيها المسلمون: إن العبدَ إذا اتَّجهَ إلى ربِّه بعزمٍ صادقٍ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٧ ـ ح٥٦٤٠)، ومسلم (٤/ ١٩٩٢ ـ ح٢٥٧٢).
(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٢٠ ـ ح٢٣٩٩) وقال: حديث حسن صحيح، وأحمد (٢/ ٤٥٠)، والحاكم(١/ ٣٤٦) وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي (٣/ ٣٧٤)، والبغوي (٥/ ٢٤٦ ـ ح١٤٣٦).
(٣) أخرجه مالك في الموطأ بلاغاً (١/ ٢٣٦).

وتوبةٍ نصوحٍ موقناً برحمةِ ربِّه واجتهدَ في الصالحاتِ دخلتْ الطمأنينةُ إلى قلبِه، وانفتحتْ أمامَه أبوابُ الأملِ، واستعادَ الثقةَ بنفسِه، واستقامَ على الطريقةِ، واستترَ بسترِ اللهِ.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [التحريم: ٨].

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وبسنة نبيه محمد ﷺ؛ أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب وخطيئة فاستغفروه وتوبوا إليه إنه هو الغفور الرحيم.

التوبة وسعة رحمة الله

الخطبة الثانية

الحمد لله غافرِ الذنبِ وقابلِ التوبِ شديدِ العقابِ، أحمده سبحانه وأشكره وأسأله المزيدَ من فضلِه وكرمِه، عليه توكلتُ وإليه متابِ. وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه المختارُ من أشرفِ الأنسابِ، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب، والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعـدُ:

فاتقوا اللهَ أيها المؤمنون. واعلموا أن من الناس من يخدعُه طولُ الأملِ، أو نضرةِ الشبابِ، وزهرةُ النعيمِ، وتوافرُ النعمِ، فيُقْدِمُ على الخطيئةِ، ويسوِّفُ في التوبةِ، وما خدَع إلا نفسَه، لا يفكِّرُ في عاقبةٍ، ولا يخشىٰ سوءَ الخاتمةِ. ولقد يجيئه أمرُ الله بغتةً: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ﴾ [النساء: ١٨].

ومن الناس من إذا أحدثَ ذنباً سارعَ بالتوبةِ، قد جعلَ من نفسِه رقيباً يبادرُ بغسلِ الخطايا إنابةً واستغفاراً وعملاً صالحاً، فهذا حريٌّ أن ينظَمَ في سلكِ المتقين الموعودين بجنةٍ عرضُها السمواتُ والأرض ممن عناهم اللهُ بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟

فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥ ـ ١٣٦].

فهذه حالُ الفريقين أيها المؤمنونَ، فاتقوا اللهَ وأنيبوا إليه.

الفهرس

كلمات في إعداد خطبة الجمعة ٥
المقدمة ٣٩
توحيد وعبادة ٤٦
أثر العقيدة في مواجهة التحديات ٥٥
الدين كمال وتمسك ٦٣
إن الحكم إلا لله ٧٠
توجيهات لمسيرة الصحوة الإسلامية ٧٧
الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٨١
حدود شرعية وبلاد آمنة ٩١
الغزو الفكري بين العزة والخنوع ١٠١
التقوى جماع كل خير ١١٠
في بر الوالدين ١٢٠
صلوا أرحامكم ١٢٨
البيت السعيد ١٣٧
حينما يختلف الزوجان ١٤٥
التراحم وأثره في الأخوة ١٥٣
خلق الحياء ١٦٠
أولئك هم العادون ١٦٩
سوء الظن والتثبت في الأخبار ١٧٨
أمسك عليك لسانك ١٨٦
شؤم المعاصي ١٩٣
الأحقاد فناء الأمم ٢٠١
الأحقاد والمذبحة اليهودية في ساحة المسجد الأقصىٰ ٢٠٨
الرفق والتيسير في التعامل ٢١١

الابتلاءات في الدنيا ٢١٩
من دروس الهجرة ٢٢٧
مسرىٰ الرسول وأطفال الحجارة ٢٣٥
غزوة تبوك وواقع الأمة ٢٤٣
موقف صدق ٢٥٣
بين يدي رمضان ٢٦١
في ختام رمضان وبهجة العيد ٢٦٩
سلاح المؤمن ٢٧٧
صنائع المعروف ٢٨٤
بين الابتلاء ورفع راية الجهاد ٢٩٢
التوبة وسعة رحمة الله ٣٠١
الفهرس ٣٠٩